

المسجد والمنبر

فقه

خطب المنبر

عائض بن عبد الله القرناكي

الجزء الأول

مكتبة التالبيين

القاهرة - عين شمس

ت: ٤٩٢٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٢٤٣٣٥

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

ت: ٥٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٥٢٧٤٥٤٤



جميع حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الصحابة

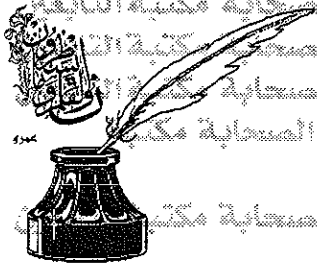
الإمارات - الشارقة

ت: ٥٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٥٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين الشمس

ت: ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٦٥



الفهرس

صفحة

الخطبة

٣	الفهرس
٥	مقدمة
١٥	أول ليلة في القبر
٢٤	الفريضة المهمة
٣٤	شهيد المحراب
٥٠	مدرسة الاستهزاء
٦٠	المؤذن الأول
٧٣	ما هي السعادة؟
٨١	هكذا فلتكن العدالة
٩٧	ظالم من الدرجة الأولى
١١١	رسول المساكين
١٢٣	ذئب يتكلم
١٣٥	سلعة الله غالية
١٤٧	الداعية المطارد
١٦١	شباب الأمس واليوم
١٧٢	سنريهم آياتنا في الآفاق

الخطبة

صفحة

١٨١	مناظرة بين فرعون وموسى
١٩٦	من طرائف حج الرسول
٢٠٨	الله الله الصلاة
٢١٩	عبادة الرسول ﷺ
٢٢٩	عوامل القوة في حياة المسلمين
٢٤٢	حقيقة البعث والنشور
٢٥١	المعصوم يضحك
٢٦٢	جيل لن يتكرر
٢٧٦	خطر على الأمة
٢٩٠	بطل المواجهة
٣٠٤	خطبة عيد الأضحى
٣٢٢	فهرس المراجع



■ مقدمة ■

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على أجل خطيب وأنبأ
إمام، وعلى آله وصحبه ما شدا حمام وهطل غمام، واكتمل بدر التمام.

● أما بعد :

فمثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

والكلمة الطيبة تقيم مبادئًا، وتنعش أرواحًا، وتحرك أجيالًا، وتبني شعوبًا.

والكلمة الطيبة تصلح خطأ، وتنصب عدلاً، وترخص باطلاً، وتسحق زيفًا.

والكلمة الطيبة طريق العمل، واستفادة من الماضي، ونشيد حماسي لليوم،

وأمل واعد للمستقبل .

وأقوى ما تكون الكلمة على منبر الوعظ، يوم تطرق الرءوس وتسكت

النفوس، وتشرئب الأعين، ويسود الصمت فلا تسمع إلا همسًا.

حينها ينتصب الخطيب، ويتدفق لسانه بالحجج، وتنساب نغماته في

الأرواح انسياب الماء في العود، والحب في المهج، والنور في التيار.

وينسجُ الخطيبُ الخطير بكلامه من الأمة العاطلة المستكينة أمة عاملة منتجة

فاعلة، تبني وتغرس، وتكتب وتقرأ، وتعطي وتدافع.

أول ما فعله ﷺ بأمة الصحراء أنه خطبهم ووعظهم، وبشّرهم وأنذرهم،

وأمرهم ونهاهم، فتحولّ عباد الأوثان إلى أئمة طهر، ونجوم هدى. وسراق

الحجيج إلى مرابطين في الثغور، وشعراء الخمر والمجون إلى أدباء للحكمة،

وشداة للحق. والأعراب الحفاه إلى عبّاد ترجف أعضاؤهم في السحر بالخشية.

الرسول ﷺ، أعظم الخطباء كما قيل:

ما بنى جملة من اللفظ إلا * * * ابنتى اللفظ أمة من عفاء

إنَّ اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فعل الجيوش الجرارة، والكتائب الهادرة، والجنود المغامرين.

واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة، ويناجي الخلد بلا حجاب، ويشاجي البصائر بما أراد.

● وبالخطبة المؤثرة الواصلة يدرك حداة الحق ورواد الفضيلة مطالبهم، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان، ويسخو البخيل، وينبل الخامل، ويجاهد القاعد ويشوب المحطم. وعند سماع الخطبة يطعم الفقير، ويكسى العاري، ويعان المنكوب، ويمسح دم المصاب.

● الخطب الهادرة الطنّانة تشعل الحماس في رءوس المقاتلين، والغيرة في نفوس المدافعين، والحمية في أفئدة أبطال الكفاح.

وبلغاء الخطباء يدعون إذا ادلهمَّ خطب، ووقعت واقعة، وحلت داهية، ليقولوا كلمتهم في الحشود، ويلقوا عصا الحجّة في الجموع، فإذا هي تلقف كل باطل، وتلتهم كل حدث.

بلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً، وينظمون في لحظة قصيرة آمالاً كبيرة.

● إن انتصرت الأمة مجدوها، حتى تصل هامتها الثرياً، وإن غلبت رفعوها، ولو كان رأسها على الثرى.

● إن خطبوا في فن الشجاعة هونوا الموت على الجنود، حتى كأنه حضور مهرجان، ومشاهدة حدائق ذات أفنان، ورغبوا الجيوش في البسالة، حتى كأن الحياة بلا موت لا شيء، والبقاء بلا دفاع فناء، والعيش بلا نضال عار. يهونون شأن العدو، حتى كأن سيوفهم أقلام كاتبين ورماحهم أغصان لاعبين:

فمن في كفه منهم قناة * * * كمن في كفه منهم خضاب

وإن خطبوا في الأغنياء ملتصين بالبذل والسخاء جعلوا العطاء حياة، والإمساك موتاً، والإنفاق سعادة، فعلى زجل كلامهم تنهل الدراهم والدنانير، ومع وقع عباراتهم تسقط الذهب والفضة، وبخطبهم تفرغ القناطير المقنطرة من أكياسها، وتخرج الكنوز من أكادسها.

● يخطبون في الفقراء فيحيلون مرارة العدم إلى سعادة، وبذاذة البؤس إلى المكreme، فإذا الفقير محسود بفقره مغبوط بعدمه، يرى أن فقره سبيل إلى قلة التبعة، وخفة السير، وضحالة الخطايا وارتياح الروح.

ويخطبون في المنكوبين فإذا تيجان المذائح على رؤوسهم وألوية الفضل تخفق فوق هاماتهم، فكل منكوب يرى أنه مجتبي بنكبتة، مصطفى بمصيبته.

والخطباء اللأمعون يحيلون بجلال العبارة وقدسية الكلمة صدمة الهزيمة إلى انتصار، وهزة الفاجعة إلى استعلاء.

وهل الأحداث والوقائع والمثلثات إلّا نتائج للكلمات الملتهبة والخطب المجنحة الهادرة.

خطب عليه السلام خطبة ضافية في بدر قربت الجنة لعشاق السعادة، وبغضت البقاء عند مجيء الدنيا، وسهلت الموت على طالبيه، والقتل على راغبيه، فتسابق المؤمنون على وقع كلامه عليه السلام، وكأنهم في صراع الأعداء، يلجون أبواب الجنة الثمانية، وفي نزال الكفار يطوفون بالكوثر، وفي حزّ هامات الوثنيين يحسون الكأس الدهاق في جنة عدن.

وخطب عليه السلام قبل أحد بيوم فأبى الأبطال البقاء في المدينة وحثوا السير إلى أحد، ورين الخطبة في الأذان كأنها طلائع الجيوش، ورايات الكتائب، وأعلام الجنود.

ولما مات عليه السلام وقع الخطب الجلل والحدث الفادح فقام أبو بكر الصديق

فعرّى في المصاب، وسلّى الخطب، ودمل الجراح، ومسح الدمع، وأعاد للهمم توقدها، وللنفوس إشراقها، وللضمائر حياتها.

فكان الكلام الذي ارتجله كلام جديد، هبط من الغيب على أجنحة القبول، وهبط من الفلك على أوسمة المحبة.

● عبر طارق بن زياد البحر، ولقي العالم الكافر، واحتدم الهول، وقامت قيامة الأبطال، فهتف بخطبة طنت لها آذان الشجعان، ورنّت لها رماح الأقران، وتقدّم على صليلها الجبان، فهو يزيد ويرعد، والصفوف تتقدّم، والمنايا تقع على الرءوس، والموت يداعب النفوس، فإذا جيوش المسلمين على هدير خطبة طارق تطرق باب الفتح، وتدق جرس الانتصار، وتعقر أنوف الطغام برغام المعركة.

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا خطب فجرّ ينابيع البيان، يأخذ الأرواح طواعية، ويأسر النفوس أسراً ويكسر جماجم الفصاحة على رءوس الشهود كسراً.

يرتجل الخطبة فكان كل جملة لوحة هائمة في الجمال، روعة في الحسن، غاية في النفاسة.

فعليّ أبو الحسن هو الفصاحة وهي هو.

وكان ابن الجوزي يعظ الناس فتقع في مجلس وعظه صور غير عادية في حياة الناس، انخلاع في النفوس، تدفق في الدموع، ذهول في الجمهور، وجول في قلوب الحضور، فذاك يصرخ تائباً، وهذا ينتحب نادماً، وهذا يُغمى عليه، وذاك ينسحق تحت سياط الوعظ.

بعض الخطباء يخطب في الجلوس، فيجثون على الركب، ويزحفون إليه، وتنقطع أبصارهم فيه.

وبعض الخطباء يخطب في الجموع فلا تنبس شفة، ولا تتحرك أغملة، ولا يرمش طرف.

وبعض الخطباء إذا خطب قعقع منبره بهدير صوته، وصار جمهوره في قبضته، وأصبح مستمعوه طوع يمينه، وآخرون إذا خطبوا انسابوا كالماء هدوءاً وسكينة، وهبوا كالنسيم لطافة ورقة، يصاحبون الأرواح قبل الأجسام، والأنفس دون الأبدان.

● الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة، فلا يترك الأرواح تتفلت من قبضته، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ، يتخير ما يشاء ويهجر ما يشاء، رابط الجأش، قوي القلب، واثق النفس، ثابت القدم، هادئ الأعصاب.

ترتجف القلوب من صولته وقلبه في أمان، وتضطرب الأرواح من نبراته وروحه في حرز مكين.

● والخطيب القدير كالسيل الزاحف، إذا صادفته هضبة طمّها وارتقى عليها، وإذا قابلته حفرة ملأها وعدى عنها. وإذا واجه صخرة مال عنها ذات اليمين وذات الشمال.

● والخطيب القدير يهدأ يهدأ، فتسكن الأسماع، وتخفت الأرواح، ويثور يثور، فيغلي الجو ويضطرب الشهود.

● يستفهم واجماً كالأسد المتأمل، ويتعجب منذهلاً كالشاعر الواله، ويستعطف في العبارة كالفقير اللحوح، ويأمر كالسلطان المطاع، ويرثي في مقام الرثاء، فينسى الناس الخنساء، ويعزّي فيذهب حر المصاب مع برد العزاء.

● والخطيب القدير يستظهر الآيات البيّنات فيرصع بتيجانها هامات خطبه، ويرصّع بدرها حلل وعظه.

ويحفظ الحديث الصحيح فيطرز كلامه بجوامع كلمه ﷺ، ويربط على قلبه بأنفاس المعصوم.

● عنده الأدب مادته وعصاه وبرده، فالأبيات على طرف لسانه، يطرب ويحمس ويتفنن.

● وعنده القصص يثرها بسرد عجيب وطرح غريب، فكأن السامع عاشها، والغائب حضرها.

● والخطيب القدير يحيي العبارات، فكأن الكلمات طير بأجنحة، وحمائم بريش، وعصافير على سنابل.

تقرأ الأحدوثة فلا تحركك، ولا تعجبك، ولا تستهويك، وتسمع الخطيب المصقع يتلوها على الأسماع، فتصل شغاف قلبك المدنف، فتشعل فيه جذوة من الحرارة والحماس والجازبية.

● الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظهيرة فتحس أنك تحت أسمال الدجى، وتحت أجنحة الدياجير. ويصف النهر فتلمس ثيابك أن تبل وأنت ناء عن النهر. ويصف جيش الأعداء البعيد، فتتنظر إلى مطالع الجبال، كأن الطلائع أقبلت، والكتائب دنت.

يدعوك للجائعين باذلاً، فترمي الخبزة من يدك طائعاً ويشاجيك للعراة منجداً، فتخلع ثوبك مسعفاً راضياً. هل الخطابة إلا جذب النفوس، وامتلاك الأرواح، والتصرف في المشاعر. هل الخطابة إلا الاستيلاء على مستعمرات الأفكار، وفتح قلاع التصورات، والانتصار على الآراء المخالفة.

والخطابة هي الإقناع، ونقل المسامع من الغي إلى الرشاد، ومن الانحراف إلى الاستقامة، ومن الظلم إلى العدل.

يريد الخطيب أن يبكي الناس فيتوجع من قلبه، ويتأسف من خلده، ويتهدج صوته، وتنساب عبارات الفجيعة، وكلمات الشجن من بين شفثيه، وتتساقط الآهات مع الدمعات، والزفرات مع العبرات، فإذا الجمع مناخة والكل مأتم.

ويريد الخطيب أن يلهب الحماس، ويشجّع السامع، فيهتف بسطوة ويمور بقوة وينفعل بإبائه، فإذا الحضور في بسالة وإقدام، وإذا الأعين تترقّب متى هي ساعة التضحية ولحظة الفداء؟! .

• الخطابة أن تأتي إلى الغضوب الحقود، الممتلىء الشائر الجريح فتعالج قلبه، وتداخل نفسه، وتسلب سخيمته، وتزيل ضراوته، حتى تبرد حرارته، وينطفئ لهبه، ويموت غضبه، فيعود حليماً صفوفاً مسامحاً .

• والخطابة أن تأتي إلى المعاند الجموح، المشاكس، فتلين عربكته، وتخطب فطرتة، وتدغدغ مشاعره، حتى يثوب ويسلم ويدعن .

• ليست الخطابة لفظاً بلا معنى، وقالباً بلا قلب وعبارات بلا عبر فكلها صوت وصورة ماء وظل، ندى وظل، شبع وري، عواطف ومعان، مثل وقيم .

إن من البيان لسحراً يخلب الألباب، ويلوّن الأمزجة، ويغيّر الصور والأحداث والأشياء والمواقف .

وإن من الخطابة لسحراً يشجّع الجبان، ويرد الجامح، ويعزّي المصاب، ويسخيّ البخيل، ويقدم الهيباب . وسحر الخطابة في سموها، في عمقها، في تأثيرها، في معانيها، في عواطفها .

وسحر الخطابة في إلقائها، وجاذبيتها، وحلاوتها، وطلاوتها . واللّسان الذّلق يصنع الأعاجيب، وينتج الأحداث، ويرسم الوقائع .

كان الأحنف بن قيس هزياً، نحيفاً، أحنفاً، ضعيفاً، تقتحمه العين، وينبو عنه الطرف، فإذا تكلم خطف الأضواء، وجلب الأبصار، واستنصت الأسماع، وملكت القلوب، وهذه هي البلاغة .

كان بعض الخطباء كالعاصفة الهوجاء، إذا اندفع في الحديث يغضب ويثور وينفعل ويمور، ولسان حاله يقول: لا مساس، فتراه يفلق هام البيان بسيف

الفصاحة البتار، ويقطع حبال الشكوك بمهند الحجّة الصارم، فهو وحده رجل الموقف، وأستاذ الحدث، وسلطان المقام.

● الخطابة هي جرأة صادقة، وإقدام فطيع، لا يعرف النكوص والالتواء. وإقدام في مواجهة الجماهير، من غير هيبة، ولا وجوم، ولا خجل.

● والخطابة تحضير مسبق لما يُراد أن يُقال، وامتناءُ الذهن بأطراف الموضوع، ورصد تام لحديث المقام، حينها يدلف الخطيب وهو واثق من نفسه تمام الثقة، متماسك القوى، قوي الإرادة، لأنه قد أحرز مادته، وخمّر أفكاره، واستعد للمواجهة، ولبس للخطابة لامة التّزال.

● إن أول فشل الخطيب أن لا يعدّ كلاماً في صدره، ولا يهين أفكاراً في خاطره، وربما ظنّ أن وقوفه أمام الناس كفيل بإثراء ذهنه بالمعلومات، وملء عقله بالأفكار، وهذا ليس بصحيح: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦].

● والخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه، فهو يتكلّم للناس لكن بعروق دمه وشرائبه وحشاياه، يتحدث عن الألم وهو أوّل المتألمين، يتوجع لما حدث لا بلسانه؛ بل بجنانه فيظهر ذلك في خلجات صدره، وقسمات وجهه، ونبرات صوته، ولفتاته وإشاراته.

ويتكلّم عن البشريّ فإذا هو سعيد بما حدث، جذلان بما صار، يسعد الناس بما يحمله هو في نفسه وخفياياه.

● والخطيب المصقع موسوعة علمية، لا يضايقه الحديث عن أي جانب، بل هو كالسيل كلما وجد فراغاً ملأه، وكلما صادف مكاناً منخفضاً أفرغ فيه جموحه.

يطالع كثيراً، ويحفظ كثيراً، ويتدبّر كثيراً، يسبك العبارات، فيجعل الخطبة كهيكل الذهب، متناسقة، متقاربة، لا نشاز فيها ولا التواء.

● والخطيب يحتاج إلى تدريب سابق، ومران كثير، ولا يكفي أن يطالع صفات الخطيب، أو أن يقرأ سمات الخطابة، بل يعيشها هو بنفسه، مزاوله ودرية ومراناً، كالسباحة تماماً، فإن مجلداً ضخماً في طريقة السباحة لا ينفع شيئاً، ما لم يتوجه الإنسان إلى النهر ليغمس نفسه فيه ممتثلاً ما قرأ وما علم.

إذا أردت أن تدعو الناس إلى بذل المال والجود والإنفاق، فهل تظن أنك إذا جمعت الآيات والأحاديث في الباب، وعرضتها على الناس أنك تحصل على ما تريد، كلاً بل تجمع الآيات والأحاديث وَالْعِبْرَ والأفكار، ثم تصبغها بعواطفك وجاذبيتك وأنفاسك، ثم تروّض نفسك على القول، وتضع نفسك في مكان السامعين، وترى هل هذا الكلام مؤثّر مقنع.

إن الكلام على عواهنه ليس خطابة؛ بل حديث عادي وليس كل متحدّث خطيباً، لأن الخطابة شيء آخر غير الحديث ومطلق الكلام.

● والأمة تحتاج إلى خطباء جهابذة، يملكون المشاعر، ويستولون على العواطف، خطباء همهم عرض الرسالة الحقّة عرضاً قوياً مؤثراً واصلأً، خطباء يشرحون المنهج الربّاني بحرارة وجاذبيّة واندفاع، خطباء يجلسون في الجامعات العامة بنبرة الحق ونعمة الصدق وكلمة الإسلام.

وإن قطاعاً هائلاً من الناس لا يقنعه الدرس الهادئ الوديع، ولا ييهجه الحديث المنساب الخافت، وإنما يهزه ويحركه من أعماقه ثوائر خطباء صقع، وإيقاعات فصحاء ذلق، تصل أصواتهم إلى سويداء القلوب وأعماق الأعماق، وإن الذين يظنون أن دور الخطابة ضحل، وأن الصياح والضجيج لا داعي له أخطئوا خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً، لأن أخطب الناس هو رسولنا ﷺ، والذي أصلح بخطبه أمماً، وهدى بوعظه شعوباً، كان إذا خطب علا صوته واحمرّ وجهه كأنه منذرٌ جيش.

والناس مستويات ودرجات، فهذا يكفيه وضوح الفكرة وصفاء العرض،
وذاك لا يفتت ذرّات الالتواء والصدوف في نفسه، إلا لكلمات هائلة من الوعظ،
وهدير متتابع من الخطب، ليستجيب لهذا النداء الصّامد، ويدعن لهذا الخطاب
الجارف الدّامغ.

• إن الحشود تحتاج إلى خطباء أقوياء مؤهلين، يؤدّون واجب النصح
ووظيفة الإقناع، لهم من سرعة البديهة ما ينقذهم من ورطات المفاجأة، ولهم من
رصيد التجارب ما يسعفهم في الأحداث، ولهم من روعة الهمم ما يدعوهم إلى
معالي الأمور.

والأمة اليوم تحتاج إلى دور ومعاهد لتعليم الخطباء وتخريج الفصحاء،
لتزرعهم في العالم، وتوزعهم في المعمورة، ويلهجون بذكر الله والدعوة إليه،
وتحيب الناس في شرعه، وهذا مطلب سام وهدف نبيل.

ويا ليت أن هناك دورات للخطباء، واجتماعات سنوية لهم، ليتدارسوا
أوضاعهم، ويتلافوا أخطاءهم، ويحسنوا من أحوالهم، والله المستعان وهو الهادي
إلى سواء السبيل.

عائض بن عبد الله القرني

الرياض: ١٤١٣هـ



■ أول ليلة في القبر ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

{ آل عمران : ١٠٢ }

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

{ النساء : ١ }

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (١) { الاحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار. (٢)

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ، يُعلِّم أصحابه أن يجعلوها بين يدي كلامهم؛ في أمور دينهم، سواء كان خطبة نكاح أو جمعة، أو غير ذلك.

أخرجها أبو داود (٢٣٩ / ٢) رقم (٢١١٨)، والترمذي (٤١٣ / ٣) رقم (١١٠٥)، والنسائي (٣ / ١٠٥) رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه (١ / ٦٠٩) رقم (١٨٩٢)، والدارمي (٢ / ١٩١) رقم (٢٢٠٢)، وأحمد (١ / ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٣٢).

(٢) هو من حديث جابر - رضي الله عنه - قال فيه : إن النبي ﷺ كان يقول ذلك إذا خطب . رواه مسلم (٢ / ٥٩٢)، رقم (٨٦٧)، والنسائي (٣ / ١٨٨) رقم (١٥٧٨).

● عباد الله :

فارقت موضع مرقدي * * * يوماً ففارقني السكون
القبر أول ليلة * * * بالله قل لي ما يكون

ليلتان اثنتان ، يجعلهما كل مسلم في مخيلته ؛ ليلة في بيته ، مع أطفاله وأهله ، منعماً سعيداً ، في عيش رغيد ، وفي عافية وصحة ، يضحك أولاده ويضحكونه ، واللييلة التي تليها مباشرة ، أتاه فيها ملك الموت ، فوضع في القبر وحيداً منفرداً .

وهذا الشاعر العربي يقول :

فارقت موضع مرقدي * * * يوماً ففارقني السكون
القبر أول ليلة * * * بالله قل لي ما يكون

يقول: لما انتقلت من المكان الذي اعتدت عليه، إلى مكان آخر فارقني النوم، فما بالك كيف تكون اللييلة الأولى التي أوضع فيها في القبر !! حيث لا أنيس ولا جليس ، ولا زوجة ، ولا أطفال ولا أموال .

﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾

{سورة الأنعام الآية : ٦٢}

أول ليلة في القبر . . بكى منها العلماء . . وشكى منها الحكماء وصنفت فيها المصنفات .

أول ليلة في القبر . . أتى بأحد الشعراء وهو في سكرات الموت ، لدغته حية ، وكان في سفر ، فنسي أن يودع أمه ، وأباه ، وأطفاله ، وإخوانه ، فقال قصيدة يلفظها مع أنفاسه ، تعد من أهم المراثي العربية ، يقول وهو يزحف إلى القبر :

فلله دري يوم أترك طائعاً * * * بني بأعلى الرقمتين وداريا
يقولون لا تبعد وهم يدفنوني * * * وأين مكان البعد إلا مكانيا

يقول : كيف أفارق أولادي في هذه اللحظة ؟ ، لماذا لا أستأذن أبوي ؟ أهكذا
تختلس الحياة ؟ أهكذا تذهب ؟ أهكذا أفقد كل شيء في لحظة ؟ .. ويقول
أصحابي والذين يتولون دفني : لا تبعد ، أي لا أبعدك الله ، وهل هناك أبعد من
هذا المكان ، وهل هناك أوحش من هذا المكان ، وهل هناك أظلم من هذا
المكان؟!!

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُعْتَدُونَ ﴾ {سورة المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠}

كلا .. الآن تراجع حسابك .. الآن تتوب .. الآن تكف عن المعاصي .
يا مدبراً عن المساجد ما عرفت الصلاة ، يا معرضاً عن القرآن ، يا منتهكاً لحدود
الله ، يا ناشئاً في معاصي الله ، يا مقتحماً لأسوار حرّمها الله .. الآن تتوب ؟ .
أين أنت قبل ذلك؟!!

أتى أبو العتاهية ، يقول لسلطان من السلاطين ، غرته قصوره ، وما تذكر
أول ليلة ينزل فيها القبر ، ونحن نقول لكل عظيم ، وكل متكبر ، وكل متجبر ،
أما تذكرت أول ليلة؟!!

هذا السلطان بنى قصوراً عظيمة في بغداد ، فدخل عليه أبو العتاهية يهنئه
على تلك القصور فقال له :

عش ما بدا لك سالماً * * * في ظل شاهقة القصور

عش ألف سنة ، ألفين ، ثلاثة ، سالماً من الأمراض والآفات ، يتحقق لك ما
تریده من طعام وشراب ولذة .

عش ما بدا لك سالماً * * * في ظل شاهقة القصور
يجري عليك بما أردت * * * مع الغدوم مع البكور
ولكن ماذا بعد ذلك :

فإذا النفوسُ تغرغرتُ * * * بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلمُ موقناً * * * ما كنت إلا في غرور

فبكى هذا السلطان

● أول ليلة في القبر :

وأنا أطلب نفسي وإياكم معاشر المسلمين ، أن نهى لنا نوراً في قبورنا أول ليلة ، ولا ينير القبور ، إلا العمل الصالح ، بعد الإيمان بالله .

خرج النبي ﷺ إلى تبوك في غزوة . . وفي ليلة من الليالي ، نام هو وأصحابه . قال ابن مسعود رضي الله عنه : قمت في الليل ، فنظرت إلى فراش الرسول ﷺ ، فلم أجده في فراشه ، فوضعت كفي على فراشه فإذا هو بارد ، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم أجده ، فالتفت إلى فراش عمر فما وجدته .

قال : فإذا بنور آخر المخيم في طرف المعسكر ، فذهبت إلى ذاك النور ، فإذا قبر محفور ، والرسول ﷺ قد نزل في القبر، وإذا جنازة معروضة وإذا ميت قد سجي في الأكفان ، وأبو بكر وعمر حول الجنازة ، والرسول ﷺ يقول لهما : دليالي صاحبكما، فلما أنزلاه ، وضعه ﷺ في القبر ، ثم دمعت عيناه ﷺ ، ثم التفت إلى القبلة ، ورفع يديه وقال : اللهم إني أمسيت عنه راض فارض عنه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : قلت من هذا ؟ قالوا هذا أخوك عبد الله ذو البجادين؛ مات في أول الليل . قال ابن مسعود : فوددت والله أنني أنا الميت (١) .

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٧٢) : رواه البزار ، عن شيخه عباد بن أحمد وهو متروك .

كان عمر بن عبد العزيز ، أميراً من أمراء الدولة الأموية ، يغير الثوب في اليوم أكثر من مرة ، الذهب والفضة عنده ، الخدم والقصور ، المطاعم والمشارب ، كل ما اشتهى وطلب وتمنى تحت يده ، وعندما تولى الخلافة وأصبح مسئولاً عن المسلمين ، انسلخ من ذلك كله ؛ لأنه تذكر أول ليلة في القبر .

وقف على المنبر ، فبكى يوم الجمعة ، وقد بايعته الأمة ، وحوله الأمراء والوزراء ، والعلماء ، والشعراء ، وقواد الجيش ، فقال : خذوا بيعتكم ، قالوا : ما نريد إلا أنت ، فتولاها ، وهو كاره ، فما مر عليه أسبوع ، إلا وقد هزل وضعف وتغير لونه ، ما عنده إلا ثوب واحد ، قالوا لزوجته : مال عمر ؟ قالت : والله ما ينام الليل ، والله إنه يأوي إلى فراشه ، فيتقلب كأنه ينام على الجمر ، يقول : آه آه ، توليت أمر أمة محمد ﷺ ، يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين ، الطفل والأرملة .

قال له أحد العلماء : يا أمير المؤمنين ، رأيناك وأنت في مكة ، قبل أن تتولى الملك ، في نعمة وفي صحة وفي عافية ، فمالك تغيرت ، فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف ، ثم قال هذا العالم وهو ابن زياد : كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام ، يوم أجرد عن الثياب ، وأتوسد التراب ، وأفارق الأحباب ، وأترك الأصحاب ، كيف لو رأيتني بعد ثلاث .. والله لرأيت منظرًا يسوؤك .

فنسأل الله حسن العمل ..

والله لو عاش الفتى في عمره * * * ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعماً فيها بكل لذيذة * * * متلذذاً فيها بسكنى قصره
لا يعتريه الهمُّ طول حياته * * * كلا ولا ترد الهمومُ بصدره
ما كان ذلك كله في أن يفى * * * فيها بأول ليلة في قبره

● فيا عباد الله :

ماذا أعددتنا لتلك الليلة ، والنبي ﷺ يقول : « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » (١) .

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا شيع جنازة بكى ، حتى يغمى عليه ، فيحملونه كالجنازة إلى بيته . فقالوا له ذات مرة : مالك ؟ قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « القبر أول منازل الآخرة » (٢) ، فإذا نجا العبد منه ، فقد أفلح وسعد وإذا عذب فيه - والعياذ بالله - فقد خسر آخرته كلها .

والقبر روضة من الجنان
أو حفرة من حفر النيران
إن يك خيراً فالذي من بعده
أفضل عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فبعده أشد
ويل لعبد عن سبيل الله صد

● عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه ،
إنه هو الغفور الرحيم . .



(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٥٥١) رقم (٢٤٦٠) . وقال : غريب . قال الهيثمي في المجمع (٣ / ٤٩) : وأخرجه الطبراني ، وفيه محمد بن أيوب بن سويد وهو ضعيف .
(٢) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٦٣) .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

أتيت القبور فناديتها * * * فأين المعظم والمختقر
تفانوا جميعاً فما مخبر * * * وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا * * * أما لك فيما مضى مُعتبر
تروح وتغدو بنات الشرى * * * فتمحو محاسن تلك الصور

أتيت القبور .. قبور الرؤساء والمرءوسين ، الملوك والمملوكين ، الأغنياء والفقراء ، استوت جميعاً عند الله - تبارك وتعالى - أرأيت قبراً ميز عن قبر ؟ أنزل الملك في قبر من ذهب أو من فضة ؟ والله لقد ترك ملكه ، وقصوره ، وجيشه ، وكل ما يملك ، ولبس قطعة من القماش ، كما نلبس ، ولحد له في التراب .

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا * * * والناس حولك يضحكون سروراً
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا * * * في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

من الناس من عمل لهذا اليوم ، فهم دائماً متهيئون للقاء الله ، مترقبون للموت في كل لحظة . خرج رجل من الصالحين أعرفه ، خرج بزوجه من الرياض يريد العمرة ، وكانت زوجته صائمة قائمة ولية لله تعالى ، وقبل السفر ، حدث شيء غريب ، وهو أن هذه المرأة أخذت تودع أطفالها وتقبلهم ، ثم كتبت وصيتها وهي تبكي ، كأنه ألقى في خلدتها أنها ستموت .

ذهب الرجل بأهله واعتمر ، وفي طريق العودة أتى الأجل المحتوم ، ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ

لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿ سورة الروم الآيتان : ٧٠٦ .

انفجر إطار السيارة فانقلبت ، ووقعت المرأة على رأسها ، ولكنها شهيدة - إن
شاء الله - ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَتَّقِبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ {سورة الاحقاف الآية : ١٦} .

خرج زوجها من السيارة ، ووقف عليها وهي في سكرات الموت تقول :
لا إله إلا الله . . محمد رسول الله . . الله . . الله . . الله ثم قالت لزوجها :
عفا الله عنك ، اللقاء في الجنة ، بلغ أهلي السلام .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ
شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ {سورة الطور الآية : ٢١} .

نسأل الله تعالى أن يجمع تلك الأسرة في الجنة إنه على كل شيء قدير .

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحنا * * * شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * * * يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي * * * مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

عاد الرجل وحده إلى الرياض ، فدخل بيته واستقبله أطفاله ، وكان الموقف
الرهيب . . قالت له طفلة من بناته : أين أمي ؟ فيجيب الرجل : سوف تأتي ،
فتقول الطفلة : لا والله لا بد أن أرى أمي ، وعندئذ انهار الرجل ولم يتمالك
نفسه ، ولم يجد جواباً لابنته ، فتقول لتلك الطفلة : سوف ترين أمك بإذن الله ،
سوف ترينها في جنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين .

فاعمل لدار غداً رضوان خازنها * * * الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها * * * والزعفران حشيش نابت فيها

فيا إخوتي في الله .. هل أعددتُم لأول ليلة في القبر ويا شيخاً كبيراً
احدودب ظهره ، ودنا أجله ، هل أعددت لأول ليلة؟ ويا شاباً غره شبابه وطول
أمله ، هل أعددت لأول ليلة؟ أيقظني الله وإياكم من رقدة الغافلين ، وحشرنني الله
وإياكم في زمرة المتقين .

● عباد الله :

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} .

وقد قال ﷺ : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» (١) .

اللهم صل على نبيك وحيبيك محمد ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في
هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وعن
التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا
أرحم الراحمين .



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) ، رقم (٣٨٤) .

■ الفريضة المهملة ■

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُّ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها المسلمون :

جاء إلى الرسول ﷺ ، رجل أعشى فاقد البصر، لكنه نير البصيرة .
 وهناك عمى لا طب له ولا دواء!! .. وهو عمى القلب، ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئَا الْأَلْبَابِ ﴾ {سورة الرعد الآية : ١٩} .
 والعمى هنا عمى القلب .

أما الذي وفد على الرسول ﷺ ، فرجل عميت عيناه ، فأبصر بقلبه .

إن يأخذ الله من عيني نورهما * * ففي فؤادي وقلبي منهما نور
 قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج * * وفي فمي صارم كالسيف مسلول

هذا الرجل الذي وفد على رسول الله ﷺ كان منارة من منارات التوحيد ، قتل في المعركة ، وقد استثنى الله العميان من حضور المعارك ، أما هو فقد باشر القتال ، وقتل شهيداً في سبيل الله .

ذهب إلى الرسول ﷺ فقال : يا رسول الله أنا رجل أعمى ، وبينى وبين المسجد واد مسيل ، وأنا نائي الدار ، وليس لي قائد يلائمني ، فهل تجدي لي رخصة أن أصلي في بيتي .

فرأى ﷺ المشقة ، ورأى العذر واضحاً ، فقال : نعم ، ثم ولى الرجل ، فاتبه ﷺ ، كالذي نسي أمراً ثم تذكره ، فقال : علي به ، ماذا تذكر ﷺ؟! ما الأمر الذي طرق أحاسيسه ، وأعاد الأعمى من أجله ؟ إنها فريضة الجماعة ، فقال للرجل : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » قال : نعم . قال : « فأجب » (١) . وفي رواية : « لا أجد لك رخصة » (٢) .

إنني لا أستطيع أن أرخص لك في ترك الجماعة ، ولو كنت أعمى ولو كان بينك وبين المسجد واد مسيل ، ولو لم يكن لك قائد يقودك ، ولو كان ما كان ، ما دمت تسمع النداء ، ويصل إلى قلبك هذا الوعي الرباني ، أجب فإنني لا أجد لك رخصة .

هذه ذكرى للمتخلفين عن صلاة الجماعة ، الذين ألتهتهم أموالهم وأهلوههم عن ذكر الله ، يجاور أحدهم المسجد ولا يزوره ، ولو مرة واحدة في اليوم ، ثم بعد ذلك يتشدد بإسلامه وبعقيدته الصحيحة ، وربما رد على الدعاة وطلبة العلم !!

روى أحمد وابن ماجه والحاكم ، وصححه عبد الحق الأشبيلي ، أن الرسول ﷺ قال : « من سمع النداء فلم يأتيه فلا صلاة له إلا من عذر » (٣) .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٤٥٢) ، رقم (٦٥٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١ / ٢٦٠) ، رقم (٧٩٢) . وأحمد (٣ / ٤٢٣) عن عبد الله بن أم مكتوم .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١ / ٢٦٠) ، رقم (٧٩٣) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ، رقم (٦٣٠٠) .

أخذ المحدثون بهذه الأدلة فأوجبوا صلاة الجماعة ، وأخبروا أنها لا تسقط إلا بعذر شرعي ؛ من مرض ونحوه .

صف الرسول ﷺ أصحابه لصلاة العشاء ، فوجد الصفوف قليلة فقام مغضباً وهو يقول :

« والذي نفسي بيده ، لقد هممت بالصلاة فتقام ، ثم أمر بحطب فيحطب ، ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم » (١) .

وزاد أحمد : « لولا ما في البيوت من النساء والذرية » (٢) .

فقد همَّ ﷺ أن يحرق على المتخلفين عن الجماعة بيوتهم ، وهذا من أعظم الزجر على ترك هذه الشعيرة العظيمة .

ورأيت في ترجمة رجل صالح أن صلاة الجماعة فاتته وما فاتته منذ أربعين سنة ، فندم ندمًا عظيمًا ، وتأسف أسفًا بالغًا ، ثم قام يصلي وحده ، فصلى سبعاً وعشرين صلاة؛ لأنه سمع حديث النبي ﷺ :

« صلاة الرجل في جماعة تفضل عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة » (٣) .

فصلى الصلاة التي فاتته سبعاً وعشرين مرة ، ثم نام ، فرأى في المنام خيالة يركبون على خيول عليهم ثياب بيض ، ثم رأى نفسه على فرس وحده ، يحاول أن يلحق بهم فلا يستطيع ، فيضرب فرسه ليدركهم فلا يقدر ، ثم التفتوا إليه وقالوا : لا تحاول ، نحن صلينا في جماعة ، وأنت صليت وحدك !!

وكان ﷺ يحث الأمة على صلاة الجماعة ، وكان الصحابة يعتقدون أنه لا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق .

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٥٨) . ومسلم (١ / ٥٤١) رقم (٢٥١ - ٢٥٣) .

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٣٦٧) وفيه فحيح أبو معشر السندي ، ضعيف .

(٣) أخرجه البخاري (١ / ١٥٨) . ومسلم (١ / ٤٥٠) رقم (٦٥٠) .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » (١) .

وقال عليه السلام : « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان » (٢) .

لما حضرت سعيد بن المسيب - عالم التابعين - الوفاة، بكت ابنته عليه، فقال لها: لا تبكي عليَّ يا بنية، والله ما أذن المؤذن من أربعين سنة إلا وأنا في المسجد . من أربعين سنة ، لا يؤذن المؤذن إلا وسعيد بن المسيب في المسجد ينتظر الصلاة ، ينتظر النداء ليصلي مع المسلمين .

وكان الأعمش يقول : والله ما فاتتني تكبيرة الإحرام مع الجماعة خمسين سنة .

كيف لو علم هؤلاء الأخيار بالذين يختلسون الصلاة وينقرونها نقراً ولا يتمون ركوعها ولا سجودها، كيف لو رأوا الأحياء وقد امتلأت بالسكان، ومع ذلك لا يصلي الفريضة في المسجد إلا الصف والصفان ؟ .

أين هؤلاء الأبناء الثمانية أو السبعة في كل بيت ؟ أين الشباب الذين نراهم وقد طفحت بهم السكك والأرصفة ؟ أين الأجيال الذين نشاهدهم في النوادي والمدرجات والمنتديات ؟

وجلجلة الأذان بكلِّ حيٍّ * * * ولكن أين صوتٌ من بلالٍ
منائرهم علَّت في كلِّ ساحٍ * * * ومسجدكم من العباد خالٍ

هذا إقبال شاعر الإسلام، يفتخر بالصحابة الذين فتحوا الدنيا بـ لا إله إلا الله

(١) أخرجه مسلم (١ / ٤٥٣) رقم (٦٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (١ / ١٥٠) رقم (٥٤٧) ، والنسائي (٢ / ١٠٦) رقم (٨٤٧) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٧٠١) .

فيقول :

نحن الذين إذا دُعوا لصلاتهم * * * والحرب تُسقي الأرض جاماً أحمرًا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا * * * في مسمع الروح الأمين فكبروا

يروى عنه عليه السلام عند الترمذي أنه قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالإيمان » (١) .

نحن شهود الله في الأرض ، ولا نشهد بالإيمان إلا لمن يصلي معنا في
المسجد كل يوم خمس مرات ، أما رجل قريب من المسجد ثم تفوته الصلاة مع
المسلمين فلا نشهد له عند الله يوم القيامة .

ما معنى لافتة الإيمان التي يدعيها أقوام ، ثم هم لا يحضرون الصلاة في
الجماعة ؟ ما معنى الإيمان ؟ وما قيمة الصلاة في حياتهم ثم إذا أمرت أحداً من
هؤلاء أو نهيته زعم بأنك تتهمه بالنفاق !!

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتهمون المتخلف عن الجماعة بالنفاق ، يقول ابن
مسعود رضي الله عنه : ولقد رأيتنا ، وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق .

فأي دين لهؤلاء الذين لا يعمرّون المساجد ؟ وأي إسلام لمن يسمعون النداء ثم
لا يجيبون ؟

أحد المفسرين قال في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الصافات الآية : ٣٥] .

قال : هي في الذين لا يحضرون الصلاة في الجماعة !!

فأين الأجيال ؟ وأين شباب الأمة؟ والمساجد خاوية تشكو إلى الله - تبارك
وتعالى .

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٥ / ٥) رقم (٣٠٩٣) وقال : حسن غريب . وابن ماجه ، (١ / ٢٦٣) رقم (٨٠٢) .
والدارمي (١ / ٣٠٢) رقم (١٢٢٣) ، وأحمد (٣ / ٧٦،٦٨) وضعفه الألباني ، كما في ضعيف الجامع رقم
(٥٠٩) . . قلت : لأن في إسناده : دراج أبو السمح ، ضعيف .

كان عمر الفاروق رضي الله عنه إذا سمع النداء أخذ درته فضرب بها الأبواب وقال .
 ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ {سورة القصص الآية : ١٧} .

كيف ترتقى أمة لا تحسن المعاملة مع الله عز وجل ؟ كيف تفلح أمة لا تقدر شعائر الله ؟ كيف تكون صادقة في الحرب ، أو في التعليم ، أو في التصنيع ، أو في الحضارة ، وهي لا تتصل بربها في صلاة فرضها الله عليها ؟
 لقد اتهم أهل العلم من تخلف عن الجماعة بالنفاق والبعد عن الله - تعالى - وأوجب المحدثون الجماعة ، وجعلها بعضهم شرطاً في صحة الصلاة .

● فيا عباد الله :

كم تأخذ صلاة الجماعة من أوقاتنا؟! تلكم الأوقات التي أضعتها في الأكل والشرب ، والنوم ، والمرح ، إنها دقائق معدودة ، يرتفع فيها المؤمنون ، ويسقط الفجرة والمنافقون ، بها يُعرَف أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، بها يتميز المؤمن من المنافق .

فحافظوا - رحمكم الله - على هذه الصلوات حيث ينادى بهن ، عمروا المساجد ، وتسابقوا إلى الصفوف الأول ، واعلموا أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر لله شكراً شكراً ، والصلاة والسلام على المعلم الهادي إلى سواء السبيل، الناطق بالحكمة، والمسدد في الرأي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

● أيها الناس :

سمعت ما بثته وسائل الإعلام من بيان لعالم الأمة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - هذا البيان الذي ألهم فيه سماحته وسدد ، وكان البيان بحمد الله ضربة للمناققين ، وإسكاتاً للعلمانيين .

ومن العجيب أن كثيراً من الناس لم يفهموا بيان الشيخ ، وحملوه على غير محامله ، فمنهم من لم يسمع البيان أصلاً ، ومع ذلك فقد علق عليه بحسب ما في ذهنه من هوى ، وما في قلبه من مرض ، وأخذ يقول في المجالس : سماحة الشيخ يرد على الدعاة ، ويهاجم طلبة العلم ، ويحذرهم من تكفير المسلمين .

ورأيت في صحيفة عنواناً جانبياً بارزاً تقول فيه : سماحة الشيخ يحذر الدعاة من التكفير والتفسيق والتبديع علي رءوس المنابر !!

والحقيقة أن هذا ليس بصحيح ، فسماحة الشيخ يدافع عن الدعاة في هذا البيان ، ينتصر للدعاة في هذا البيان ، يذب عن أعراض الدعاة في هذا البيان ، فالصراع أصلاً ليس بين الدعاة والعلمانيين أو المستغربين ، وإنما كان بين الدعاة البارزين وبين بعض المنتسبين إلى العلم ، حيث حذر هؤلاء من الخوض في لحوم الدعاة ووصفهم بالتطرف ، فسماحته يدافع عن الدعاة ، ويحذر الذين يهاجمونهم من العلمانيين والمستغربين ، وأهل الحداثة ، هذا ما أراده الشيخ ، وهو حي يرزق ما زال على قيد الحياة لمن أراد أن يتثبت من هذا الكلام .

وإن تعجب فعجب أن يأتي بعض الكتبة ، فيكتب تعليقا على بيان الشيخ وهو

لا يدري ما سبب هذا البيان ، كما قالت العرب : ساء سمعاً ، فساء إجابة ، إنه هوى في نفوسهم ، ومرض في قلوبهم ، قالوا إن الشيخ يحذر الدعاة من التكفير ، فنقول : إننا دعاة أهل السنة والجماعة لم نكفر مسلماً ، ولم نبدع سنياً ، ولم نحرم حلالاً ، ولم نحلل حراماً ؛ لأن من درس الشريعة ، وتربى في مدرسة الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وعبد العزيز ابن باز ، سوف يكون سلفياً سنياً من أهل السنة والجماعة ، وقد قال سماحته عن هؤلاء الدعاة : وهؤلاء الدعاة من دعاة أهل السنة والجماعة .

فلا بد من التثبت من الأمر وتحقيقه ، وتبينه على حقيقته ، قبل أن نكتب ، وقبل أن نعلق ، وقبل أن نتهم .

أما هؤلاء الذين علقوا وكتبوا ، فإنهم لا يحفظون آية ، ولا يعرفون حديثاً ؛ بل لا يعرفون الحديث الصحيح من الموضوع ، ولم يقرأوا كتب أهل العلم ، ولا يعرفون متى توفي أحمد بن حنبل ، ومتى ولد ابن تيمية ، وما هي كتب محمد ابن عبد الوهاب !!

ويقتضى الأمر حين تغيب تيم * * * ولا يُستشهدون وهم شهود

إنما هم كما قال عمر رضي الله عنه لما رأى ناساً يتابعون سارقاً قطعت يده - يجنون الإثارة تجدهم عند التعليق ، عند البيانات ، يتكلم أحدهم ويهدر هديراً بلا علم ، ولا فقه ، ولا وعي - رأى عمر هذه الشلة تتابع السارق ، وتنظر ماذا حدث له ، فأخذ حفنة من التراب ، وضرب بها وجوه هؤلاء السفهاء ، وقال : شأهت الوجوه ، لا تُرى إلا في الشر .

هؤلاء الذين يعلقون ويكتبون ، لم ينهوا عن منكر ، ولم يدعو إلى فضيلة ، ولم يذبوا عن دين ، ولم يوضحوا منهجاً ، وليس لهم أثر محمود في الأمة ، فقط نجدهم عند الإثارات والفتن ، يرشقون الدعاة وطلبة العلم بكلماتهم الخبيثة ، حقداً وحسداً ، وبغضاً ورياء .

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ حَقْدًا قَلْبَهُ * * * قَدْ تَمَنَّى لِي سَوْءًا لَمْ يُطْعَ
وِيرَانِي كَالشُّجَى فِي حَلْقِهِ * * * جَلَجَلًا فِي حَلْقِهِ مَا يُنْتَزِعُ
فهذا البيان بحمد الله - تعالى - انتصار للدعاة ، وهو وثبة عظيمة من
سماحة الشيخ يبرئ بها ساحتهم ، ويرفع بها صحيفتهم .

وقد ذكر سماحته أيضًا في هذا البيان أن هؤلاء الدعاة لهم قبول وبروز في
المجتمع ، والحمد لله على ذلك ، لأنهم صدقوا مع الله ، وأخلصوا النصيح
للأمة ، وحملوا مذهب أهل السنة والجماعة ، وأرادوا تجديد فكر الأمة ﴿ أَفَمَنْ
أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ {سورة التوبة الآية : ١٠٩} .

وقد حذر سماحة الشيخ أيضًا في هذا البيان من التعاون مع العلمانيين
والمستغربين فيما يكتبونه وينشرونه بين الناس ، والحمد لله ، لم يكتب لهم القبول
في الأرض ﴿ إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ {سورة الكونر الآية : ٣} . إن حَاضِرُوا ، حضر لهم
عشرون نفرًا ، وإن كتبوا ، لم يقرأ لهم إلا من كان من جنسهم ، وإن تكلموا ،
لم يسمع لهم ، وإن طلبوا المحاضرة في المسجد منعوا من ذلك ، لأن اللغو لا
يكون في بيوت الله .

إن ألعيب هؤلاء لا تخفى على أحد ، فكيف تخفى على سماحة الوالد
وهو العالم الجليل ، والرجل الخبير .

أنا مَنْ سَمَّاحَتُهُ أَنْالَتْ * * * وَمَنْ دَرَبَتْ تِلْكَ الْأَيْدِي
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا * * * وَمَنْ جَدَّوَاهُ رَاحِلَتِي وَزَادِي

فانتبهوا رحمكم الله ، لئلا يستغل ضعاف الأنفس هذا البيان في التشنيع على
الدعاة وطلبة العلم ، والحمد لله ، فإن هؤلاء الدعاة قد دَرَسَ الواحد منهم

الشيعة أكثر من عشرين سنة ، أما المعلقون ، والمحلقون ، والمنظرون ، فما درسوا ولو سنة واحدة .

أسأل الله لي ولكم التوفيق والهداية ، والحفظ والرعاية ، وأسأله - سبحانه - أن يصلي ويسلم على رسول الإنسانية ، ومعلم البشرية ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .



■ شهيد المحراب ■

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ ، وأحسنَ الهدى هدىُّ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس :

نتكلم اليوم عن «شهيد المحراب» ، مَنْ هو شهيد المحراب ؟ ولماذا قتل؟ وكيف قتل ؟ وأين قتل ؟ ومن قتله ؟

الزمن : صلاة الفجر .

المكان : مسجد الرسول ﷺ .

المقتول : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

القاتل : أبو لؤلؤة المجوسي لعنه الله .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا

آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٩﴾

{آل عمران : ١٦٩-١٧١}

● أيها المسلمون :

من منكم لا يعرف عمر ؟ مَنْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَسْمَعْ بِعَمْرٍ ؟

السلام عليك يا عمر بن الخطاب في يوم الجمعة .

السلام عليك في هذه الساعة المباركة .

السلام عليك يوم أسلمت .

السلام عليك يوم توليت .

السلام عليك يوم قتلت .

السلام عليك يوم تبعث حياً .

تردّي ثياب الموت حمراً فما أتى

لها الليل إلا وهي من سندسٍ خضرٍ

ثوى طاهر الأردان لم تبق بقنعةً

غداة ثوى إلا اشتتت أنها قبرٍ

فتى كلما فاضت عيون قبيلة

دماً ضحكت عنه الأحاديثُ والذكرُ

الرسول ﷺ يفسر ثلاث روى رآها في المنام ، كلها لأبي حفص رضي الله عنه

وكلها صحيحة كالشمس .

الأولى : قال ﷺ : « بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم

قُمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض علي عمر بن الخطاب

وعليه قميص يجره » . قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال :
«الدين» (١) .

دينه يغطيه ، دينه يستره ، فلا يظهر منه إلا كل جميل ، ولا يخرج من فيه
إلا كل حق .

الثانية : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « بينا
أنا نائم ، أتيت بقدح لبن ، فشربت ، حتى أنى لأرى الرّي يخرج في أظفاري ، ثم
أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » . قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال :
«العلم» (٢) .

سبحان الله ! رجل اجتمع له العلم والدين ، فأى رجل هو ؟

الثالثة : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال :
«بينما أنا نائم ، رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا
القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبراً » . فبكى عمر
وقال : أعليك أغار يا رسول الله (٣) ؟

كيف يغار عمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهو تلميذ من تلاميذه ، وهو حسنة من
حسناته صلى الله عليه وسلم ؟

قتل هذا العظيم وهو يصلي في المحراب ، والعظماء يقتلون دائماً ؛ لتعلم
الأمّة أنهم عظماء ، فتعيش على نهجهم ، وتنظم من دمائهم نظماً زكياً تحيا به ،
وتبني من جماجمهم مكرمات ما كان لها أن تبني ، وتجعل من أشلائهم تحفاً
تتحدى بها التاريخ .

يقول أحد المسلمين من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام من الذين خاضوا

(١) أخرجه البخاري (١ / ١١) ، وأخرجه مسلم (٤ / ١٨٥٩) ، رقم (٢٣٩٠) . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١ / ٢٩) ، وأخرجه مسلم (٤ / ١٨٥٩) ، رقم (٢٣٩١) .

(٣) أخرجه البخاري (٤ / ٨٦٤٨٥) .

المعارك ، وتكسرت سيوفهم على رءوس المارقين ، وسالت دماؤهم نصرة لهذا الدين .

وهو ليس من الشباب الذين تكسرت أيديهم وأرجلهم يوم تزجوا على الثلج في العطلات الصيفية ، أو الذين قتلوا في ساعات السهر الحمراء ، أو الذين تدرجت بهم مسارح الفن فوقعوا على رءوسهم ، لا . إنما هو من شباب الجهاد وطلائع الصحوة .

يقول هذا الشاب :

تأخرت أستبقُ الحياةَ فلم أجد * * * نفسي حياةً مثل أن أتقدماً
وليس على الأعقاب تدمي كلومنا * * * ولكن على أقدامنا يقطر الدما

هذا جيل محمد ﷺ ، يؤزازه ، ويعينه ، أسلم ب ﴿ طه ﴾ وكان أجمل من الشمس في ضحاها ، وأوضح من القمر إذا تلاها ، تولى الأمة فرعاها ، وقاد المسيرة وحبها . فمرحباً بعمر .

أسلم لما سمع : ﴿ طه ﴾ . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى .
تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿ طه : ١٠-٥ ﴾ .

وهل هناك إنسان يستمع إلى هذا الخطاب ثم لا يسلم ؟ هل هناك إنسان يفهم كلام رب البشر ، ثم لا يسري هذا الكلام في ذرات دمه ؟

فهم عمر هذا الخطاب ؛ لأنه العربي القح ، فسرى في دمه ، وانتشر تيار الإسلام في كل جزئية من كيانه .

أسلم ، ووضع يده في يد محمد ﷺ وعاهده ، على ماذا؟ على الاستيلاء على أموال الناس بالباطل ؟ على توسيع القصور والدور ؟ على بناء الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء ؟ على استغلال البشر وتسخيرهم ؟ لا ، إنما بايعه على الحق ، والعدل ، والميزان ، بايعه على لا إله إلا الله .

(فكان عمر في كف الرسول ﷺ سيفًا مصلتًا يهزه للحادثات والمعضلات) .

يقول العقاد : الفرق بين أبي بكر وعمر ؛ أن أبا بكر عرف محمدًا النبي أما عمر فقد عرف النبي محمدًا .

أبو بكر عرف الرسول ﷺ ، في جاهلية أبي بكر وبعد إسلامه ، لكن عمر لم يعرف الرسول ﷺ إلا ساعة ميلاده يوم أسلم ، فكان كلما رأى حدثًا ، كلما رأى زنديقًا ، كلما رأى معترضًا على الرسول ﷺ قال : يا رسول الله ، ائذن لي أضرب عنقه ، ولو أذن له الرسول ﷺ لقتل العشرات !! فهو لا يتأخر لحظة واحدة عن أمر رسول الله ﷺ .

ويموت الرسول ﷺ كما يموت البشر ، لكن عمر رضي الله عنه لم يعترف بذلك ، فقام رافعًا سيفه يقول : من قال إن محمدًا عليه الصلاة والسلام ، قد مات ضربت عنقه بهذا السيف !!

ولكن يتأكد الخبر ، ويتحقق النبأ ، فيطيح عمر على وجهه مغمى عليه ، وكان قوي الجثة ، صلب البنيان ، متين الهيكل ، ولكن أين قوته؟ أين عضلاته؟ أين بنيانه؟ خار في لحظة واحدة .

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها

بفضل ربك حصنًا من أعاديها

قل للملوك تنحوا عن مناصبكم

فقد أتى أخذ الدنيا ومعطيها

كان عمر بن الخطاب يأخذ الدنيا في يوم ، ويسلمها للفقراء في يوم .

تأتيه الموائد من الذهب والفضة على الجمال ، وتدخل المدينة ، وهو يصلي وفي برده أربع عشرة رقعة من الفقر والعوز .

هذا الرجل ؛ يقضي على إمبراطورية هرقل ، ويجعل عاليها سافلها ، ولا يجد خبز الشعير ليأكله مع فقراء المسلمين .

يتولى أبو بكر الخلافة بعد الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فيقف عمر بجانبه كما وقف بجانب رسول الله ﷺ ويكون مستشاره ووزيره .

ويحين أجلُّ أبي بكر ﷺ فيكتب ولاية العهد لعمر ﷺ يقول أبو بكر في كتابه لعمر ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر إلى عمر بن الخطاب ، وأنا في أول أيام الآخرة ، وآخر أيام الدنيا ، فقيراً لما قدمت ، غنياً عما تركت .

أما بعد : فيا عمر بن الخطاب ، قد ولتكَ أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فإن أصلحت وعدلت ، فهذا ظني فيك ، وإن اتبعت هواك ، فالله المطلع على السرائر ، وما أنا على صحبة الناس بحريص .

يا عمر . . اتق الله لا يصرعنك الله مصرعاً كمصرعي ، والسلام .

وتولى عمر خلافة المسلمين ، وبحث عن ميراث أبي بكر ، فإذا هو ثوبان وبخلة ، فبكى وقال : لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر !!

تولى عمر ، وألقى خطبة عظيمة ، بين فيها سياسته ، وأوضح فيها واجباته تجاه الأمة ، وسار في الناس سيرة عمرية ما سمع الناس بمثلها .

كتب عنه الفضلاء ، وتكلم عنه العلماء ، وتدارس سيرته الأذكياء ؛ عمر يطوف المدينة ، عمر رجل العسة الأول ، ينام الناس في عاصمة الخلافة ولا ينام ، يشبع الناس ولا يشبع ، يرتاح الناس ولا يرتاح .

كان ﷺ إذا هدأت العيون ، وتلألأت النجوم ، يأخذ درته ويجوب سكك المدينة ، عله يجد ضعيفاً يساعده ، أو فقيراً يعطيه ، أو مجرمًا يؤدبه .

وبينا هو يمشي في ليلة من الليالي ، إذا بامرأة في جوف دارٍ لها ، وحولها

صبية يبكون ، وإذا قَدِرْ على النار قد ملأته ماء ، فدنا عمر من الباب فقال : يا أمة الله ، ما بكاء هؤلاء الصبيان ؟ قالت : بكأؤهم من الجوع ، قال : فما هذا القدر الذي على النار ؟ قالت : قد جعلت فيه ماء ، هو ذا ، أعللهم^(١) به حتى يناموا ، وأوهمهم أن فيه شيئاً .

فبكى عمر ، ثم جاء إلى دار الصدقة ، وأخذ غرارة ، وجعل فيها شيئاً من دقيق ، وشحم ، وسمن ، وتمر ، وثياب ، ودراهم ، حتى ملأ الغرارة ، ثم قال لمولاه : يا أسلم ، احمل علي . قال : يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك ، فقال : لا أم لك يا أسلم ، أنا أحمله ، لأنني أنا المسئول عنهم في الآخرة ، فحمله حتى أتى به منزل المرأة فأخذ القدر ، فجعل فيه دقيقاً وشيئاً من شحم وتمر ، وجعل يحركه بيده ، وينفخ تحت القدر ، قال أسلم : فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته ، حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ، ويطعمهم حتى شبعوا^(٢) .

كان عمرو بن العاص والياً على مصر في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، عائد بك من الظلم ، فقال عمر : عدت معاذاً^(٣) . قال : سابت ابن عمرو بن العاص فسبقتة ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين !!

لماذا يضربه ؟ أهذا هو نهج الإسلام ؟ أهذه هي العدالة المنشودة التي نزلت من فوق سبع سموات ؟ أهذا ميثاق إياك نعبد وإياك نستعين ؟

فكتب عمر رضي الله عنه إلى عمرو رضي الله عنه يأمره بالقدوم ، ويقدم بابنه معه ، فقدم ، فقال عمر : أين المصري ؟

(١) أعللهم : أشغلهم وأطعمهم .

(٢) قال الكاندهلوي : أخرجه الدينوري ، وابن شاذان ، وابن عساکر ، عن أسلم ، كذا في منتخب الكنتز (٤ / ٤١٥) ، وهو في البداية (٧ / ١٣٦) ، وأخرجه الطبري مع زيادات (٥ / ٢٠) . انظر : حياة الصحابة (٢ / ٣٦٨) .

(٣) عدت معاذاً : أي لجأت إلى ملجأ يحميك .

ثم قال : خذ السوط فاضرب ، فجعل المصري يضرب ابن عمرو بالسوط .
ويقول عمر : اضرب ابن الأكرمين .

قال أنس : فاضرب والله ، فما أفلح عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه . ثم قال
عمر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه مذ كم تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ قال : يا
أمير المؤمنين ، لم أعلم ، ولم يأتيني ^(١) .

تلك هي عدالة عمر رضي الله عنه وتلك مقولته الخالدة : متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ .

متى كانوا عبيداً ؟ متى كان هذا الإرهاب والاضطهاد ؟

إذا كان هذا هو الميزان فما فائدة الإسلام ؟ وماذا نفعل بالكتاب والسنة ؟

وتستمر مسيرة عمر رضي الله عنه ويدخل عام الرمادة ، سنة ثمانين عشرة للهجرة ،
فيقضي على الأخضر واليابس ، يموت الناس جوعاً ، فحلف عمر لا يأكل سمياً
حتى يرفع الله الضائقة عن المسلمين ، وضرب لنفسه خيمة مع المسلمين حتى
يباشر بنفسه توزيع الطعام على الناس ، وكان رضي الله عنه يبكي ويقول : آله يا عمر ،
كم قتلت من نفس !!؟

وهل قتل عمر أحداً ؟ لا والله ما قتل ، وإنما أحيا الله به النفوس .

وقف على المنبر يوم الجمعة بسرده المرقع ، ووالله لو أراد أن يبني بيته من
الذهب الخالص لاستطاع ، ولو أراد أن يمشي من بيته إلى المسجد على الحرير
والإستبرق لاستطاع ، ولو أراد أن يجعل أسوار المدينة من الزبرجد لاستطاع ،
ولكنه يقف أثناء الخطبة ، فيقرقر بطنه ، أمعاؤه تلتهب من الجوع ، فيقول لبطنه :
قرقر ، أو لا تقرقر ، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين .

(١) قال الكاندهلوي في حياة الصحابة (٢ / ٢٦) : أخرجه ابن عبد الحكم عن أنس ، كما في منتخب الكنز
(٤ / ٤٢٠) .

• أيها الناس :

هذا تاريخنا ، فهل لنا تاريخ غير تاريخ عمر ؟ بماذا نتكلم مع الأمم ؟ بماذا نفتخر ؟ بماذا نتصدى للهجوم البشع على الإسلام ؟

يصلي بالناس صلاة الاستسقاء ، فلا يدرون ماذا يقول من البكاء ، ويسأل الله أن لا يجعل هلاك الأمة في عهده ، فينهل الغيث كالجبال ، وتعود الحياة إلى المدينة .

يأتي الهرمزان - مستشار كسرى - لابساً تاجاً من ذهب وزبرجد ، وعليه الحرير ، يدخل المدينة ، فيقول : أين قصر الخليفة ؟ قالوا : ليس له قصر .

قال : أين بيته ؟ فذهبوا فأروه بيتاً من طين وقالوا له : هذا بيت الخليفة !!
قال : أين حرسه ؟ قالوا : ليس له حرس !!

يقول شوقي :

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالحوادث كلهن أمان

فطرق الهرمزان الباب ، فخرج ابنه ، فقال له : أين الخليفة ؟ فقال :
التمسوه في المسجد ، أو في ضاحية من ضواحي المدينة ، فذهبوا إلى المسجد ،
فما وجدوه ، فبحثوا عنه ، فوجدوه نائماً تحت شجرة ، وقد وضع درته بجانبه ،
وعليه ثوبه المرقع ، وقد توسد ذراعه ، في أنعم نومة عرفها زعيم .

وكأني بالهرمزان يتساءل في نفسه ، أهذا عمر؟

أهذا الذي فتح الدنيا ؟ هذا الذي دوخ الملوك؟ هذا الذي داس جماجم
الخنوة؟ ينام تحت شجرة ؟ فانهدَّ الهرمزان من الدهشة .

وقال : حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر .

قال حافظ إبراهيم :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً * * * بين الرعية عطلاً وهو راعيها
فوق الشرى تحت ظل الدّوح مشتملاً * * * ببردة كاد طول العهد يبليها
فقال قولة حقّ أصبحت مثلاً * * * وأصبح الجيل بعد الجيل يرويهها
أمنتَ لما أقيمت العدل بينهمو * * * فنمتَ نومَ قرير العين هانيها

ولما كان آخر ولايته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قدم نفسه للمحاكمة ، وجسمه للقصاص ، وماله للمصادرة ، وأعلن في الناس ؛ إن كان خدع أحداً ، أو ظلم أحداً ، أو سفك دم أحد ، فهذا جسمه ، فليقتص كل واحد منه ، فلما فعل ذلك ارتج المسجد بالبكاء ، وأحس المسلمون أنه يودعهم ، ثم نزل من على المنبر ، واستودع الله الأمة ، وكانت هذه هي آخر جمعة يلتقي فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأن مواعده كان مع المجرم أبي لؤلؤة المجوسي - لعنه الله - ، وهذا ما سوف نستعرض له في الخطبة الثانية إن شاء الله تعالى .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* * *

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً .

● أيها الناس :

يقول نبيكم ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل
الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١) .

هذا كلام القائل ﷺ فكيف يكون الجنود ، هذا الأستاذ ، فكيف يكون
الطلاب ، ينبغي أن يكونوا قمماً من العزة والتضحية ، وقذائف من البذل والعطاء .
وكان عمر رضي الله عنه دائماً ما يسأل الله الشهادة في سبيل الله - تبارك وتعالى .

حج عمر رضي الله عنه بالمسلمين آخر حجة له ، ووقف يوم عرفة ، فخطب الناس
خطبة عظيمة ثم استدعى أمراء الأقاليم وحاسبهم جميعاً أمام الناس ، واقتصر
لناس منهم وبعد أن انتهى ذهب ليرمي الجمرات ، فرماه أحد الحجاج بحصاة في
رأسه ، فسأل دمه ، فقال عمر : هذا قتلي ، يعني أنني سوف أقتل .

نعم سوف يقتل ، لا يموت كما يموت الذين أصابتهم التخمة ، فكان موتهم
بسبب كثرة ما أكلوا وشربوا ، ولم يقدموا شيئاً .

قال سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - : لما صدر عمر بن الخطاب من منى ، أناخ
بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ، ثم طرح عليها رداءه ، واستلقى ، ثم مد يديه
إلى السماء فقال : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ،
فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ، ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال : أيها

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٤) ، وأخرجه مسلم واللفظ له (٣ / ١٤٩٦) ، رقم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الناس ، قد سُنَّتْ لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتُركتكم على الواضحة ، إلا أن تضلوا بالناس يمينًا أو شمالاً ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى (١) !! .

قال سعيد بن المسيب : فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر - رضي الله عنه .

علوُّ في الحياة وفي الممات * * * بحق أنت إحدى المعجزات
وما لك تربةٌ فأقول تُسقى * * * لأنك مثل هطل الهاطلات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن * * * يواروا فيه تلك المكرمات
أساروا الجوّ حولك واستعاضوا * * * عليك اليوم صوت النائحات
رجع إلى المدينة، وهو يتمنى الشهادة ، قالت له حفصة ابنته : يا أبتاه : موت
في سبيل الله ، وقتل في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم !! إن من أراد أن يقتل، فليذهب
إلى الثغور ، فيجيب عمر : سألت ربي، وأرجو أن يلي لي ربي ما سألت .

أكفانهم بدماء البذل قد صبغت * * * الله أكبر من سلسالها رشفوا
في كفك الشهم من حبل الهدى طرف * * * على الصراط وفي أرواحنا طرف
وصل عمر إلى المدينة، ورأى في المنام ؛ أن ديكا ينقره نقرتين أو ثلاث،
فعبروا له الرؤيا، فقالوا : يقتلك رجل من العجم ، فقام وخطب الناس،
وأخبرهم أنه سوف يغادر هذه الدنيا، وأن أجله قد اقترب .

تأخرت عن وعد الهوى يا حبيبا * * * وما كنت عن وعد الهوى تتأخر
سهرنا وفكرنا وشابت دموعنا * * * وشابت ليالينا وما كنت تحضرن
أيأ عمر الفاروق هل لك عودة * * * فإن جيوش الروم تنهى وتأمرون
رفاقتك في الأغوار شدوا سروجهم * * * وجيشك في حطين صلوا فكبروا
نساء فلسطين تكحلن بالأسى * * * وفي بيت لحم قاصرات وقصرن
وليمون يافا يابس في حقوله * * * وهل شجر في قبضة الظلم يثمر

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٨٢٤) ، رقم (١٠) .

ودع عمر الدنيا ، ليس عنده شيء يورثه ، عنده بيت من طين ، وبغلته ، وثوبه المرقع ، ودرته هذه دنيا عمر .

فأين الأموال ؟ وأين القصور ؟ وأين الصولة والصولجان ؟ ولكن هناك عقيدة خالدة ، ومبادئ رشيدة ، تتعدى حدود الزمان والمكان ، لأنها تنزيل من الحكيم الحميد .

صلى عمر الفجر ، وفي أثناء الصلاة ، أتاه الفاجر أبو لؤلؤة المجوسي الذي ما سجد لله سجدة ، فكانت نهاية هذا الطود الشامخ على يديه .

مولى المغيرة لا جادتك غادية * * * من رحمة الله ما جادت غواديها
مزقت خير أديم حشوه همم * * * في ذمة الله عاليها ودانيها

انتهى عمر من قراءة الفاتحة ، وبدأ يقرأ في سورة يوسف ، وكان يحب أن يقرأ بها ، فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] بكى ، وبكى الناس جميعاً ، حتى سمع النسيج من آخر الصفوف ، ثم كبر راکعاً ، فتقدم الشقي إليه بخنجر مسموم ، فطعنه بست طعنات ، فوقع وهو يقول : حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم .

والغريب أن أكثر الناس ما شعروا ، إلا بعد أن تقدم عبد الرحمن بن عوف ، فأكمل بهم الصلاة ، لأن هذه الأمة كانت تصلي والسيوف على رءوسها في المعركة ، كانت تصلي والجيوش ملتحمة في ساحة القتال .

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم * * * والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرأ
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا * * * في مسمع الروح الأمين فكبرا

تقدم ابن عوف فأكمل الصلاة بالمسلمين ، وفزع الناس إلى عمر ، أين صوت عمر ؟ أين صوت الخليفة ؟ أين الحبيب ؟ أين العادل ؟ أصبح في سكرات الموت ، يسأل وهو في سكرات الموت : من قتلني ؟ قالوا : قتلك أبو لؤلؤة المجوسي .

قال : الحمد لله الذي جعل قتلي على يد رجل ما سجد لله سجدة .
 كان يسأل وهو في سكرات الموت : هل صليت ؟ هل أكملت الصلاة؟ قال :
 لا . قال : الله المستعان .

كل أمنياته أن يكمل الصلاة ؛ ليلقى الله - تعالى - وقد صلى صلاة الفجر ،
 لم يسأل عن ولاية ولا عن ولد ، ولا عن بلد ، ولا عن زوجة ، ولا عن
 ميراث ، وإنما سأل عن الصلاة ، ولم يهدأ له بال حتى أتمها .

قال أحد الصحابة : ظننا أن القيامة قد قامت يوم قتل عمر . .

من لجسم شَفَّهُه طوْلُ النوى * * * ولعين شَفَّها طوْلُ السهر
 جسد لَفَّف في أكفانه * * * رحمة الله على ذاك الجسد

وضعوه في البيت ، وأحضروا له وسادة ، فنزعها وقال : ضعوا رأسي على
 التراب لعل الله أن يرحمني ، وأخذ يبكي ويقول : يا من لا يزول ملكه ،
 ارحم من زال ملكه .

وسلاطينهم سلوا الطين عنهم * * * والرءوسُ العظام صارت عظاما

ودعا عمر أطفال المسلمين ، فدخلوا يبكون ، فقبلهم واحداً واحداً ، ومسح
 على رءوسهم .

قدموا له لبناً ، فلما شربه ، خرج من كبده ، فقال : الله المستعان .

ثم دخل الشباب ، فحياهم ، ورأى شاباً في ثوبه طول ، فقال له : يا ابن

أخي تعال ، فدنا منه الشاب ، فقال له عمر : ارفع إزارك !!

يقول أحد الفضلاء :

أمير المؤمنين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو في سكرات الموت ، دمه

يخرج من فمه ومن بين أضلاعه ، ويقول لهذا الشاب قصر ثوبك !!

فديننا كله لُبَّاب ، ليس فيه قشور ، قال : ارفع إزارك فإنه أتقى لربك ، وأنقى لثوبك ، فذهب الشاب وهو يبكي لموت عمر رضي الله عنه .

دخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلقي كلمات الوداع ، التي ما رأيت أصدق منها ، إذا ودع الحبيب حبيبه .

اتكأ عليّ على ابن عباس رضي الله عنهما والدموع تفيض من عينيه ، وأخذ يقول لعمر : يا أبا حفص ، والله لظالما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر ، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فأسأل الله أن يحشرك مع صاحبيك .

قال عمر : يا ليتني أنجو كفافاً ، لا لي ، ولا علي ، ثم أخذ يقول : الله الله في الصلاة . وسألهم وهو في الموت أيضاً : أين أدفن ؟ قالوا : ندفنك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا أزكي نفسي ، فما أنا إلا رجل من المسلمين استأذنوا عائشة في ذلك . فلما مات - رضي الله عنه - ذهبوا إلى عائشة رضي الله عنها واستأذنها في أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : لقد هيأت هذا المكان لنفسي ، لكن والله لأؤثرن عمر به ، ادفنوه مع صاحبيه .

فجزى الله عمر عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون .
● أيها الناس :

هذه شخصية من شخصيات العالم الإسلامي ، التي قدمها محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى البشرية .

هذا خليفة راشد ، هذا إمام عادل .

يقول عليّ ، وعمر يكفن ، قبل أن يصلى عليه : والله ما أريد أن ألقى الله بعمل رجل إلا بعمل رجل مثلك .

فاللهم أرنا وجه عمر في الجنة ، واحشرنا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مقعد

صدق عند ملك مقتدر ، واجمع بيننا وبينه كما آمنا به ولم نره ، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله .

● أيها الناس :

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ { الأحزاب : ٥٦ } .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ مدرسة الاستهزاء ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المؤمنون :

خطبتنا هذا اليوم بعنوان : « مدرسة الاستهزاء » ، وهي مدرسة قديمة ، أنشأها الأفاكون المارقون لمحاربة الصالحين ، عبر حقب التاريخ .
 وقد عاش مرارتها وبأسها وقسوتها رسولنا ﷺ ، لقد شوه الأفاكون مسيرته ، وتكلموا في عرضه ، وأرادوا النيل من مبادئه ، وإحراق جهاده ودعوته .
 فكان ﷺ يقوم في الليل مجروحاً ، متأثراً ، شاكياً إلى الله تعالى .

يخرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه ، يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، فينصرف حزيناً ، فيأتي ظل شجرة ، فيجلس ، ثم يقول : « اللهم إنني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على

الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ، أم إلى قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي . أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ؛ أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العتبي (١) حتى ترضى ولا قوة إلا بالله » (٢) .

آذوه ﷺ وأبكوه وطردهوه وأخرجوه من أرضه وجردهوه من كل شيء وهو يدافع عن دينه ، ويذب عن مبادئه حتى إذا تعب أو كلّ ، أتى الوحي من السماء يدمغ أنوف المارقين ، ويفضح قلوب المستهزئين .

جلس ﷺ مع أصحابه في المسجد يعلمهم ويربيهم ويزكيهم وانطلق شاب صغير مليء حكمة وإيماناً ، اسمه عمير بن سعد ، ودخل على عمه ، وهو شيخ كبير في الستين من عمره ولكن النفاق في قلبه كالجبال يصلي مع الناس في المسجد ويصوم ويعتمر ؛ ولكنه مكذب بالرسالة والرسول .

فقال عمير بن سعد : يا عماه ، سمعت الرسول ﷺ يخبرنا عن الساعة حتى كأني أراها رأي العين ، فقال الجلاس بن سويد وهو عمه : يا عمير ، والله إن كان محمد صادقاً فنحن شر من الحمير فانتقع وجه عمير بن سعد واهتر جسمه وانتفض كيسانه وقال : يا عم ، والله إنك كنت من أحب الناس إلى قلبي ، ووالله لقد أصبحت الآن أبغضهم إلى قلبي جميعاً .

يا عم ، أنا بين اثنتين ؛ إما أن أخون الله ورسوله ، فلا أخبر الرسول ﷺ بما قلت ، وإما أن أخبر الرسول ﷺ ، وليكن ما يكون .

ولكن ما معنى كلمة الجلاس هذه ؟ معناها : الكفر ب : لا إله إلا الله ، وعدم تصديق الرسول ﷺ والاعتراض عليه .

(١) العتبي : الرضى .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٣٨) : رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقيه رجاله ثقات .

قال الجلاس بن سويد : أنت طفل غرّ لا يصدقك الناس ، فقل ما شئت ، فذهب عمير ، وجلس أمام الرسول ﷺ ، وقال : يا رسول الله ، الجلاس بن سويد ، خان الله ورسوله ، وهو عمي ، وقد تبرأت إلى الله ثم إليك منه . قال الرسول ﷺ : وماذا قال ؟ قال عمير : قال : لو كان محمد صادقاً ، لنحن شر من الحمير !!

فجمع الرسول ﷺ الصحابة واستشارهم في هذا الأمر ، فقالوا : يا رسول الله هذا طفل صغير لا تصدقه فهو لا يعي ما يقول ، والجلاس بن سويد يصلي معنا ، وهو شيخ كبير وعاقل ، فسكت ﷺ ولم يصدق هذا الغلام .

وسالت دموع هذا الغلام ، وانتفض جسمه والتفت إلى السماء ؛ توجه إلى الذي يعلم السر وأخفى ؛ ثم قال : اللهم إن كنت صادقاً فصدقني ، وإن كنت يا رب كاذباً فكذبني ، فوالله ما غادر مجلسه ، ولا قام من المسجد إلا وجبريل ينزل بتصديقه من فوق سبع سموات ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٧٤] .

واستدعى الرسول ﷺ الجلاس فسأله عن الكلمة فحلف بالله ما قالها ، فقال ﷺ يقول الله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ أما أنت يا جلاس ، فقد كفرت بالله ، فاستأنف توبتك ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

واستدعى الرسول ﷺ عمير بن سعد وقال له : مرحباً بالذي صدقه ربه من فوق سبع سموات (١) .

ماذا يستفاد من هذه القصة؟ ومن هذا السرد؟ يستفاد أن هناك معسكراً يسير مع الصالحين ، ويصلي مع الصالحين ، ويصوم مع الصالحين ، وهو في الحقيقة مكذب بالله ورسوله .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٦٣ ، ٤٦٤) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر .

وظيفة هذا المعسكر الولوغ في أعراض الصالحين من العلماء والدعاة ، كما تلغ الكلاب في الماء .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ {الفرقان : ٣١}

يقول المتنبي :

كم تطلبون لنا عيباً فِعْجِزُكُمْ * * * ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن مألٍ * * * هم الثريا وذان الشيب والهرم

إن المستقيمين على أمر الله ، والطائعين والخائفين من الله تعالى من شباب الصحوة المباركة ومن دعائها ، ومن علماء الأمة ، وصالحيتها ومن الذين يحملون سنته ﷺ كل هؤلاء يواجهون بحرب دعائية مفتعلة لا هوادة فيها، فهم يوصفون بالتطرف والتزمت تارة ، وبقلة العقل والتشدد والتنفير تارة، وتكليف الناس بما لا يطيقون تارة أخرى، وغير ذلك من عبارات الذم والتنقص والاستهزاء .

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ {سورة الكهف الآية : ٥}

إن أتباع محمد ﷺ لم يسرقوا أموال الناس ولا أراضيهم بالغصب والقوة .
إن أتباع محمد ﷺ لم يضايقوا الناس في أرزاقهم .
إن أتباع محمد ﷺ لم يعطلوا مصالح الناس ، ولم يستهينوا بالفقراء والمساكين ، ولم يقفوا حجر عثرة في طريق المستضعفين .

إنهم هم الذين يبينون الظلم، ويكشفون أوراقه ويقولون للظالم: اتق الله يا ظالم ويقفون مع الفقراء والمستضعفين والمستنذلين حتى يأخذوا حقوقهم .

ومع هذا كله فإن صنفاً من الناس لا يعجبه هذا فيأخذ في إلحاق الوشائيات بحملة الشريعة ، وأساتذة الجليل ، من القضاة ، وأهل التمييز ، والعلماء والقائمين على دواوين المظالم ، وكتاب العدل ، ونجوم الدعوة ، وحملة السنة ، وأساتذة الجامعات والمربين وأهل الفضل .

تريد هذه الطائفة من البشر أن تسقط عدالة هؤلاء جميعاً؛ لأنهم صراحة يحملون دين الرسول ﷺ ويحمونه من كيد الكائدين وتحريف المبطلين ويبلغونه غضاً طرياً للأمة . فحذار أيها الناس من هؤلاء، حذار من الإنصات إليهم أو الحضور لهم أو مخالطتهم .

والحمد لله فإن أوراقهم مكشوفة ، فما رأيانهم إلا لاغين لاهين عابثين مسرفين .

أسرفوا في الأموال وضيعوها ولعبوا في الأوقات وبددوها وخاضوا في الأعراض وهتكوها، وكلما نصحت أحداً منهم ، وصفك بالرجعية والغلظة والتزمت !!

حملة الشريعة يقومون الثلث الأخير من الليل ويحفظون كتاب الله ويعلمون الناس سنة النبي ﷺ .

أما هؤلاء فنجدهم يسهرون على اللُعبِ المحرمة ، وعلى الأفلام الهابطة ، وعلى الأغنية الخليعة .

يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويتفكهون بالخوض في أعراض المسلمين .

فدخلهم حرام ، وكلامهم حرام ، وصمتهم حرام ، وليلهم حرام ، ونهارهم حرام ، ولا يحرص أحدهم على تعلم آية من القرآن ، أو سنة من سنن سيد الأنام ﷺ ، فهم في واد والسنة في واد آخر .

قام نفر في عهده ﷺ واتهموا الرسول ﷺ وأصحابه بأنهم جبناء لا يثبتون عند اللقاء وأنهم يأكلون كثيراً، قالوا ذلك وهم قافلون من غزوة تبوك، فاستدعاهم ﷺ ، وسألهم وأعاد عليهم كلمتهم فقالوا: معذرة يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله - عز وجل - فيهم قرآناً يتلى إلى قيام الساعة :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (١) [سورة التوبة الآيتان: ٦٥: ٦٦] .

لقد خرج هؤلاء النفر من الملة بسبب كلمة قالوها في حق محمد ﷺ وأصحابه .

ولست أدري ماذا يُعْجِب هؤلاء ؟ وماذا يريدون لهذه الأمة ؟ هل يريدون أن تتحول الأمة إلى أمة لاهية ؟ لا تحمل رسالة ، ولا تعرف هدفاً لها في الحياة !!

ماذا يريدون صراحة ؟ وما الحل الذي يرضيهم !؟

إن تمسك الشباب بالسنة ، بغضوهم إلى المجتمع ، وحذروا منهم ، ورموهم بالتهم والشائعات .

وشبابنا وشباب العالم الإسلامي الذي تمسك بالسنة ، ورأى فيها مصدر عزته وكرامته ، تاج على جبين هذه الأمة ، لا تطرف ، لا عنف ، لا تشدد ، لا غلو ، لا تفريط .

أهؤلاء الشباب أفضل أم أولئك الذين خرجوا عن معالم الإسلام؟ فتراهم يملئون الشوارع ويتسكعون في الطرقات ، ويسافرون إلى المدن التي تعرف بالفساد ، لينفقوا فيها أموال الأمة .

أهؤلاء الشباب أفضل أم أولئك الذين إذا حضروا ما أقاموا الصلاة ؟ وإذا قرءوا ففي غير المصحف ، وإن شهدوا فبغير الحق ، وإن استمعوا فإلى الحرام ، وإن ذهبوا فإلى غير المساجد ، وإن غضبوا فلغير الله ؟

فأي الفريقين أحسن وأسعد وأقوم وأنفع؟ ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة القلم الآيتان : ٣٥ ، ٣٦] .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) ، وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

لقد وجدنا الملتزمين أكثر الناس دفاعاً عن المبادئ، وعن البلاد الإسلامية فتراهم هناك في فلسطين، وفي أفغانستان وقد اختلطت دماؤهم بدماء الشعب الأفغاني المسلم، فهل هذا جزاؤهم؟ وهل هذه جريمتهم؟! .

لشَّان ما بين اليزيديين في النِّدا * * * يزيد بن عمرو والأغر بن حاتم
فهمُ الفتى الأزديّ إتلافُ ماله * * * وهمُ الفتى القيسيّ جمعُ الدِّراهم
ولا يحسبُ التَّمْتامُ أني هَجَوْتُهُ * * * ولكنني فضلتُ أهلَ المكارم

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {سورة التوبة الآية : ٧٩} .

ويقول أيضاً : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ شَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ {البقرة الآيات : ١٤-١٦} .

● أيها المسلمون :

قال ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف بيته » (١) .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤ / ٢٧٠) رقم (٤٨٨٠) . والترمذي (٤ / ٣٣١) ، رقم (٢٠٣٢) وقال : حسن غريب . وأخرجه أحمد (٤ / ٤٢١) رقم (٤٢٤٠) . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٩٨٤ ، ٧٩٨٥) .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه
والتابعين .

● أما بعد .. أيها الناس :

إن عادة ضعاف النفوس أنهم يتلقون الشائعات ، ثم يفشونها في الناس ،
وينشرونها في المجالس ، ولا يعرضون هذه الشائعات على ميزان الكتاب والسنة .

وقبل أيام انتشرت شائعة ، أن مولوداً ولد ، فلما وضعت أمه على الأرض
تكلم ، وأخبر أن في هذا الشهر ، سوف تقع حوادث ووقائع وكائنات ، وأخذ
يحذر الناس من هذا الشهر ، ثم ما لبث أن مات .

فماذا كان رد الفعل بعد سريان تلك الشائعة ؟

رأينا أناساً من الذين نقص حظهم من العلم الشرعي ، والفقهاء في الدين ،
خائفين وجلين من هذه الشائعة ؛ فمنهم من جدد توبته مع الله ، تصديقاً لهذه
الشائعة ، ومنهم من أعلن أنه سوف يترك المعاصي ، ومنهم من سهرت عينه فلم
ينم خوفاً مما سوف يحدث من الوقائع والكوارث .

وهذه عجائب - والله - بعضها أدهى من بعض ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ
النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
قُبُلًا ﴾ {سورة الكهف الآية : ٥٥} .

وفي هذه القصة أمور :

أولاً : لا يعلم الغيب إلا الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ {سورة النمل الآية : ٦٥}

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ {سورة الأنعام الآية : ٥٩} .

فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وحده ، ولا يعلم بوقوع الكوارث ولا نزول العذاب إلا الله تبارك وتعالى وحده .

فليس لأحد أن يدعي أنه يعلم شيئاً من الغيب ، إلا من أطلعه الله على ذلك من أنبيائه ورسله ، عليهم الصلاة والسلام .

ثانياً : ينبغي على أهل الإسلام ، إذا حدث مثل هذه الشائعات ، أن يعودوا إلى أهل العلم والدعوة ، فيسألوهم عن هذه الأمور حتى لا يقعوا فيما حذر منه الشرع .

وقد قال تعالى عن المرجفين والمروجين للإشاعات ، وأهل الإثارة : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٣] .

فالواجب على المسلم أن يعود إلى أهل العلم فيما أشكل عليه ، يسألهم مباشرة عن هذه الواقعة أو الشائعة .

ثالثاً : عجباً لهذه الأمة ، لا تتوب إلا إذا سمعت بشائعة ، ولا تعود إلى الله إلا إذا هددت ببركان أو زلزال !! .

كم أصابتنا من كوارث ، وكم لدغتنا من عقارب ، ومع ذلك فنحن في مكاننا لم نتعداه ﴿ أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١٢٦] .

تجد الناس في الرخاء لاهين ، لاعيين ، يضحكون على أنفسهم ، فإذا اشتدت بهم الخطوب ، وظهرت الكوارث والمحن ، أعلنوا عهداً جديداً مع الله ، ثم يعودون مرة أخرى بعد انتهاء المحنة إلى ما كانوا عليه من الغفلة والمعصية !!

فها هم الآن قد صدقوا تلك الشائعة التي أذاعها مروج كذاب ، على لسان طفل رضيع ، لم يتكلم ، ولم ينطق ، فأعلنوا أنهم سوف يحضرون الصلاة مع

الجماعة ، وسوف يحافظون على قراءة القرآن والذكر ، وسوف ينتهون عن الكبائر والصغائر ، حتى إذا بردت الشائعة وظهر كذبها ، ردوا لما كانوا ، وعادوا إلى حالهم الأول .

● أيها الناس :

إن الواجب علينا جميعاً أن نتوب إلى الله عز وجل توبة نصوحاً ، وأن نستعد للقاءه سبحانه وتعالى ، وأن نعبد الله عز وجل في السراء والضراء ، وأن نكثر دائماً من ذكر الموت ، لأنه يمكن أن تكون وفاة الواحد منا قبل ذلك الوقت الذي حددته تلك الشائعة . فتجهزوا عباد الله للقاء ربكم ، وتهيئوا ليوم العرض على خالقكم ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور .

ويادرن بالتسوية النصوح * * قبل احتضار وانتزاع الروح
لا تحقر شيئاً من المآثم * * وإنما الأعمال بالخواتم
ومن لقاء الله قد أحبا * * كان له الله أشد حبا
وعكسه الكاره فالله اسأل * * رحمته فضلاً ولا تتكل

فالتوبة التوبة أيها الناس ، والعودة العودة إلى الله ، تصديقاً بالوحي ، والتزاماً بالأمر ، ومحبة لله تبارك وتعالى تفقهوا في الدين ، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، جعلني الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

● عباد الله :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} .
ويقول ﷺ : « من صلى علي صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » (١) .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ المؤذن الأول ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ اللهِ ، وأحسنَ الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المؤمنون :

من هو المؤذن الأول ؟ من هو أول من صدع بصوت الحق ؟ على منارة الحق ، في دنيا الحق ؟

إنه المولى الضعيف المسكين ، الذي رفعه هذا الدين ، فأصبح من ورثة جنة

النعيم .

بلال بن رباح ، اسم يحبه المؤمنون ، وصوت تتعشقه آذان الموحدين .

ولا بد للمسلم أن يولد ميلادين ، وأن يعيش حياتين ؛ الأول : يوم ولدته

أمه ، والميلاد الثاني : يوم ولد في هذا الدين .

وبلال رضي الله عنه وأرضاه ، ولد ميلادين ، وعاش حياتين ، ولد مولى ، أسره

الجبارة ، وسلطوا عليه سياط العنف والكبر والعنجهية ، فكان لا حساب له ، ولا رأي ، ولا تأثير في الحياة ، وأخذ إلى مكة مفصولاً معزولاً عن أهله وأمه ، وعاش في مكة ، عبداً ذليلاً .

وفجأة ، صدح الرسول ﷺ بالحق هناك من على الصفا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وذهب ﷺ إلى سادات مكة ، يدعوهم إلى الحق ، فكفروا به ، وكذبوه وأذوه وشتموه ، فأنزل الله عليه ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ {سورة الكهف الآية : ٢٨} لا عليك من هؤلاء الكبار ، إنهم صغار عند الله ، لا تعبأ بهم ، ولا تعطهم شيئاً من وقتك ، ما دام هذا صنيعهم ، ولا تظن أن الإسلام سوف ينتصر على أكتاف هؤلاء المتكبرين ، ولكن كن مع الذين يريدون وجه الله والدار الآخرة ، كن مع المساكين الفقراء ، كن مع الضعفاء والمستضعفين ، ابحث عنهم ، وقربهم من مجلسك .

وبدأ الرسول ﷺ يبحث عن هؤلاء فوجدهم في عالم الضعف ، وعالم الذل ، وعالم المسكنة ، وكان بلال رضي الله عنه أحد هؤلاء .

رأى بلال محمداً ﷺ فأحبه ، والسر الذي زرعه الرسول ﷺ في القلوب هو الحب ، لقد فجر محمد ﷺ أنهار الحب في قلوب أصحابه ، حتى كان الواحد منهم في المعركة ، يقدم صدره أمام صدر الرسول ﷺ ، ويتمنى أن ينشر جسمه بالمناشير ، ويقطع إرباً إرباً ، ولا يشاك رسول الله ﷺ بشوكة ويقول : نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله .

إنه الحب الذي جعله الله في القلوب لهذا النبي العظيم ، أحب بلال محمداً ﷺ ، حباً استولى على سمعه وبصره وقلبه ، فأصبح يتحرك بحب رسول الله ﷺ ، يأكل وشخص الرسول ﷺ أمام عينيه ، ويشرب والرسول ﷺ مائل أمامه ، ولسان حاله يقول :

أحبُّك لا تسأل لماذا لأنني * * * أحبُّك هذا الحبُّ رأبي ومذهبي

ويقول أيضاً :

أحبُّك لا تفسيرَ عندي لصبوتي * * * أفسرُ ماذا والهوى لا يُفسرُ

فلما أحبه شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأحب الدين ؛ لأنه دين يكره الرق والعبودية لغير الواحد الأحد ، ويكره الظلم ويحارب الظلمة .

فلما أسلم بلال رضي الله عنه ، اجتمع عليه الجبابرة ، وأذاقوه أليم العذاب ؛ لتركه لا إله إلا الله فأبى ، سجنوه ، ضربوه ، قيدوه بالحبال ، جروه من قدميه ، يأكل الحصى من لحمه وعظمه ، ألقوه في الصحراء في حر الظهيرة والشمس ملتهبة ؛ ليعود إلى الكفر فأبى ، وقالها كلمة خالدة أبدية : أحد أحد .

من هو الواحد الأحد ؟ هو الذي أرسل هذا الرسول ، وأوجد هذا الإنسان وفرض هذا الدين .

لطموه على وجهه ، فارتفع صوته متأثراً متأثراً مجروحاً : أحد أحد ، ضربوه بالسياط حتى أكلت الشياطين من لحمه ودمه وهو ينشد أحد أحد ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص الآيات : ١ - ٤] .

إنها إرادة ينشئ لها الحديد ، إنها المعجزة الكبرى التي أتى بها رسولنا صلى الله عليه وسلم كيف حوّل هؤلاء الأعراب والموالي والرقيق من أناس فقراء مستضعفين إلى كتائب تزلزل الدنيا بلا إله إلا الله ؟ ! .

يقول إقبال شاعر الإسلام :

وأصبح عابِدو الأصنام قِدماً * * * حماة البيت والركن اليماني

ومر أبو بكر - رضي الله عنه - أمام بلال وهو يعذب ، فقال لمولاه أمية بن خلف المجرم: أشتريه منك يا أمية ، فقال أمية : خذه ولو بعشرة دنانير . قال أبو بكر: والله لو جعلت ثمنه مائة ألف دينار لاشتريته منك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ،

فأنزل الله: ﴿ وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى . الَّذِي يُرْتَى مَالُهُ يَتَزَكَّى . وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [سورة الليل الآيات : ١٧ - ٢١] . أعتقه أبو بكر رضي الله عنه وهو لا يريد منه جزاءً ولا شكوراً ، ثم ذهب به إلى الرسول صلوات الله عليه ممزق الثياب يتساقط دمه ولحمه من شدة التعذيب ، فأخذه صلوات الله عليه واحتضنه ، كما تحتضن الأم طفلها ، ودعا له وعينه مؤذنه الأول ، أول مؤذن في التاريخ .

فكان كلما حان وقت الصلاة قام بلال يهتف : الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . الله أكبر . . فتتفض أجساد المؤمنين من صوته ، كما ينتفض الجسد إذا صدمه تيار الكهرباء !!

وكان كلما أهم الرسول صلوات الله عليه أمر أو أصابه كرب ، نادى بلالاً : « أرحنا بها يا بلال » (١) ، فيؤذن بلال للصلاة .

كان يأتي للرسول صلوات الله عليه بماء الوضوء والعنزة ، وكان يأخذ حذاءه في يده ، ويرى أن ذلك شرف لا يعدله شرف .

وكان صلوات الله عليه يحبه ويدينه منه ، وسرى هذا الحب في قلب بلال فعوضه عن كل شيء عن أهله في الحبشة ، وعن أقربائه وجيرانه وتاريخه هناك ، ولكن كفى بحب محمد صلوات الله عليه .

وفي ذات يوم قال صلوات الله عليه لبلال : « حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإنني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة » .

الله أكبر ، أي جائزة أعظم من أن يعرف إنسان أنه من أهل الجنة وهو لا زال يعيش في هذه الدنيا .

فيجيب بلال رسول الله صلوات الله عليه قال : « ما عملت عملاً أرجى عندي من أنني

(١) أخرجه أبو داود (٤ / ٢٩٦) رقم (٤٩٨٥ ، ٤٩٨٦) ، وأحمد (٥ / ٣٦٤ ، ٣٧١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢) .

لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار ، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي » (١) .

بلال من أهل الجنة ، شهد أهل السنة بذلك ، لأن الرسول ﷺ شهد له بذلك .

كان ﷺ خفيف الجسم ، ممشوق القامة ، لونه أسود ، وهذه قضية لا قيمة لها ولا وجود لها في الإسلام .

وكله ﷺ في غزوة من الغزوات بحراسة الجيش ، وقال : « من يوقظنا للصلاة ؟ » قال بلال : أنا يا رسول الله ، فنام الجيش وقام بلال يصلي طيلة الليل ، فلما كان قبيل الفجر ، حدث بلال نفسه بأن يضطجع قليلاً ليستريح ، فاضطجع ، فنام وأتت الصلاة والرسول ﷺ نائم ، والجيش نائم ، وبلال نائم ، حتى طلعت الشمس ، وكان أول من استيقظ بعد طلوع الشمس أبو بكر ﷺ ثم عمر بن الخطاب ﷺ فرأى هذه المأساة ، التي حدثت لأول مرة ، وفي ذلك حكمة وهي عذر من غلبته عيناه فلم يستيقظ حتى طلعت عليه الشمس .

يستيقظ عمر ، ويقترب من الرسول ﷺ ، ويستحي أن يقول للمعلم العظيم : قم للصلاة ، فالتلميذ لا ينبغي أن يقول ذلك لأستاذه ، والطالب لا يقول ذلك لمعلمه ، فأخذ عمر يقول - والرواية في البخاري : الله أكبر . . الله أكبر ، ويعيد التكبير ، حتى استيقظ الرسول ﷺ ، فدعا حبيبه ومؤذنه بلالاً وأجلسه أمامه ، وقال له : ما أيقظتنا . قال يا رسول الله : أخذ بعيني الذي أخذ بعينك ، فتبسم الرسول ﷺ ، ثم أذن بلال بعد طلوع الشمس ، وصلى الرسول ﷺ ، وصلى أصحابه معه (٢) .

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٤٨) ، ومسلم (٤ / ١٩١٠) رقم (٢٤٥٨) .

(٢) انظر صحيح البخاري (٤ / ١٦٨ ، ١٦٩) ، وصحيح مسلم (١ / ٤٧٤ ، ٤٧٥) رقم (٦٨٢) ، وسنن أبي داود

(١ / ١١٨ ، ١١٩) رقم (٤٣٥) .

بينما كان الصحابة رضوان الله عليهم يجلسون في مجلس ، فإذا أبو ذر رضي الله عنه يعير بلالاً بأمه ، قال له : يا ابن السوداء !! وهل في دستور الإسلام حمراء وسوداء وبيضاء ، من هو الكريم عندنا ؟ من هو المعظم في هذه الملة؟ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات الآية : ١٣] . إننا لا نعرف بالألوان ، ولا بالأجناس ، ولا باللغات ، ولا بالبلدان ، إنما نعرف ب : لا إله إلا الله ، وبمقدار عبوديتنا لله عز وجل .

فغضب بلال رضي الله عنه من أبي ذر وقال له : والله لأرفعنك إلى خليلي عليه السلام ورفع أمره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب غضباً شديداً وقال له : « أعمرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » (١) .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤسس منذ أن بدأ دعوته هذا المبدأ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لا مال ، ولا جاه ، ولا نسب ، ولا لون ، ثم تأتي يا أبا ذر فتهدم ذلك كله : « إنك امرؤ فيك جاهلية » هكذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلماذا نعير الناس بأجناسهم ، أو ألوانهم ، أو قبائلهم ، إن هذه خطيئة كبرى في الإسلام ، بل هي هدم للقواعد التي بني عليها هذا الدين .

ومضى بلال ولم يزد مع الأيام إلا رفعة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه .

يصلي الرسول صلى الله عليه وسلم العيد ، ثم يتكىء على بلال ، ويذهب فيخطب في النساء وهو متكئ على بلال ؛ لأنه يحبه (٢) .

وفي اليوم المشهود ، يفتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة في عشرة آلاف من أصحابه ، يدخل فاتحاً منتصراً ، فيرى الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، فيشير إليها

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٣) ومسلم (٣ / ١٢٨٢، ١٢٨٣) رقم (١٦٦١) وليس فيهما ذكر لبلال رضي الله عنه ولفظهما:

« أن أبا ذر عير رجلاً بأمه » .

(٢) حديث اتكاء الرسول صلى الله عليه وسلم على بلال في خطبة العيد ، أخرجه مسلم (٢ / ٦٠٣) ، حديث رقم (٨٨٥) .

بعضاه ففتنائر ، وتتساقط ، ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) {سورة الإسراء الآية: ٨١} .

وتحين صلاة الظهر ويجلس الناس جميعاً في صرح الكعبة المشرفة ، ويقول صلى الله عليه وسلم أين بلال ؟ قال : ها أنا يا رسول الله ، قال : اصعد الكعبة وأذن من فوقها!! سبحان الله ، أليس هذا انتصاراً للضعفاء؟ أليس هذا عدلاً بالمساكين؟ أليس هذا رفعا لرهوس المستضعفين؟ أليس هذا هو العدل بعينه؟ أن يقوم المولى الأسود يعتلي بيت الله بأقدامه ، ليهتف بندااء الحق .

أين أبو جهل ؟ في النار ! أين أبو لهب ؟ في النار ! أين أبو طالب ؟ في النار !

وصعد بلال واستوى على الكعبة ليخاطب الدنيا ، بشهادة الحق إلى يوم الدين ، فلما أذن بكى الناس ، ومن الذي يرى هذا المشهد ، ويرى هذه الصورة ، ويسمع هذا الصوت ، ويعيش هذه التفاصيل ، ثم لا يبكي ، شيء عجيب يوم الفتح الأكبر ، الفاتح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الدين الإسلام ، المؤذن بلال ، ومن بلال ؟ المولى الأسود ، وأين يؤذن ؟ على سطح الكعبة المشرفة ، وكان صوته جميلاً ندياً ، يشجي القلوب ، وتطرب له الآذان .

وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سالت دموعه ، لأنه تذكر المعاناة ، تذكر الأيام العصيبة التي عاشتها هذه الطائفة المؤمنة ، وتذكر فضل الله عليه وإنعامه بهذا النصر المبين ، لقد انتصر محمد صلى الله عليه وسلم وها هو مولاه وحييبه الذي كان مطاردًا معذبًا مهانًا ، أصبح المؤذن الأول في التاريخ ، وها هو صوت بلال رضي الله عنه يجلجلج في هضبات مكة وأوديتها ، يزلزل الدنيا ب : لا إله إلا الله .

ولكن بعض الذين انتكست عقولهم ، ممن لا يزال على الشرك يقول في كبر

(١) أخرجه البخاري (٩٢، ٩٣) ، ومسلم (٣ / ١٤٠٨) رقم (١٧٨١) .

وعتو : لا أظن أن الحياة تطول بي حتى أرى ذلك العبد الأسود ينقع كالغراب على الكعبة !!

تباً لك أيها المجرم الأثيم، أشبه هذا السيد بغراب ينقع؟ إنها عنجهية الكفر، وحب العلو الذي يسيطر على كثير من العقول إلى يومنا هذا .

وفجأة يموت الإمام ، ولك أن تتصور رجلين متحابين ، معلم وتلميذ، إمام ومؤذن ، عاشا الحياة معاً ، حلوها ومرها ، سهلها وصعبها ، ليلها ونهارها ، وفجأة يموت الإمام ، مات ﷺ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ {سورة الزمر الآية : ٣٠ .

لقد أظلمت الدنيا في عين بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَاتَ النَّبِيَّ ﷺ؟ نعم، إلا أن دينه لم يميت، وعلى المؤذن أن يستكمل الطريق.

ومع بزوغ الفجر، قام بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليؤذن، قام ليؤدي مهمته التي كلفه بها رسول الله ﷺ وبدأ بلال يؤذن الله أكبر.. الله أكبر.

ثم ينظر إلى المحراب فيجده خالياً من الإمام ، فيلتفت إلى بيت الرسول ﷺ ولكنه ليس فيه ، أصبح وحيداً ، لا شيخ ، ولا إمام ، ولا رسول ، فكيف يستطيع أن يكمل ، بأي عبارة يؤدي ، أين صدره ، أين قلبه ، أين كيانه؟ ثم تحامل على نفسه وقال :

أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله ؛ ولكن أتت قاصمة الظهر، أتت المعضلة التي لا يستطيع بعدها أن يتكلم ولو بكلمة واحدة ، قال :

أشهد أن محمداً.. . ولم يستطع أن يكمل ، بكى بكاءً شديداً ، وبكى الناس جميعاً في بيوتهم في المدينة ، النساء ، والأطفال ، والشيوخ، بكى المؤذن، اختنق صوته ، لم يستطع أن يكمل ، فنزل وزمى بجسمه على الأرض .

أين الإمام ؟ مات الإمام ، وبقي المؤذن .

أين الحب ؟ ذهب الحب والعطف والرحمة .

إنها قاصمة الظهر ..

وحضر الصحابة ليشاهدوا ذلك المنظر ، منظر المؤذن وهو ملقى على الأرض ،
يبكى بكاء الثكلى .

ما لك يا بلال ؟ قال : لا أؤذن .

أتاه أبو بكر الخليفة ، قال ما لك ؟ قال لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ .

قالوا : سبحان الله ، من يؤذن لنا ؟

قال : اختاروا لكم مؤذناً ، وحمل إلى بيته ﷺ .

بنتم وبناً فما ابتلت جوانحنا . * * * شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * * * يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي * * * مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

امتنع بلال عن الأذان ، وذهب إلى بيته ، وتبقى بقية أكملها في الخطبة الثانية
إن شاء الله تعالى .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه
وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين
والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه
والتابعين .

أما بعد :

فلا زال الحديث مع بلال رضي الله عنه ولا زال الحب لبلال رضي الله عنه ولا زال الذكر
لبلال .

انتهى الفصل الأول ، وقد أعفى خليفة المسلمين أبو بكر الصديق بلالاً من
الأذان ، تركه الصديق ليرتاح ، لأن الإمام قد مات .

وتمر الأيام ، ويفتح الله على المسلمين الفتوح ، ويذهب بلال رضي الله عنه يشارك
بروحه وجسمه ونفسه في إعلاء كلمة لا إله إلا الله ، يصل إلى الشام فاتحاً
مقاتلاً ، يجاهد المشركين ، ويعلم الناس دينهم ، وابتنظر المنية حتى يلحق بحبيبه
في الجنة .

وهنا مواقف مؤثرة ، سجلها التاريخ ، ووقف أمامها ، وأنصت لها .

جاء عمر من المدينة بدابته ومعه مولاه ، ليدخل بيت المقدس ، يذهب إلى
هناك ، بثوبه الممزق المرقع ، ولكنه يحمل الدنيا في يديه .

قل للملوك تنحوا عن مناصبكم * * * فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

يأتي بهذا الثوب ، ليصف العدل ، ويمثل حقوق الإنسان ، ويظهر الرحمة
والقوة في آن واحد .

ويجتمع المؤمنون لهذا الفتح العظيم ، الصحابة ، وكبار الصحابة ، وأهل
العهد المكّي ، وأهل بدر ، وأهل بيعة العقبة ، أساتذة الدنيا كلها ، جاءوا

لحضور هذا اليوم المشهود وتحين صلاة الظهر ، فيتذكر عمر رضي الله عنه تلك الأيام الخوالي ، التي عاشوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول عمر لبلال رضي الله عنه : أسألك بالله يا بلال أن تؤذن لنا .

فقال : اعفني يا أمير المؤمنين .

قال : أسألك أن تذكرنا أيامنا الأولى .

فقال الصحابة : يا بلال اتق الله ، سألك أمير المؤمنين .

فقام بلال ، يتحامل على جسمه ، فقد أصبح شيخاً كبيراً ، وارتفع صوته بالأذان ، فإذا بصوت عمر رضي الله عنه يسابقه بالبكاء ، ثم بكى كبار الصحابة ، وبكى الجيش كله ، وارتج المسجد الأقصى بالبكاء .

إن بلالاً رضي الله عنه ذكرهم شيئاً ، ذكرهم تاريخاً ، ذكرهم معلماً وقائداً أحبهم وأحبه ، فلا إله إلا الله ما أعظم الذكريات ، ولا إله إلا الله ما أجمل تلك الأيام التي عاشها أولئك المؤمنون ، يتمتعون برؤية نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويتلقون عنه الوحي من السماء .

وعاد بلال إلى الشام ، وانقطع عن المدينة ، بعد أن خلت من نبيها صلى الله عليه وسلم ، وأصبح بلال شيخاً كبيراً وهناك أته المنية فأخذ ينشد وهو في سكرات الموت .

غداً نلقى الأحبه
محمدًا وحزبه

ومن الذي لا يفرح ، وهو يعلم أنه بعد لحظات ، سوف يلقى محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وأبا بكر وعمر ، والأخيار من الناس . نعم . .

غداً نلقى الأحبه
محمدًا وحزبه

ومات بلال . .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي .
وَادْخِلِي جَنَّتِي ﴾ [سورة الفجر الآيات : ٢٧-٣٠] .

● وفي قصة المؤذن الأول دروس :

أولاً : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات الآية : ١٣] .

فالقُرشي الذي عارض الرسالة في النار ، والحبشي الذي آمن بالرسالة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ثانياً : إن هذا الدين لا يتتصر بكثرة العدد ، ولا يعتمد على أصحاب المناصب والهيئات والأموال ، ولكنه ينقى مكانه ، ويأتي إليه من يحبه ، يقول أبو جهل : كيف يهتدي بلال وأنا سيد بني مخزوم ، وهو عبد حبشي؟ ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [سورة الأحقاف الآية : ١١] والجواب ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٢٤] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٥٣] بلى .

ثالثاً : تظهر من قصة بلال رضي الله عنه وغيرها من قصص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حنكة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعرفته بالفروق الذاتية لكل إنسان ، واختلاف المواهب الشخصية والاستعدادات النفسية بين صحابي وآخر .

فقد أعطى الأذان لبلال لأنه الأصلح لذلك ، وأعطى الراية لخالد في المعركة؛ لأنه سيف الله المسلول ، والخلافة لأبي بكر ، والقافية والأدب لحسان ، ومدرسة الفرائض وتوزيع الموارث لزيد بن ثابت، والقضاء وهيئة الاستشارة لعلي بن أبي طالب ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦٠] . وهذا الأمر يفوت على كثير من المريين والدعاة والمعلمين .

رابعاً: إن مبادئنا تبدأ من بلال رضي الله عنه وإنها تعلن صريحة قوية من على المنابر، فليس عندنا أسرار، ولا شيء نخفيه ونتكتم عليه، بل نحن واضحون وضوح الشمس في النهار، قال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤]

خامساً : من أراد أن يهدي الناس ، فليزرع في قلوبهم الحب أولاً ، فإذا استطاع ذلك ، ملك زمام القلوب ، فليفعل بها ما يشاء .

وإن من يتصور أنه سوف يهدي الناس بالعصا ، وسوف يسوقهم بالضرب والشم ، فقد أخطأ سواء السبيل ، وقد أفلت الناس من يديه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَّلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٥٩] .

إن سر نجاح دعوته ﷺ ، أنه جعل الناس يحبونه حباً ، تتقطع له القلوب ، وتنقاد له الأجساد ، فقد كان ﷺ أباً لليتامى ، ومعيناً للأرامل والمساكين ، فأحبه القلوب ، وعشقتة الأفئدة ، وانقادت له الأبدان .

● عباد الله :

صلوا على الإمام ، وترحموا على المؤذن ، اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك محمد ﷺ واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وعن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا أرحم الراحمين .



■ ما هي السعادة؟ ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ .

● أيها المسلمون :

عنوان هذه الخطبة « ما هي السعادة؟ » .

يبحث كل إنسان بكل ما أوتي من قوة عن السعادة فما هي السعادة ؟ وأين توجد ؟

هل السعادة مال وفير وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، والخيال المسومة والأنعام والحراث ؟

هل السعادة منصب يرفع العبد على الناس ، فيصبحون له خدماً وخواصاً ؟

هل السعادة صحة الجسم ، فلا يمرض ، ولا يجوع ، ولا يبأس ؟

هل السعادة السلامة من الناس ، والنجاة من غوائلهم ودواهيهم ؟

لقد طلب السعادة أقوام من طرق منحرفة ، فكانت هذه الطرق ، سبباً
لدمارهم وهلاكهم ، وللعنة الله التي وقعت عليهم .

طلبها فرعون وتلاميذه في الملك ، ولكنه ملك بلا إيمان ، وتسلطن بلا
طاعة ، فتشدد في الجماهير : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾
سورة الزخرف الآية : ٥١ . ونسي أن الذي ملكه هو الله ، والذي أعطاه مصر هو
الله ، والذي جمع له الناس هو الله ، والذي أطعمه وسقاه هو الله ، ومع ذلك
يجحد هذا المبدأ ويقول : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ {سورة القصص الآية : ٢٨} .
فكان جزاء هذا العتو والتكبر والتمرد على الله ؛ أنه لم يتحصل على السعادة التي
طلبها ، بل كان نصيبه الشقاء والهلاك واللعنة بعينها ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى ﴾ {سورة النازعات الآية : ٢٥} . ويقول الله عنه وعن ملئه : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ {سورة غافر الآية : ٤٦} .

ويمنح الله قارون كنوزاً كالتلال ما جمعها بجهد ، ولا بذكائه ، ولا بعرقه ، ولا
بعبقريته ، وظن أنه هو السعيد وحده ، وكفر نعمة الله ، وقد حذره ربه ، وأنذره
مولاه مغبة تصرفاته الوقحة ، فأبى وأصر على تجريد المال من الشكر ، والسعي في
الأرض فساداً ، فكان الجزاء المر ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ {القصص : ٨١} .

وطلب السعادة الوليد بن المغيرة ، فأتاه الله عشرة من الأبناء ، كان يحضر
بهم المحافل ، خمسة عن يمينه ، وخمسة عن يساره ، ونسي أن الله خلقه فرداً
بلا ولد ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَدْتُ لَهُ
تَمَهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلًّا ﴾ {سورة المدثر الآيات : ١١-١٦} . فماذا فعل ، كيف
تصرف ؟ أخذ عطاء الله من الأبناء ، فجعلهم جنوداً يحاربون الله ، إلا من رحم
ربك ، فقال الله فيه : ﴿ سَأَصْلِيهِ سَقَرًا . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوْ آحَاةٌ لِلْبَشَرِ .
عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ {سورة المدثر الآيات ٢٦-٣٠} .

وهذا يلتمس السعادة في الشهرة فيقضي ساعاته في توجيه الناس إليه ، ليصبح

محط الأنظار بزعمه الفاسد، وحديث الركبان ، وشاغل الدنيا ، فيقتلعه ربك من جذوره ، ويمحق سعيه ﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد الآية : ١٧] .

وذاك يظن أن السعادة في الفن، الفن المتهتك الخليع الماجن ، فيسدغ الغرائز، ويلعب بالمشاعر ، ويفتن القلوب ، ويسكب الغرام في النفوس ، فيحمله الله ذنوب من أغواهم ، دون أن ينقص من ذنوبهم شيئاً ، ويحجب الله السعادة عن كل من لم يعترف بألوهيته ، ويدين بربوبيته ، فيقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ [سورة طه الآيات : ١٢٤ - ١٢٦] .

فأين السعادة ؟ أين توجد لمن يبحث عنها ؟ أين مكانها ؟ من الذي أتى بالسعادة وأدخلها القلوب ؟ إنه محمد ﷺ .

السعادة : الإيمان والعمل الصالح ، وجدها يونس بن متى ، وهو في ظلمات ثلاث ، في بطن الحوت ، في ظلمة اليم ، في ظلمة الليل ، حين انقطعت به الحبال ، إلا حبل الله ، وتمزقت كل الأسباب ، إلا سبب الله ، فهتف من بطن الحوت ، بلسان ضارع حزين: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الانبياء الآية : ٨٧] فوجد السعادة .

ووجدها موسى ﷺ وهو بين ركام الأمواج في البحر ، وهو يستعذب العذاب في سبيل الواحد الأحد : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَّهَدِينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٢] .

ووجدها محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وهو يطوق في الغار بسيف الكفر، ويرى الموت رأي العين، ثم يلتفت إلى أبي بكر ويقول مطمئناً: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (١) [سورة التوبة الآية : ٤٠] .

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٩٠) ومسلم (٤ / ٢٣٠٩) رقم (٢٠٠٩) .

سهدت أعينٌ ونامت عيونٌ * * * في شئونٍ تكونُ أو لا تكونُ
فاطرح الهمَّ ما استطعت * * * فحملانك الهموم جنونُ
إن ربًّا كفاك ما كان بالأمس * * * سيكفيك في غدٍ ما يكون

ووجد السعادة يوسف عليه السلام، وهو يسجن سبع سنوات فيسألونه عن تفسير الرؤى ، فتركها ، ثم يبدأ بالدعوة فيقول : ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ {سورة يوسف الآية : ٣٩} فيعلن الوجدانية ، فيجد السعادة .

ووجدها أحمد بن حنبل في الزنزانة ، وهو يجلد جلدًا ، لو جلده الجمل مات ، كما قال جلاده ، ومع ذلك يصر على مبدأ أهل السنة والجماعة ، فيجد السعادة .

أما الذي جلده ، وهو المعتصم ، فلما حضرته سكرات الموت ، رفع بساطه ، ومرغ وجهه في التراب ، وبكى وقال : يا من لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه . ثم يقول : لو علمت أنني أموت شابًا ما فعلت الذي فعلت من الذنوب .

ووجدها ابن تيمية ، وهو يكبل بالحديد ، ويغلق عليه السجان الباب ، داخل غرفة ضيقة مظلمة ، فيقول ابن تيمية : ﴿ فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ {الحديد الآية : ١٣} . ويلتفت ابن تيمية إلى الذين هم خارج السجن ، فيرسل لهم رسالة ، وينشد لهم نشيدًا ، وينقل لهم نبأ وخبرًا من السجن فيقول : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن سرت فهي معي . . أنا قتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة ، وسجني خلوة !!

ووجدها إبراهيم بن أدهم ، وهو ينام في طرف السكك في بغداد ، لا يجد كسرة الخبز ويقول : والذي لا إله إلا هو ، إنا في عيش ، لو علم به الملوك لجالدونا عليه بالسيوف !

هذه هي السعادة ، وهذه أحوال السعداء ، ولا يكون ذلك إلا في الإيمان

والعمل الصالح ، الذي بعث به الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فمن سكن القصر بلا إيمان ، كتب الله عليه : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [سورة طه الآية : ١٢٤] ومن جمع المال بلا إيمان ، ختم الله على قلبه : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ومن جمع الدنيا ، وتقلد المنصب بلا إيمان ، جعل الله خاتمه ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ .

فيا طلاب السعادة ، ويا عشاق السعادة ، ويا أيها الباحثون عن الخلود في الآخرة ، في جنات ونهر ، لا يكون ذلك إلا من طريق محمد عليه الصلاة والسلام .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر لله شكراً شكراً ، والصلاة والسلام على
البشير النذير ، والسراج المنير ، والهادي إلى رضوان ربه ، وعلى آله وصحبه ،
ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيقول المتنبي الشاعر :

أبني أبينا نحنُ أهل منازل * * * أبداً غرابُ البينِ فيها ينعقُ
نُبقي على الدنيا وما من معشرٍ * * * جمعَتهمُ الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرةُ الجابرةُ الأولى * * * كنزوا الكنوزَ فلا بقين ولا بقوا
من كلِّ من ضاقَ الفضاءُ بجيشه * * * حتى ثوى فحواه لحد ضيقُ
خرسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا * * * أن الكلامَ لهم حلالٌ مطلقُ

قال أهل السير وأهل التاريخ : لما استقر هارون الرشيد في الخلافة ، وتولاها
بعد أبيه ، أنفق الكنوز والقناطر المقنطرة ، في عمارة قصر على نهر دجلة ؛
يدخل النهر من شمال القصر ويخرج من جنوبه ، وعَمَّرَ الحدائق التي تطل
وتتمايل على النهر ، ثم رفع الستور ، وجلس للناس ، فدخل الناس يهنئونه
بقصره وبحدائقه ، وكان فيمن دخل أبو العتاهية ، فوقف أمام هارون الرشيد
وقال له :

عش ما بدا لك سألماً * * * في ظلِّ شاهقةِ القصور

يقول : ليهنك العيش والسعادة ، ودوام الصحة والعافية ، في ظل هذا
القصر ، فارتاح هارون لهذا الكلام وقال : هيه ، يعني زد ، قال :
يجري عليك بما أردت * * * من الغدوِّ مع البكور

يقول : يأتيك الخدم والجواري بالأطعمة والأشربة ، وكل ما أردت ، صباحاً ومساءً قال : هيه . قال :

فَإِذَا النُّفُوسُ تَغْرَغَرَتْ * * * بزفير حشرجة الصدور
فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِنًا * * * مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورٍ !!

قال : أعد . أعد . قال : فإذا النفوس تغرغرت ، يعني إذا حضرت سكرات الموت ، وحان الأجل ، وساعة الصفر ، وبلغت الروح التراقي ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ [سورة القيامة الآية : ٢٧] . والتمس الطبيب ، وذلك الذي يحيد منه العبد .

فَإِذَا النُّفُوسُ تَغْرَغَرَتْ * * * بزفير حشرجة الصدور
فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِنًا * * * مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورٍ !!

يقول : إذا أتت سكرات الموت ، وأشرفت على الهلاك ، سوف تعلم أنك كنت تضحك على نفسك ، وأنت كنت تعبت كما يعبت الصبيان ، قال : أعد ، ثلاثاً ، فردد أبو العتاهية :

فَإِذَا النُّفُوسُ تَغْرَغَرَتْ * * * بزفير حشرجة الصدور
فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِنًا * * * مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورٍ !!

فبكى هارون حتى وقع على الأرض ، ثم أمر بالستور فهتكت ، والأبواب فأغلقت ، ونزل في قصره القديم ، فلم يمض عليه شهر واحد ، حتى أصبح في عداد الموتى .

هذا هو هارون الذي كان يصلي في اليوم مائة ركعة نافلة ، ويغزو سنة ، ويحج سنة .

وقصص الذين كانوا يبحثون عن السعادة ، ولكنهم لم يوفقوا لها كثير ، فهذا عبد الملك بن مروان حكم العالم الإسلامي ، طوله وعرضه ، شرقه وغربه ، ولكنه لما أتته سكرات الموت ، نزل من على سرير الملك ، لأن سرير الملك لرجل آخر

غيره، لأنه لا يمكن أن يستمر عليه، فالله - تبارك وتعالى - وحده ، هو صاحب الملك والملكوت ، وهو وحده الذي يعزل ويولي، ويملك ويخلع ، ويغني ويفقر، ويعطي ويمنع ، ويحيي ويميت .

نزل وسمع غسلاً بجانب القصر في سعادة ، وفي هناء ، ما عنده ملك ، ولا مشاغل ، ولا مشاكل ، وكان هذا الغسال ينشد نشيداً ، وهو يغسل الثياب ، فقال عبد الملك : يا ليتني كنت غسلاً ، يا ليتني ما عرفت الخلافة ، يا ليتني ما توليت الملك ، ثم مات . قال سعيد بن المسيب ، معلقاً على هذه الكلمات : الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا في سكرات الموت ، ولا نفر إليهم .

● أيها الناس :

من أراد السعادة فليلتمسها في المسجد، في المصحف، في السنة، في الذكر، في التلاوة، في الهداية ، في الاستقامة ، في الالتزام ، في اتباع محمد ﷺ .

● عباد الله :

صلوا على المعصوم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأكثروا من الصلاة والسلام عليه فإنه يقول : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ » قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت^(١) ، فقال : « إن الله عز وجل خرم على الأرض أجساد الأنبياء »^(٢) .

اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على هديه ، واتبع سنته إلى يوم الدين .



(١) أرمت : أي بليت .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٥ / ١) رقم (١٠٤٧) ، وابن ماجه (١ / ٣٤٥) رقم (١٠٨٥) ، والنسائي (٣ / ٩١) رقم (١٣٧٤) ، وأحمد (٤ / ٨) ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٢٢١٢) .

■ هكذا فلتكن العدالة ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات: ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها المؤمنون :

عنوان هذه الخطبة : « هكذا فلتكن العدالة » .

أقدم اليوم رمزاً من رموز العدالة على مر تاريخ الإنسان ، أقدمه لكم غضاً طرياً ، وأنا أشعر بالخرج ، لأنني مهما قلت ، فسوف أقصر في سيرته وترجمته ، إنه حياة لضمير الأجيال ، إنه رمز لعدالة الإسلام .

كان والياً تحبه الرعية كأجل ما تحب الرعية الولاية ، لأنه لم يفعل ما يدعو إلى السخط والبغض ، لأنه كان يتقي الله في أمة محمد ﷺ ؛ لأنه جعل القرآن قائده ، والتقوى رائده ؛ لأنه كان يعظم سنة النبي ﷺ ويحب الفقراء والمساكين .

كان يحب أن يسمع الرأي الآخر والنصيحة ، فسرى حبه في قلوب الأطفال ، وفي قلوب العجائز ، وفي قلوب الفقراء ، وفي قلوب المساكين ؛ ولكن لماذا اخترت هذا العنوان في هذا اليوم « هكذا فلتكن العدالة » سمعت قبل إسبوعين ، أخوا القردة والحنازير - شامير - وهو يتهجم على العالم الإسلامي ، ويصفه بأنه عالم ظالم ، ليس فيه حوار ولا حرية ، فأردت أن أظهر لذلك المجرم ، صورة براقة وضيئة ، لإمام عادل نفخر به على مر التاريخ .

من هو هذا العادل ؟ أظن أنني لا أضيف جديداً هذا اليوم إذ حدثتكم عنه ، وهل يخفى القمر ؟ إنه مجدد القرن الأول ، إنه الرجل الذي لما مات ، أمست مدن الإسلام في مناحة وفي مصيبة وعزاء .

والمسلمون مصابهم متفرق * * * في كل بيت رنة وزفير

إنه الرجل الذي قال فيه الإمام أحمد : ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز .

السلام عليك يا عمر بن عبد العزيز ، وبيننا وبينك أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، السلام عليك اليوم وغداً وفي المستقبل ، وحتى نلقى الله بك ، وأنت رمز من رموز العدالة .

● أيها الناس :

أنا لن أسرد حياته الشخصية ، ولن أقدم ترجمة عن تفصيلات وجزئيات ما مر به لكنني أصل بكم إلى سدة الحكم يوم أن تولى عمر كان شاباً مترقفاً من بني مروان ، يغير في اليوم الواحد ثيابه أكثر من ثلاث مرات ، كان إذا مر بسكة شم الناس طيبه ، كان يسكن قصرًا في المدينة وعند والده قصر في الشام ، وقصر في مصر ، وقصر في العراق ، وقصر في اليمن ، وأراد الله لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، خيراً فتولى الخلافة .

حضر وفاة الخليفة ، فرأى كيف يصرع الموت الولاة ، وكيف يعقر الموت الملوك ، وكيف يشدخ الموت رءوس العظماء .

رأى سليمان بن عبد الملك وهو منطرح على سرير الملك كالطفل ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ [سورة الأنعام الآية: ٩٤] كان سليمان يعصره الموت عصراً ، وكان منطرحاً بين يدي ربه يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ، وكان يصرخ قائلاً :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ * * * إِنَّ بَنِيَّ فَتِيَّةٌ صَفَارُ

يقول يا ليت أبنائي كباراً ، يتولون الملك بعدي . فقد أفلح من كان أبنائوه كباراً . قال عمر بن عبد العزيز أمامه : لا والله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ . وذكر اسم ربه فَصَلَّى ﴿ [سورة الأعلى الآيتان : ١٤ ، ١٥] . ومات سليمان ، وكتب الخلافة لرجل في كتاب سري ، لم يعلم بعد .

ولما وارى الناس جثمان سليمان ، قام رجاء بن حيوة أحد علماء المسلمين ، فأعلن على المنبر أن خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين للعالم الإسلامي ، عمر بن عبد العزيز .

فلما تلقى عمر بن عبد العزيز خبر توليته ، انصدع قلبه من البكاء ، وهو في الصف الأول ، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف ، ويرتعد ، وأوقفوه أمام الناس ، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء ، قال لهم : بيعتكم بأعناقكم ، لا أريد خلافتكم ، فبكى الناس وقالوا : لا نريد إلا أنت ، فاندفع يتحدث ، فذكر الموت ، وذكر لقاء الله ، وذكر مصارع الغابرين ، حتى بكى من المسجد .

يقول رجاء بن حيوة : والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية ونحن نبكي ، هل تبكي معنا !!؟ ثم نزل ، فقربوا له المراكب والموكب كما كان يفعل

بسلفه ، قال : لا ، إنما أنا رجل من المسلمين ، غير أنني أكثر المسلمين حملاً وعبثاً ومسئولية أمام الله ، قربوا لي بغلتي فحسب ، فركب بغلته ، وانطلق إلى البيت ، فنزل من قصره ، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين .

نزل عمر بن عبد العزيز في غرفة في دمشق أمام الناس ؛ ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل ، ثم استدعى زوجته فاطمة ، بنت الخلفاء أخت الخلفاء ، زوجة الخليفة ، فقال لها : يا فاطمة ، إني قد وليت أمر أمة محمد ﷺ وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر ، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً ، ومن تركستان شمالاً ، إلى جنوب إفريقيا جنوباً - قال : فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة ، فسلمي حليك وذهبك إلى بيت المال ، وإن كنت تريدين الدنيا ، فتعالى أمتعك متاعاً حسناً ، واذهبي إلى بيت أبيك ، قالت : لا والله ، والحياة حياتك ، والموت موتك ، وسلمت متاعها وحليها وذهبها ، فرفعه إلى ميزانية المسلمين .

ونام القيلولة في اليوم الأول ، فأناه ابنه الصالح عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أبتاه ، تنام وقد وليت أمر أمة محمد ، فيهم الفقير والجائع والمسكين والأرملة ، كلهم يسألونك يوم القيامة ، فبكى عمر واستيقظ . وتوفي ابنه هذا قبل أن يكمل العشرين .

عاش عمر رضي الله عنه عيشة الفقراء ، كان يأتمم خبز الشعير في الزيت ، وربما أفطر في الصباح بحفنة من الزبيب ، ويقول لأطفاله : هذا خير من نار جهنم .

يذهب فيصلي بالمسلمين ، فكان أول مرسوم اتخذه ، عزل الوزراء الخونة الظلمة الغشمة ، الذين كانوا في عهد سليمان ، استدعاهم أمامه وقال لشريك بن عرضاء : اغرب عني يا ظالم رأيتك تجلس الناس في الشمس ، وتجلد أبنائهم بالسياط ، وتجوّعهم وأنت في الخيام والإستبرق .

واستدعى الآخر وقال : اغرب عني والله لا تلي لي ولاية ، رأيتك تقدم دماء

المسلمين لسليمان بن عبد الملك . ثم عين وزراءه وأمراءه من علماء وصلحاء المسلمين .

وكتب إلى علماء العالم الإسلامي رسالة ، إلى من ؟ إلى الحسن البصري ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، وسالم بن عبد الله بن عمر؛ أن اكتبوا لي كتباً انصحوني وعظوني ، قبل أن ألقى الله ظالماً، فكتبوا له رسائل ، تتقطع منها القلوب ، وتشيب لها الرؤوس .

كتب له الحسن : يا أمير المؤمنين صم يومك ، لتفطر غداً . وقال سالم : يا أمير المؤمنين ، إنك آخر خليفة تولى ، وسوف تموت كما مات من قبلك . وخوفوه ووعدوه .

وجعل سمّاره سبعة من العلماء ، يسمرون معه بعد صلاة العشاء ، واشترط عليهم ثلاثة شروط :

الشرط الأول : ألا يغتاب مسلم .

الشرط الثاني : ألا يقدموا له شكاية في مسلم ، التقارير المخزية في أعراض المسلمين ، وفي كلمات المسلمين ، ومجالس المسلمين ، أبي أن تعرض عليه أو ترفع إليه .

الشرط الثالث : ألا يمزح في مجلسه ، إنما يذكرون الآخرة وما قرب منها ، فكان يقوم معهم ، وهم يبكون ، كأنهم قاموا عن جنازة .

ثم صعد عمر رضي الله عنه المنبر وأعلن سياسة حكومته الجديدة، وأتى بمزاحم مولاه، وهو مولى أسود ، قوي البنية ، يخاف الله . قال: يا مزاحم ، والله إنى أحبك في الله ، أنت وزيري . قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيتك يوماً من الأيام تصلي وحدك في الصحراء صلاة الضحى ، لا يراك إلا الله . ورأيتك يا مزاحم تحب القرآن فكن معي ، قال : أنا معك . فاعتلى عمر بن عبد العزيز المنبر ، وكان

بيده دفتر ، كتب فيها معلومات ضرورية ، عن خطوط عريضة لدولته وخلافته ، ووقف مزاحم بالسيف ، والأمراء الظلمة من بني أمية ، الذين أخذوا أراضي الناس ، وبيوت الناس ، وقصور الناس ، وضربوا وجوه الناس ، وأذوا الناس ، جعلهم في الصف الأول . قال عمر : أولاً : هذا كتاب عبد الملك بن مروان ، بإقطاعية الأراضي لكم يا بني مروان ، وقد صدق الله ، وكذب عبد الملك بن مروان ، ثم قطع الصك ، ثم قال : ائتني بصكوك بني أمية ، فسلم له صكاً للعباس ابن الوليد بن عبد الملك ، أخذ أرضاً شاسعة ، يمكن أن تكون أرض مدينة ، فأخذه بالمقص فقصه كله وأتلفه ، وقال : لا حق لك في ديار المسلمين ، قال : يا أمير المؤمنين أعد لي أرضي وإلا لي ولك شعري - يتهدده - قال : والله إن لم تسكت ليأتيني مزاحم برأسك الآن ، فسكت ، ثم أتى إلى الصكوك طيلة صلاة الجمعة ، يشققها طولاً وعرضاً ؛ لأنها صكوك بنيت على الظلم .

واستمر به الحال على هذا المستوى ، واستدعى مهاجراً أحد الوزراء ، وقال : كن بجانبني ، فإذا رأيتني ظلمت مسلماً أو انتهكت عرضاً ، أو شتمت مؤمناً ، فخذ بتلابيب ثوبي وقل : اتق الله يا عمر . فكان وزيره مهاجر يهزه دائماً ، ويقول : اتق الله يا عمر .

أما حياته الشخصية فحدثت ولا حرج ، كان إذا صلى العشاء دخل مصلاه ، فيستقبل القبلة ، ويجلس على البطحاء ، يمرغ وجهه في التراب ويبكي حتى الصباح .

قالوا لامراته فاطمة بعد أن توفي : نسألك بالله ، أن تصفي عمر ؟ قالت : والله ما كان ينام الليل ، والله لقد اقتربت منه ليلة فوجدته يبكي ويتنفض كما يتنفض العصفور بالله القطر ، قلت : ما لك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما لي !! توليت أمر أمة محمد ، فيهم الضعيف المجهد ، والفقير المنكوب ، والمسكين الجائع ، والأرملة ، ثم لا أبكي ، سوف يسألني الله يوم القيامة عنهم جميعاً ، فكيف أجيب !؟

عليك سلامُ الله وقفاً فإنني * * * رأيت الكريم الحرَّ ليس له عمرُ
ثوى طاهر الأردان لم تبقَ بقعةُ * * * غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبرُ
• أيها الناس :

إذا لم نخرج بعمر بن عبد العزيز أمام العالم ، فبمن نخرج؟ ما النموذج
الذي نقدمه إذا لم نقدم هؤلاء ؟

أتى إلى بيت المال يزوره ، فشم رائحة طيب ، فسد أنفه ، قالوا : ما لك ؟
قال : أخشى أن يسألني الله - عز وجل - يوم القيامة لم شمت طيب المسلمين
في بيت المال . إلى هذه الدرجة إلى هذا المستوى ، إلى هذا العمق .
دخل عليه أضياف في الليل ، فانظفأ السراج في غرفته ، فقام يصلحه ،
فقالوا : يا أمير المؤمنين : اجلس قال : لا ، فأصلح السراج ، وعاد مكانه ،
وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز .
كان عالماً مجتهداً يفتي للمسلمين فتح الله عليه من فتوحاته ؛ لأنه يتقي ربه ،
ويعدل في رعيته .

خرج في نزهة يوماً ، فمروا به على حديقة من حدائق دمشق العاصمة ،
فوقف يبكي على سور الحديقة ، قالوا : ما لك ؟ قال : هذا نعيم منقطع ، فكيف
بجنة عرضها السموات والأرض ؟ أواه ، لا حرمتنا الجنة .

ومر يوم العيد ، بعد أن صلى بالمسلمين ، وهو على بغلته ، مر بالمقابر ،
فقال : انتظروني قليلاً - ذكر ذلك ابن كثير - انتظروني قليلاً ، فوقف الوزراء ،
والصلحاء ، والأمراء ، والناس ، ونزل عن بغلته ، فوقف على المقبرة التي فيها
الخلفاء من بني أمية ، والتي فيها الأغنياء ، وقال :

أتيت القبورَ فناديتها * * * أين المعظم والحق تقرر
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ * * * وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا * * * أمالك فيما مضى معتبر

ثم وقف على طرف المقبرة وقال: يا موت، ماذا فعلت بالأحبة؟ يا موت ماذا فعلت بالأحبة؟ ثم بكى وجلس يتحبب، حتى كادت أضلاعه أن تختلف، ثم عاد إلى الناس، وقال: أتدرون ماذا قال الموت؟ قالوا: ما ندري. قال: يقول بدأت بالحدقتين، وأكلت العينين، وفصلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والعضدين من الكتفين، وفصلت القدمين من الساقين، والساقين من الركبتين، والركبتين من الفخذين.

باتوا على قُللِ الآمال تحرسهم * * * غلبُ الرجال فما أغنتهم القُللُ
واستنزَلوا بعد عزٍّ من مساكنهم * * * إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا

وقف يوماً من الأيام وقال: والله لا أعلم ظالماً إلا أنصفتكم منه، ولا يحول بيني وبين الظالم أحد، حتى آخذ الحق منه، ولو كان ابني. قال الناس: صدقت.

كان يدور في ظلام الليل يسأل: هل من مريض فأعوده، هل من أرملة فأقوم عليها، هل من جائع فأطعمه. يقول أحد ولاته: ذهبت إلى إفريقيّا، أوزع الزكاة، فوالله ما وجدت فقيراً في طريقي، لقد أغنى عمر بن عبد العزيز الفقراء، فما بقي فقير، ولا جائع، ولا مدين، ولا شاب أعزب!!

كان يصلي الجمعة، فيقوم نوابه، معهم دفاتر بأسماء الناس، فيوزع الأعطيات على طلبة العلم، واليتامى، والمساكين، والمرضى، والأرامل، والمحترجين، والمعوزين، فيهتفون بعد الصلاة: اللهم اسق عمر بن عبد العزيز من سلسبيل الجنة، ونحن نقول: اللهم اسق عمر بن عبد العزيز من سلسبيل الجنة.

ضمّر جسمه بعد الخلافة، أصبح وجهه أصفر شاحباً، يقول أحد العلماء: والله لقد رأيت عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة المنورة، فرأيته بضاً، أبيض سميئاً، فلما ولي الخلافة، رأيته يطوف وقد رفع الإحرام عن جنبه، ووالله لقد كنت أعد عظام ساعديه من الضعف والضمور.

دخل عليه زياد المولى أحد العلماء ، فرأى وجهه شاحباً باكياً ، أثر الدموع في أجبانه ، أثر الجوع والفقر على خديه ، ثوبه مرقع ، قال : يا أمير المؤمنين : أين القصور التي كنت تسكنها ، والملابس التي كنت تلبسها ، والنعيم الذي كنت تعيشه ؟ قال : هيهات يا زياد ، ذهب ذلك ، لعلي تغيرت عليك . قال : أي والله ، قال : كيف بي لو رأيتني بعد ثلاث ليال ، إذا طرحت في القبر ، وقطعت أكفاني ، وسار الدود على خدي ، وأكل عيني ، ووقع التراب على أنفي ، والله لقد كنت أشد تغيراً مما تراه !!

وقف في يوم عيد الفطر يستقبل المسلمين ، ويرحب بالمؤمنين ، وإذا بكوكبة من الشعراء عند باب الغرفة ، يريدون الدخول ، قال له البواب : شعراء يريدون الدخول عليك على عاداتهم السابقة عند الخلفاء ، يدخل أحدهم بقصيدة خاطئة كاذبة ، يمدح نفاقاً ، يثني بكلام مجاملة ، فيصف الخليفة بأنه محرر الشعب ، وبأنه كافل الأيتام ، وبأنه أستاذ المشاريع ، وبأنه درة الأفق . فقال للبواب : من بالباب؟ قال : الفرزدق . قال : والله لا يدخل علي عدو الله وقد سمعته يتغزل في بنات المسلمين . ومن الآخر؟ قال : الآخر نصيب . قال : ليس له عندي نصيب ولا يدخل علي ؛ سمعته يفترى في شعره . ثم قال : ومن الثالث ؟ قال : الأخطل . قال : حرام علي ابن النصرانية ، أن يظأ بساطي . والرابع : قال الرابع عمر بن أبي ربيعة قال : أما أن له أن يتوب إلى الله ؟ والله لا ترى عيني وجهه . ومن الخامس ؟ قال : جرير . قال : إن كان ولا بد ، فأدخل جريراً ، فلما دخل قال له :

فما كعبُ بن مامةَ وابن سعدى * * * بأفضل منك يا عمر الجوادا
تعودُ صالحَ الإخلاقِ إني * * * رأيت المرء يلزم ما استعادا

قال عمر : اتق الله يا جرير ، لا تكذب في شعرك ، فإن الله سوف يسألك عن هذا . قال يا أمير المؤمنين : أعطني قال : ما وجدت للشعراء في كتاب الله عطاء ، إن كنت فقيراً أو مسكيناً أو ابن سليل أعطيناك .

إنها مدرسة الجدية ، والنصح ، والعمق ، وعدم الضحك على الذقون ؛
أعرابي يدخل يمدح ، ويأخذ الدنيا بما فيها ، ويبقى الفقراء ، يموتون جوعاً وعرياً
على الأرصفة !!

شاعر كذاب متملق ، يمدح بشيء من الهراء يأخذ من المال ما يغطي رأسه ،
والأطفال في حجور أمهاتهم يتضورون جوعاً ، لا يفعل ذلك عمر ، إنه عاقل ،
إنه جهبد ، إنه عبقرى .

قال جرير: أنا فقير، قال خذ مائتي درهم من مالي، ليس من بيت مال
المسلمين. قال جرير: فوالله لقد كان هذا المال أبرك مال رأيته في الحياة .

وأنت سكرات الموت ، أتدرون كم تولى الخلافة ؟ ستين ، لكنها عند الله -
عز وجل - أفضل من قرنين ، إنني أعرف أناساً في التاريخ ، تولى الواحد منهم
خمسين سنة ، فلما مات لعنه المسلمون ، وإن بعضهم تولى أربعين سنة ، فلما
مات بشر بعض المسلمين بعضهم بموته ، فليس العمر بالكثرة ، العمر بالبركة ،
تولى ستين ، فأزال الظلم ، فتح بابه ، فتح صدره ، فتح عينه ، فتح قلبه ،
ففتح الله عليه .

حضرته سكرات الموت ، فجمع أبناء السبعة أو الثمانية ، فلما رآهم بكى
واستعبر ، ودمعت عيناه ، ثم قال لأبنائه: والله ما خلفت لكم من الدنيا شيئاً ، عنده
غرفة واحدة ، إن كنتم صالحين فالله يتولى الصالحين وإن كنتم فجرة فلن أعينكم
بمالي على الفجور ، تعالوا فاقتربوا فقبلهم واحداً واحداً ، ودعا لهم ، وكأن قلبه
يسل من بين جوارحه ، وخرج أبناؤه .

قال أهل التاريخ : أغفى التاريخ إغفاءة عن أبناء عمر بن عبد العزيز السبعة
أو الثمانية ، وقد خلف لكل واحد منهم اثني عشر درهماً فقط ، وأما هشام بن
عبد الملك الخليفة ، فخلف لكل ابن من أبنائه مائة ألف دينار ، وبعد عشرين
سنة ، أصبح أبناء عمر بن عبد العزيز ، يسرجون الخيول في سبيل الله ، منفقين

متصدقين من كثرة أموالهم ، وأبناء هشام بن عبد الملك في عهد أبي جعفر المنصور ، يقفون في مسجد دار السلام ، يقولون : من مال الله يا عباد الله !

إن من حفظ الله حفظه الله ، ومن ضيَّع الله ضيعه الله ، هذه سنة من سنن الله عز وجل ، ثم أمر عمر أبناءه بالخروج فخرج أطفاله أمام عينيه ، ينظر إليهم ، ومع كل طفل يخرج قطرات من الدموع تسقط ، وقال : أدخلوا أمكم علي ، فدخلت امرأته ، فودعها ، وسألها أن تتقي الله ، وأن تبقى على الزهد وعلى الفقر ، لتكون زوجته في الجنة ، ثم قال : يا فاطمة ، إني أرى نفراً ، ليسوا بآنس ولا جن ، أظنهم ملائكة ، فأخرجني عني ، فخرجت زوجته ، وأغلقت الباب ، ودخل الملائكة على عمر بن عبد العزيز مباشرة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة فصلت الآيات : ٣٠-٣٢] مات عمر ، وفتحت زوجته الباب فوجدته في عالم الآخرة ، سلام عليك ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [سورة الفجر الآيات : ٢٧-٣٠] .

« هكذا فلنكن العدالة » . إني مقصر في سيرته وترجمته ، عودوا إلى عمر ، فبطون التاريخ مليئة بذكره ، قد غمرت فضائله الكتب والموسوعات ، رحم الله عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عن عمر بن عبد العزيز ، جمعنا الله بعمر ابن عبد العزيز في الجنة .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العزيز الجليل لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على
إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

● أما بعد .. عباد الله

من يتق الله يُحمد في عواقبه * * * ويكفه شرَّ من عزّوا ومن هانوا
من استجارَ بغير الله في فزع * * * فإن ناصره عجزٌ وخُذلانُ
فالزمْ يديك بحبل الله معتصماً * * * فإنه الركنُ إن خانتك أركانُ

صح عند الترمذي وأحمد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : « يا غلام ، إنني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ
الله تجده نجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن
الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ،
ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ،
رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » (١) .

هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه وأنصاره ، أن يتقوا الله تعالى ، وأن
يحفظوه في السرِّ والعلانية .

قال بعض الصالحين : إذا أردت أن توصي صاحبك ، أو أخاك ، أو ابنك ، فقل
له : « احفظ الله يحفظك » فالله - عز وجل - يحفظ أوليائه في أنفسهم ، وفي
أهليهم ، وفي أموالهم ، وفي جوارحهم ، وفي أعراضهم .

يحفظهم من مكر الأعداء ، وكيد الحاقدين ، وتدبير المارقين ﴿ وَيَجِيَّ اللَّهُ الَّذِينَ
اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٦١] .

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٥٧٦) رقم (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١ / ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) .
وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧) .

حفظ الله خليله إبراهيم عليه السلام لما ألقاه قومه في النار ، فأوحى الله إليها ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ {سورة الأنبياء الآية : ٦٩} .

وحفظ الله نبيه وحببيه محمداً صلى الله عليه وسلم من كيد المشركين ، الذين أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم فقد اجتمعوا في دار الندوة ، ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل ، قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ، فأجمعوا فيه رأياً . فقال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً حتى يموت ! ، فقال إبليس ، وقد تنكر في زي شيخ نجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلاؤشكوا أن يشبوا عليكم ، فينزعه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا إلى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا ، فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه . فقال إبليس : لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ، ما أمتتم أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه ، وحلاوة منطقه ، حتى يتابعوه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ، ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً ، جامداً ، نسيباً ، وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك ، تفرق دمه في القبائل جميعاً . فقال إبليس : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا أرى غيره ، فأجمع القوم على ذلك !!

فهل ترك الله نبيه ﷺ يفتك به هؤلاء المشركون؟ هل خذله أمامهم؟ هل أسلمه إليهم؟ كلا والله، لم يخذله، ولم يسلمه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْبُتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ {الأنفال: ٣٠} .

أرسل الله جبريل ﷺ إلى الرسول ﷺ بخطة هؤلاء ، بمكر هؤلاء ، بتدبير هؤلاء ، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . فلما كان الليل ، اجتمع الفتيان الأشداء على بابهِ ﷺ يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه وثبة رجل واحد ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : نم على فراشي ، وتسج^(١) ببردي ؛ فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه .

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ، وأخذ الله أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، فجعل يثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى : ﴿يَسَ ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ سورة يس الآيات: ١ - ٩ . حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل ، إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ، ثم انصرف^(٢) .

عناية الله أغنت عن مضاعفة * * من الدرّوع وعن عالٍ من الأطم
ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على * * خير البرية لم تنسج ولم تحم

لما فتح عبد الله بن عليّ العباسي دمشق ، قتل في ساعة واحدة ، ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين ، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الكبير!! ثم جلس

(١) تسجى بالثوب : أي غطى به جسده ووجهه .

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ١٣٧ - ١٤٠) .

للناس ، وقال للوزراء : هل يعارضني أحد ؟ قالوا : لا . قال : هل ترون أحداً سوف يعترض عليّ ؟ قالوا : لا ، إن كان فالأوزاعي - والأوزاعي محدث فحل ، إمام الدنيا ، أمير المؤمنين في الحديث ، كان زاهداً عابداً من رواة البخاري ومسلم - قال : تعالوا به . فذهب الجنود للأوزاعي ، فما تحرك من مكانه ، قالوا : يريدك عبد الله بن علي . قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . انتظروني قليلاً ، فذهب ، واغتسل ، ولبس أكفانه ، وتجهز للموت ، ثم قال في نفسه : قد آن لك يا أوزاعي أن تقول كلمة الحق ، لا تخشى في الله لومة لائم ، قال الأوزاعي وهو يصف القصة :

فدخلت فإذا أساطين من الجنود ، قد جعلوا على صفيين ، وقد سلوا سيوفهم ، فدخلت من تحت السيوف ، حتى بلغت إلى عبد الله بن علي العباس ، وقد جلس على سريره ، ويده خيزران ، وقد انعقد على جبينه عقدة من الغضب . قال : فلما رأيته ، كان أمامي كأنه ذبابة . قال : فما تذكرت أحداً ؛ لا أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ، إنما تذكرت عرش الرحمن ، إذا برز للناس يوم الحساب !

قال : فرجع بصره وقد ظهر عليه الغضب ، ثم قال : يا أوزاعي ، ما تقول في دماء بني أمية التي أرقناها ؟ قال الأوزاعي : حدثنا فلان عن فلان . عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ؛ الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، المفارق للجماعة » ^(١) . فإن كان من قتلتهم من هؤلاء ، فقد أصبت ، وإن لم يكونوا منهم ، فدمائهم في عنقك .

قال الأوزاعي : فنكت بالخيزران ، ورفعت عمامتي أنتظر السيف !! ورأيت الوزراء يستجمعون ثيابهم ويرفعونها حتى لا يصيبها الدم . قال : وما رأيك في الأموال ؟ قال الأوزاعي : إن كانت حلالاً فحساب ، وإن كانت حراماً فعقاب .

(١) أخرجه البخاري (٨ / ٣٨) ، ومسلم (٣ / ١٣٠٢ ، ١٣٠٣) رقم (١٦٧٦) .

قال : خذ هذه البدره - كيس مملوء ذهباً - قال الأوزاعي : لا أريد المال . قال : فغمزني أحد الوزراء ، يعني خذها . فأخذ الأوزاعي الكيس ، ووزعه على الجنود ، حتى لم يبق فيه شيء ، ثم رمى به وخرج ، فلما خرج قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » قلناها يوم دخلنا ، وقلناها يوم خرجنا !! ﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ { آل عمران : ١٧٤ } .

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا * * * أعظم بقوم بايعوا الغفارا
فأعاضنا ثمناً ألد من المنى * * * جنات عدن تحف الأبرارا
فلمثل هذا قم خطيباً منشداً * * * يروي القريض وينظم الأشعارا

● أيها الناس :

احفظوا الله - عز وجل - بالرجوع إليه ، والتوبة من الذنوب والمخالفات .

احفظوا الله - عز وجل - بالمحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن في أوقاتها ، بخشوعها ، وخضوعها ، بأركانها ، وواجباتها ، وسنها .

احفظوا الله - عز وجل - بحفظ قلوبكم من النفاق والرياء ، والحقد والحسد ، فقد قال نبيكم ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت ، صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسدت سائر الجسد ، ألا وهي القلب » (١) .

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ { الأحزاب : ٥٦ } .

وقد قال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٢) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٩) ، ومسلم (٣ / ١٢١٩ ، ١٢٢٠) رقم (١٥٩٩) .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ ظالم من الدرجة الأولى ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ، ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُّ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المسلمون :

عنوان هذه الخطبة « ظالم من الدرجة الأولى » من هو هذا الظالم ؟ إن التاريخ لا يظلم أحداً ، إذا نقل بأيدي أمينة ، وإن ما فعله الظالمون ، مسطر في قلوب الأجيال ، وهو عند ربي في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسوف يوقفهم - سبحانه وتعالى - للقصاص ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ { سورة الشعراء الآيات : ٨٨ ، ٨٩ } .

وهذا الظالم ، سيرته تقشعر منها أبدان المؤمنين ، تدمع منها عيون الموحدين ، سيرة مؤذية ، وقبيحة وممتنة .

ذكره الذهبي في السير فقال : نبغضه ولا نحبه ، ونعتقد أن بغضه من أوثق عرى الدين ، ثم قال عنه : له حسنات منغمرة في بحار سيئاته .

وذكره ابن كثير فقال : فلان بن فلان ، قبحه الله ، هكذا يحكم عليه التاريخ ، وقد هلك منذ قرون طويلة .

ولكنه سيقدم على الله ، وسيحاسب عن كل ما فعل ، وعن كل ما قدم ، وبما اتخذ من قرار ، وبما سلب من أموال ، وبما سفك من دماء ، وبما أسكت من أصوات .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٤٢] . ولماذا نراهم يملئون الدنيا ؟

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [سورة إبراهيم الآيتان : ٤٢ ، ٤٣] .

لقد أخطأ هذا الظالم في حق الأمة الإسلامية ، وظن أنه وال في دولة فارس أو الروم ، وظلم نفسه أيضاً ، ولكنه لا يستطيع أن يظلم ربه ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٧] .

سفك هذا الظالم الدماء الزكية ، حجر على المفكر فكره ، وعلى العالم علمه ، وعلى الداعية دعوته ، وعلى الأديب أدبه ، وعلى المبدع إبداعه ، وهذا من أعظم الظلم ، الذي إذا وجد في أمة ، فهو أعتى ما يمكن أن يواجهها في حياتها .

إن الظلمة قد لا يقتلون الأنفس ، وإنما يقتلون المبادئ والطموحات والإبداعات والمواهب ، فيستحقون بذلك غضب الله عز وجل وأليم عذابه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٢١] .

قال بعض أهل العلم : يدخل في ذلك من قتل رسالة الناس ، ودعوة الناس ، وعلم الناس ، وإبداع الناس ، وحجر على أفكارهم ، يستحق هذا العذاب ، طالما أن رسالتهم للإسلام ، ودعوتهم للإسلام ، وعلمهم للإسلام ، وإبداعهم للإسلام ، وأفكارهم للإسلام .

إن هذا الظالم الذي نتحدث عنه ، قطع الأصوات كلها إلا صوتاً واحداً
يمدحه ، ويثني عليه ، ويغني له ، ويسبح بحمده صباح مساء .

إن هذا الظالم الذي نتحدث عنه ، قطع الأيادي كلها ، إلا يداً واحدة تصفق
له ، أباد المواهب كلها إلا موهبة تقدسه وتعظمه .

والله إن العبد ليندى جيئنه خجلاً ، ويتفطر قلبه أسى ، وهو يطالع ما وصل
إليه العالم الإسلامي المعاصر ، من تسلط الظلمة وأعداء الأمة . ووالذي نفسي
بيده ، للعالم الغربي على كفره ، أرحم وأعدل من هؤلاء .

ونعود إلى أعظم ظالم عرفته الأمة ؛ عادي العلماء ؛ لأنهم حملة حق ،
وصاحب السفهاء ؛ لأنهم رواد باطل ، صادم المرابين واللامعين والمصلحين ،
وقرب المهرجين والمطبلين والفاقرين .

مشكلة هذا الظالم أنه لا يستمع إلى نصيحة ، ولا يقبل حواراً ، ولا يحتمل
معارضة .

من هو هذا الظالم؟ هل عرفتموه؟ هل مر بأذهانكم؟ هل سمعتم خبره؟

يقول هذا الظالم عن نفسه ، قبل أن يموت بشهر واحد : رأيت في المنام كأن
القيامة قامت ، وكان الله برز على عرشه للحساب ، فقتلني بكل مسلم قتلته مرة ؛
إلا سعيد بن جبير قتلني به على الصراط سبعين مرة .

أندرون كم قتل من أمة محمد ، عليه الصلاة والسلام ، لقد قتل منها
الآلاف ، وسجن الآلاف ، ومنع الدعاة من الكلام ، وحجّر على العلماء ،
وأظلمت الدنيا في عهده .

خطب في الناس ، وصلى بهم الجمعة ، ثم مشى بجانب سجنه ، فبكى
السجناء ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء ، عله أن يسمعهم فيرحمهم ، فسمعهم ثم قال
لهم : ﴿ اخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴾ {سورة المؤمنون الآية : ١٠٨} .

يأتيه الشيخ الكبير، فيلعبه أمام الناس، يقوم الناصح فينصحه فيزجره .

إنه الحجاج بن يوسف الثقفي ، أكبر طاغية في تاريخ الأمة .

أراد الله أن يؤدب هذه الأمة بأمثال هذه القائمة السوداء ، بسبب ذنوبها ، وعتوها ، وبأكلها للربا ، وخيانتها لميثاق الله تعالى ، فوضع هذه الكوابيس على أكتافها لتعود إلى ربها .

دخل رجل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خليفة فقال: يا أمير المؤمنين، ما بال الناس أطاعوا أبا بكر وعمر، ولم يطيعوك؟ قال علي: لأن رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورعيتي أنا، أنت وأمثالك، جزاءً وفاً ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف الآية: ٤٩] .

كان الحجاج يقرأ القرآن ، ويلقي الخطب الرنانة ، وكان يتحدث عن العدل ويمدح نفسه بذلك ، ولكن كان سيفه مشرعاً في وجه كل من يخالف ، وكانت إبادته للحريات ماضية ، واستيلائه على الحقوق نافذ .

ومع ذلك كان يصفق له المبطلون ، ويمدحه المادحون ، ويشيد بعدله الشعراء والمنافقون .

● عباد الله :

نحن الآن أمام قصتين غريبتين مذهلتين ، بين عبيد صالحين وبين هذا الطاغية .

أتى هذا الطاغية إلى الحرم ليؤدي العمرة ، وكثير من الظلمة ، يتصور أنه إذا فعل ما فعل ، ثم يأتي ويطوف بالبيت سبغاً فقد محا هذا بذاك وانتهت القضية، وهذا تصور ساذج للإسلام .

أما والله إن الظلم شؤم * * * وما زال المسيء هو الظلوم
إلى الديان يوم الحشر نمضي * * * وعند الله تجتمع الخصوم

ذهب الطاغية يعتمر ، وأخذ معه حراسة مشددة ، لأنه يعلم أنه ظالم ، ولما أتى مقام إبراهيم ، وقف يصلي ركعتين ، فوضع حرسه وجنوده السلاح والسيوف والرماح والخناجر على الأرض . والذي يروي هذه القصة طاوس بن كيسان ، أحد العلماء ، قال : كنت جالساً عند المقام ، فسمعت الجلبة ، يعني الصوت والضجة ، فالتفت ، فرأيت الحجاج وحرسه ، فقلت : اللهم لا تمتعه بصحته ولا بشبابه .

لا إله إلا الله ، إن بعض العباد ، يستولي على قلوب الناس ، فيكسب دعاء العجائز في البيوت والأطفال في المهد ، وهناك آخرون يكسبون بغض الناس ، فيلعنهم الشباب والشيوخ ، وتلعنهم الحوامل وما في بطونها ، وتلعنهم دواب الأرض ، وكان الحجاج من هذا الصنف .

فلما جلس الحجاج بعد أن أدى الركعتين ، أتى رجل فقير من أهل اليمن ، وقام يطوف بالبيت ، ولم يعلم أن الحجاج بن يوسف عند المقام ، وفي أثناء طواف هذا الفقير ، نشبت حربة بثوب هذا الفقير اليمني ، ثم وقعت على بدن الحجاج . . ففزع الحجاج وقال : خذوه ، فأخذه الجنود ، ثم قال : قربوه مني ، فقربوه منه ، فقال الحجاج لهذا الفقير المعتز بالله : أعرفتني ؟ قال : ما عرفتك .

قال الحجاج : من واليكم على اليمن؟

قال الفقير: محمد بن يوسف ، أخو الحجاج ، ظالم مثله !! أو أسوأ منه !!

قال الحجاج : أما علمت أنني أنا أخوه ؟

قال الفقير : أنت الحجاج ؟

قال الحجاج : نعم .

قال الفقير : بئس أنت ، وبئس أخوك !!

قال الحجاج : كيف تركت أخي في اليمن ؟

قال الفقير : تركته بطيئاً سمياً .

قال الحجاج : ما سألتك عن صحته ، إنما سألتك عن عدله .

قال الفقير : تركته غاشماً ظالماً .

قال الحجاج : أما علمت أنه أخي ؟ أما تخاف مني ؟

قال الفقير : أتظن يا حجاج أن أخاك يعتز بك ، أكثر من عزتي بالواحد

الأحد ؟

قال طاوس الراوي : والله لقد قام شعر رأسي ، ثم أطلق الحجاج الرجل ،

فجعل يطوف بالبيت ، لا يخاف إلا الله !!

ومما زادني شرفاً وتيهاً * * * وكدتُ بأخمصي أطأ الثرياً
دخولي تحت قولك يا عبادي * * * وأن صيرتَ أحمد لي نبياً

كان سعيد بن جبير إمام الدنيا في عهد الحجاج ، وكان الإمام أحمد إذا ذكره

بكى وقال : والله لقد قتل سعيد بن جبير ، وما أحد على الدنيا من المسلمين ،
إلا وهو بحاجة إلى علمه .

قتله الحجاج ، قتل ولي الله ، الصوم القوأم ، محدث الإسلام وفقه الأمة ،

وافتحوا كتب التفسير والحديث والفقه ، فسوف تجدون سعيد بن جبير في كل
صفحة من صفحاتها .

كانت جريمة سعيد بن جبير ، أنه عارض الحجاج ، قال له أخطأت ،

ظلمت ، أسأت ، تجاوزت ، فما كان من الحجاج إلا أن قرر قتله ؛ ليريح نفسه

من الصوت الآخر ، حتى لا يسمع من يعارض أو ينصح .

أمر الحجاج حراسه بإحضار ذلك الإمام ، فذهبوا إلى بيت سعيد في يوم ،

لا أعاد الله صاحبه على المسلمين ، في يوم فجع منه الرجال والنساء والأطفال .

وصل الجنود إلى بيت سعيد ، فطرقوا بابه بقوة ، فسمع سعيد ذلك الطرق

المخيف ، ففتح الباب ، فلما رأى وجوههم قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ماذا تريدون ؟ قالوا : الحجاج يريدك الآن .

قال : انتظروا قليلاً ، فذهب ، وأغتسل ، وتطيب ، وتحنط ، ولبس أكفانه وقال : اللهم يا ذا الركن الذي لا يضام ، والعزة التي لا ترام ، اكفني شره .

فأخذته الحرس ، وفي الطريق كان يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، خسر المبطلون .

ودخل سعيد على الحجاج ، وقد جلس مغضباً ، يكاد الشر يخرج من عينيه .

قال سعيد : السلام على من اتبع الهدى - وهي تحية موسى لفرعون .

قال الحجاج : ما اسمك ؟

قال سعيد : اسمي سعيد بن جبير .

قال الحجاج : بل أنت شقي بن كسير .

قال سعيد : أمي أعلم إذ سممتني .

قال الحجاج : شقيت أنت وشقيت أمك .

قال سعيد : الغيب يعلمه الله .

قال الحجاج : ما رأيك في محمد ﷺ ؟

قال سعيد : نبي الهدى ، وإمام الرحمة .

قال الحجاج : ما رأيك ، في علي ؟

قال سعيد : ذهب إلى الله ، إمام هدى .

قال الحجاج : ما رأيك في ؟

قال سعيد : ظالم ، تلقى الله بدماء المسلمين .

قال الحجاج : عليّ بالذهب والفضة ، فأثوا بكيسين من الذهب والفضة ، وأفرغوهما بين يدي سعيد بن جبير رضي الله عنه .

قال سعيد : ما هذا يا حجاج ؟ إن كنت جمعته ، لتتقي به من غضب الله ، فنعماً صنعت ، وإن كنت جمعته من أموال الفقراء كبراً وعتوّاً ، فوالذي نفسي بيده ، الفزعة في يوم العرض الأكبر تذهل كل مرضعة عما أرضعت .

قال الحجاج : علي بالعود والجارية .

لا إله إلا الله ليال حمراء وموسيقى والهة والأمة تتلظى على الأرصفة !!
فطرقت الجارية على العود وأخذت تغني ، فسالت دموع سعيد على لحيته وانتحب .

قال الحجاج : ما لك ، أطربت ؟

قال سعيد : لا ، ولكني رأيت هذه الجارية سخرت في غير ما خلقت له ، وعود قطع وجعل في المعصية .

قال الحجاج : لماذا لا تضحك كما نضحك ؟

قال سعيد : كلما تذكرت يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ذهب الضحك .

قال الحجاج : لماذا نضحك نحن إذن ؟

قال سعيد : اختلفت القلوب وما استوت .

قال الحجاج : لأبدلنك من الدنيا ناراً تلظى .

قال سعيد : لو كان ذلك إليك لعبدتك من دون الله .

قال الحجاج : لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من الناس ، فاختر لنفسك .

قال سعيد : بل اختر لنفسك أنت أي قتلة تشاءها ، فوالله لا تقتلني قتلة ،

إلا قتلك الله بمثلها يوم القيامة .

قال الحجاج : اقتلوه .

قال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حينئذ مسلماً وما أنا من المشركين .

قال الحجاج : وجهوه إلى غير القبلة .

قال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ {سورة البقرة الآية: ١١٥} .

قال الحجاج : اطرحوه أرضاً .

قال سعيد وهو يتبسم :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ {سورة طه الآية : ٥٥}

قال الحجاج : أتضحك ؟

قال سعيد : أضحك من حلم الله عليك ، وجرأتك على الله !!

قال الحجاج : اذبحوه .

قال سعيد : اللهم لا تسلط هذا المجرم على أحد بعدي .

وقتل سعيد بن جبير ، واستجاب الله دعاءه ، فثارت ثائرة بثرة (١) في جسم الحجاج ، فأخذ يخور كما يخور الشور الهائج ، شهراً كاملاً ، لا يذوق طعاماً ولا شرباً ولا يهناً بنوم ، وكان يقول : والله ما نمت ليلة إلا ورأيت كأني أسبح في أنهار من الدم ، وأخذ يقول : ما لي وسعيد ، ما لي وسعيد ، إلى أن مات .

مات الحجاج ، ولحق بسعيد ، وغيره ممن قتل ، وسوف يجتمعون أمام الله تعالى يوم القيامة ، يوم يأتي سعيد بن جبير ويقول : يا رب سله فيم قتلني ؟

يوم يقف الحجاج وحيداً ، ذليلاً ، لا جنود ، ولا حرس ، ولا خدم ، ولا ... ، ولا ... ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ {سورة مريم الآيات : ٩٣ - ٩٥} .

(١) البثرة : هي الخراج الصغير .

● عباد الله :

إن نبيكم ﷺ كأنه علم أن ذلك سيحدث لأمته ، ولأتباع ملته ، فحذر أشد التحذير من الظلم .

قال ﷺ : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً ، فشق عليهم ، فاشقق عليه . ومن ولي من أمر أمتي شيئاً ، فرقق بهم ، فارقق به »^(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وقرهم ، احتجب الله عنه ، دون حاجته وخلته وقره »^(٢) .

إذا أغلق المسئولون أبوابهم في وجوه ذوي الحاجات ، فمن يحل مشكلة الفقير؟ من يسمع معاناة المسكين؟ من يرفع الجوع عن الجائعين؟ أهو الذي يحتجب عنهم ، ويغلق أبوابه دونهم؟ سوف يحتجب الله عنه يوم القيامة .

● أيها الناس :

هذه سيرة فيها عبرة لمن يعتبر ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ {سورة يوسف الآية : ١١١} .

﴿ ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ {سورة الانعام : ٦٢}

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِأَمَامِهِمْ ﴾ {سورة الإسراء الآية : ٧١} .

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ {سورة الجاثية الآية : ٢٩} .

﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ {سورة الانعام الآية : ٦٧} .

(١) أخرجه مسلم (٣ / ١٤٥٨) رقم (١٨٢٨) عن عائشة .

(٢) أخرجه أبو داود (٣ / ١٣٥) رقم (٢٩٤٨) عن أبي مريم الأزدي . وصححه الألباني - رحمه الله - كما في

صحيح الجامع رقم (٦٥٩٥) .

سوف تعلمون عاقبة الظلم والقهر ، يوم ينادي رب العزة ويقول : لمن الملك
اليوم ، لمن الملك اليوم ، لمن الملك اليوم ، ثم يجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ
الْقَهَّارِ﴾ {سورة غافر الآية : ١٦} .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولجميع المسلمين ،
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه
والتابعين .

● أيها الناس :

في سيرة هذا الظالم الذي تحدثنا عنه دروس :

أولها : أن الظلمة ولو كانوا يملكون أجساد الناس ، ويسيطرون على أموالهم ،
فإنهم لا يستطيعون أن يتحكموا في قلوب العباد ، لأنها بيد الله وحده ، فيجعل الله
المحبة في قلوب الخلق لمن أحب ، ويجعل البغض في قلوبهم لمن أبغض ، ولو
حاول الظلمة أن يكسبوا ود الناس ، لما استطاعوا ؛ فإن الله كتب أن يجعل الود
لأوليائه وأحبابه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ { مريم : ٩٦ }

وفي الصحيح قال عَلَيْهِ السَّلَام : « إن الله إذا أحب عبداً ، دعا جبريل ، فقال : إني
أحب فلاناً ، فأحبه قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب
فلاناً ، فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض
الله عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً ، فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم
ينادي في أهل السماء ، إن الله يبغض فلاناً ، فأبغضوه قال : فيبغضونه ، ثم توضع
له البغضاء في الأرض » (١) .

فاحرص يا عبد الله أن تكون ممن وضع له القبول في الأرض ، واعلم أن
العبد مهما صغرت ولايته أو كبرت ، فإنه سوف يقف أمام الله عز وجل وسوف
يحاسب على هذه الولاية ، ولو كان يحكم بين اثنين ، أو كان مسئولاً عن مكتب
صغير ، أو مديراً لمدرسة ، أو رئيساً لدائرة .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة .

واجعل أمام عينيك نموذجين اثنين ؛ عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل والحجاج بن يوسف الجبار الظالم ، واسأل نفسك ، مع من تحب أن تكون يوم القيامة .

ثانياً : إن من أعظم الظلم ، قتل المواهب والإبداعات والرسالات ، تأتي بالأديب ، فتكسر قلمه أمامه ، وتقول : لا تكتب أدباً ، ولا تروي شعراً ، تأتي بالعالم ، فتسفه استنباطه واجتهاده ، تأتي بالشاعر المسلم ، فتقول : لا تشعر ، لا تنظم ، لا تقفي إلا بما أريد . هذا ظلم ، وانتهاك للقيم .

ثالثاً : إن الأمة الإسلامية لم تعش التخلف ، ولم تحيا الاضطراب والرجعية ؛ إلا يوم تكلمت بغير قناعتها ، بحسب أهواء الظلمة ، فالإنسان يقول قولاً ، ويناقضه من داخله ، يكتب ثناء ، ويعلم أنه كاذب مخادع .

وفي الحديث أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم ؛ أن تقول له : أنت ظالم ، فقد تودع منهم »^(١) . يعني : سقطت من عين الله ، فلا يحبها الله ، ولا ينصرها ، ولا يرفع قدرها .

رابعاً : ليخش الظالم من الله ، فإن لم يخش من الله ، فليخش من التاريخ ، فإنه يسجل ظلمه وبغيه ، ألا يرى الظالم أننا ونحن في القرن الخامس عشر ، نترحم ونبكي وندعو لبعض الأئمة العدول الذين عاشوا في القرن الأول؟ وكذلك فإننا نغضب ونلعن أناساً جبارين عاشوا في نفس القرن . هل قدم لنا هؤلاء العدول إحساناً ؟ هل لنا مصلحة في الدعاء لهم ؟ وهل وقع من هؤلاء الظلمة إساءة علينا ؟ لا ، ولكنها سنة الله تعالى ، وكما قال أبو تمام في أئمة العدل :

ذهبوا يرون الذكرَ مجدداً ثانياً * * * ومضوا يعدون الشاء خلوداً
نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى * * * ألقاً ومن فجر الصباح عموداً

(١) أخرجه أحمد (٢ / ١٦٣ ، ١٩٠) عن عبد الله بن عمرو .

خامساً : صلاح الرعية ، بصلاح الراعي ، وصلاح الراعي ، بصلاح الرعية ، وإذا علم الله من الرعية الصلاح ، ولى عليهم الأخيار ، ورقق قلوب الولاة عليهم ، وجعلهم رحماء عدول .

فإذا حادت الأمة عن منهج الله ، ابتلاها بأناس ، يركون على صدورها ، فلا ترى النور ، ولا تتنفس ، ولا تتكلم ، حتى تلقى الله بذنوبها وخيبتها .

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يولي علينا خيارنا ، وأن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأن يهديهم سواء السبيل ، وأن يذلهم على الحق ، ويجنبهم الباطل ، وأن يرزقهم البطانة الناصحة الصالحة ، وأن يصرف عنهم بطانة السوء .

● عباد الله :

ووصلوا وسلموا - رحمكم الله تعالى - على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٥٦] .

ويقول ﷺ : « من صلى علي صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا رب العالمين .



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

رسول المساكين ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

● أيها المؤمنون :

عنوان هذه الخطبة : «رسول المساكين» وهو ﷺ ، رسول إلى كل البشر، إلى الملوك والملوكيين ، إلى الأغنياء والفقراء ، إلى الكبار والصغار ، إلى الرجال والنساء .

لكنني أريد اليوم أن أقف معه ﷺ وهو يتعامل مع المساكين، يقف معهم، يرحمهم، يعلمهم، يرفع من شأنهم، يعيش مأساتهم وظماهم وجوعهم، ودموعهم ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

وهل كان ﷺ يطرد الفقراء؟ وهل كان ﷺ يبعد المساكين؟ لا .
ولكن للآية قصة .

أتى كبراء مكة وصناديدها من الذين عششت الجاهلية في رؤوسهم ، فرأوا الرسول ﷺ جالساً في الحرم ، وحوله بلال ، وصهيب ، وعمار ، وابن مسعود ، وكلهم مساكين وفقراء ، فقال أبو جهل : يا محمد ، إن كنت تريد أن تجلس معك ، فاطرد هؤلاء الأعبد، حتى نجلس معك ، فهم الرسول ﷺ أن يفعل طمعاً في إسلامهم ، فأنزل الله عليه هذه الآية (١) .

إن هؤلاء الفقراء والمساكين المنكسرين خير من أولئك العظماء المتكبرين، إن أقفية هؤلاء المؤمنين أشرف من وجوه أولئك الكفرة ، إن أقدام هؤلاء خير من رؤوس أولئك ، لأن هؤلاء مؤمنون ، موحدون ، طائعون ، وأولئك مكذبون ، متكبرون ، محادون لله ورسوله .

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

{ سورة الكهف الآية : ٢٨ }

قال أبو العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك في هذا » ؟ فقال : رجل من أشرف الناس ، هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع . فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل آخر ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما رأيك في هذا » ؟ فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله . فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » (٢) .

(١) انظر : الدر المنثور (٣ / ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٦ / ١٢٣) .

ما هو الميزان إذن؟ ما هو المقياس؟ ما هي المؤهلات التي ترفع الإنسان وتخفضه؟ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ {سورة الحجرات الآية: ١٣} .

ويقول ﷺ: «ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم» (١) .

ويروى عنه ﷺ أنه قال: «اللهم أحيني مسكيناً ، وتوفني مسكيناً ، واحشرنني في زمرة المساكين» (٢) .

وليس معنى هذا أن نترك الدنيا، أو نرمي المال ، وإنما المعنى أن نعيش منكسرة قلوبنا لله ، ففي بعض الآثار أن الله - عز وجل - يقول: «أنا مع المنكسرة قلوبهم لي» والذي انكسر قلبه لله ، هو من يعيش عبداً لله ، لا لشهواته ، ولا لمنصبه ، ولا لدنياه .

لنقف اليوم مع نماذج من الفقراء والمساكين والمستضعفين ، أحياءها رسولنا ﷺ ، ورفعها ، ووقف معها موقف شرف لا تنساه ، بل لا ينساه التاريخ .

أناه شاب من شباب مكة ، وقد أخذ أهله كل شيء عنده ، لأنه أسلم ، جريته الكبرى أنه أسلم ، أخذوا ماله ، وخلعوا ثيابه ، فما وجد إلا شملة قسمها نصفين ، نصف لأعلاه ، ونصف لأسفله ، فلما رآه النبي ﷺ ، أجهش بالبكاء في وجهه ، وقال : رأيت من أغنى شباب مكة ، ومن أطيب شباب مكة ، ثم ترك ذلك كله لله ، إنه عبد الله ذو البجادين ، وسمي بذى البجادين؛ لأنه قسم الشملة على نصفين ليستر بها جسده ، وأتى جائعاً طريداً معذباً ، يحمل لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وتمر الأيام ، والرسول ﷺ ، يملأ قلبه حباً وحناناً وعطفاً ورحمة ، ويخرج معه في غزوة تبوك ، وينام الجيش وعدده أكثر من عشرة آلاف ، وفي

(١) أخرجه أبو داود (٣٢ / ٣) رقم (١٥٩٤) ، والنسائي (٤٦ / ٦) رقم (٣١٧٩) ، والترمذي (٧٩ / ٤) رقم (١٧٠٢) ، وقال الترمذي: حسن صحيح . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٤١) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد والبيهقي عن أبي سعيد ، والطبراني والضياء عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (١٢٦١) .

وسط الليل يستيقظ ابن مسعود رضي الله عنه فيسرى ناراً تضيء في آخر المعسكر ، فيلتمس الرسول صلوات الله عليه ، فلا يجده في مكانه ، ويبحث عن أبي بكر فلا يجده ، ويبحث عن عمر فلا يجده ، فيذهب إلى مكان النار ، فإذا الرسول صلوات الله عليه ، حفر قبراً ونزل في القبر وسط الليل ، وإذا أبو بكر وعمر يحملان جنازة يديانها في القبر ، فقال ابن مسعود : من هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا أخوك عبد الله ذو البجادين ، توفي هذه الليلة ، ويجعل صلوات الله عليه ساعده تحت خد عبد الله ، ودموعه تتقاطر على خد عبد الله في ظلام الليل ، فلما أنزله قبره ، رفع كفيه واستقبل القبلة وقال : «اللهم ارض عنه فإنني أمسيت عنه راض . اللهم ارض عنه فإنني أمسيت عنه راض» . فبكى ابن مسعود وقال : يا ليتني كنت صاحب تلك الحفرة (١) .

● أيها الناس :

أي فوز أعظم من هذا الفوز ، وأي شيء أفضل من أن يرضى الله ورسوله عن عبد ، ولكن مع هذا فكثير من الناس رضوا بالبدائل الدنيوية ، من المناصب والأموال والقصور ولم يعبثوا بغضب الحي القيوم ، فأبي عقول هذه العقول ، وهل هناك عاقل يستطيع أن ينام ليلة وقد غضب الله عليه ، وغضب عليه رسوله صلوات الله عليه ؟ لأنه يتعدى حدود الله ، ويتتهك شرعه ، ويستتهزئ بسنة نبيه صلوات الله عليه .

اختصمت امرأتان في عهد النبي صلوات الله عليه فأتت إحداهما واسمها الربيع أخت أنس بن النضر ، فقلعت سن المرأة الأخرى ، ورفع الأمر إلى رسول الله صلوات الله عليه ، فقال : كتاب الله ، والسن بالسن .

فأتى أنس بن النضر ، بطل المعارك ، الذي قتل من الكفار مبارزة مائة غير المئات التي صفى حسابهم تصفية جسدية ، في بدر وأحد والأحزاب ، فقال : يا رسول الله ، أتريد أن تقلع سن أختي الربيع ؟ قال : نعم . كتاب الله . قال :

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩ / ٣٧٢) : رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد ، وهو متروك .

والله لا تقلع سن أختي !! . ما معنى هذا القسم ، هل هو اعتراض على الشرع ؟ هل هو اعتراض على حكومة النبي ﷺ ؟ كلا ولكن أقسم أنس هذا القسم ، رجاء في الله أن يبر قسمه ، كأنه دعاء .

فلما أقسم أنس قال ﷺ : اذهبوا إلى أهل المرأة فإن رضوا بالأرض فلا بأس . فذهبوا إليهم فرضوا بالأرض وكانوا قبل ذلك لم يرضوا به أبداً ، وأقسموا لا يرضون إلا بسن الربيع .

فتبسّم ﷺ وأخذ ينظر إلى ثياب أنس بن النضر الممزقة وإلى جسمه النحيل ثم قال : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » (١) .

كأنه يقوله له : أصبحت في منزلة إذا حلفت على الله ، أبر الله قسمك !! أي منزلة هذه، أن يقسم الإنسان الضعيف على الملك الجليل فيلبي قسمه !! وهذا البراء بن مالك ؓ كان الصحابة - رضوان الله عليهم - إذا ذهبوا إلى المعارك ، أخرجوه وقالوا له : أقسم على الله أن ينصرنا .

حضرنا معركة تستر في الشمال، وحاصروها ورفض الكفار أن ينزلوا من القلعة ، وكانت محصنة ، وما كان الصحابة يملكون صواريخ ، ولا مدافع ، ولا حتى منجنيق إلا أنهم كانوا يملكون ما هو أعظم من هذا كله، يملكون الدعاء ، الذي يتجاوز حدود الأرض فيصل إلى السماء ، فيقول الله - عز وجل : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين .

حاصر الصحابة القلعة ، ثم قالوا للبراء نسألك بالله أن تقسم على ربك أن ينصرنا هذا اليوم ، قال : انتظروني قليلاً ، فذهب واغتسل وتحنط وتطيب ، ثم رفع سيفه ، والتفت إلى السماء ليخاطب ربه مباشرة ثم قال : اللهم إنك تعلم أنني أحبك ! هذا أول مؤهلات البراء .

(١) أخرجه أبو داود (٤ / ١٩٧) رقم (٤٥٩٥) . وابن ماجه (٢ / ٨٨٤ ، ٨٨٥) رقم (٢٦٤٩) . واحمد (٣ / ١٢٨ ، ١٦٧ ، ٢٨٤) .

وليسأل كل منا نفسه ، هل يحب ربه ؟ هل صحيح أننا نحن المسلمين نحب ربنا ، فتمثل أوامره ، ونجتنب نواهيه ، ونحب دينه وشرعه ، ونقدم أنفسنا ودماءنا وأموالنا رخيصة لإعلاء كلمة الله .

لا أعني بمحبة الله - عز وجل - تلك المحبة المزعومة التي يدعيها كل الناس بألسنتهم ، وليس لها في عالم الحقيقة وجود ، فإن قوماً ادعوا محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] فظهر كذبهم ، وبان عوارهم ودجلهم .

إنني لن أجب على هذا السؤال ، فكل يجيب عليه في نفسه ، أما البراء فقد كان صادقاً ، كان جسمه يتقطع وهو يتبسم لأنه يحب الله .

قال : اللهم إنك تعلم أي أحبك ، اللهم إني أقسم عليك هذا اليوم أن تنصرنا ، وأن تجعلني أول قتيل ، ودارت المعركة ، فوالذي لا إله إلا هو لهو أول قتيل في المعركة ، وكان فوزاً ساحقاً للمسلمين ، ودكت القلعة دكاً ، وقتل الكفرة ، ورفعت راية : لا إله إلا الله .

فأين هذه القلوب ، وأين هذه النماذج التي تحب الله عز وجل ، وتعيش مع شرعه ؟ فكان جزاؤها أنها تقسم على الله عز وجل فلا يردها ؛ بل يبر قسمها ويلبي دعاءها .

وفي مناظرة ساخنة بين هرقل ملك الروم وبين أبي سفيان ، الذي كان آنذاك عدواً لدوداً لرسول الله ﷺ ، فيقول هرقل : يا أبا سفيان أضعفاء الناس يتبعونه أم كبرائهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم ، فقال : أولئك أتباع الرسل (١) .

ولا يعني هذا أن كل من جمع مالا أو اغتنى ، أو ولاه الله أمراً أو منصباً أن يلغى ، لا ، لأن الأمة لا تستغني عن هؤلاء أيضاً ، ولكن المعنى أن نرحم أولئك

(١) أخرجه البخاري (١ / ٥) ، ومسلم (٣ / ١٣٩٣-١٣٩٧) رقم (١٧٧٣) .

المساكين ، وأن نعيش مأساتهم ، وأن نحبههم ، وأن نقف معهم ونلبي طلباتهم ؛ لأن صوتهم ضعيف لا يصل ، وخطوتهم قصيرة فلا تمتد ، وتغلق الأبواب في وجوههم ؛ لأنهم مساكين ، والأعطيات لا تنالهم لأنهم مساكين ، فحق على المسلم أن يشفع لهم ، وأن يعيش قضيتهم .

● أيها الناس :

كان عليه السلام يزور عجائز المدينة ، ولعل أحداً يسأل ، ولماذا لم يرسل أحداً من أصحابه ، ويبقى هو في بيته ؟

فنقول : إن زيارته عليه السلام لعجوز في طرف المدينة خير من ألف محاضرة ، وألف كتاب ، وألف تصريح ، وألف خطبة .

يزور عليه السلام العجوز فيسألها عن حالها ، ويمسكه الأعرابي في الطريق فيوقفه حتى ينتهي من حاجته ، ويحمل الأطفال ويداعبهم ، كان الفقير والمسكين والضعيف يأخذ بيديه عليه السلام ، فينطلق به حيث شاء ، فرگاه ربه بتاج من الوقار والمديح والثناء لا يعدله شيء ﴿ وَأَنْتَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ {سورة القلم الآية : ٤} .

إن القلوب القاسية ، ترفض هذا السلوك وتسميه تنازلاً وتدميراً للشخصية وبعضهم يزعم أنه إذا زار الفقراء أو وقف مع المساكين ، سقطت هيئته ، وانهار كبرياؤه ، ولذلك تجده يضيف على نفسه هالة من الكبر والعبوس والغلظة ، فيمقته الله ، ويسقطه من العيون ، فلا تجبه القلوب ، ولا تدعوه الألسنة ، ولا تعشقه الأرواح ، ولا يجد قبولا في الأرض ، بل بغضاً ومقتاً وكرهاً .

وقد ذكر عليه السلام أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة في صورة الذر يطوهم الناس بأقدامهم (١) .

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٥٦٥) رقم (٢٤٩٢) وقال : حسن صحيح . وأحمد (٢ / ١٧٩) . وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٨٠٤٠) .

نعوذ بالله من الكبر والتكبرين ، ومن الجبروت والمتجبرين ، ونسأله تعالى أن
يرحمنا برحمة المساكين ، وأن يعفو عنا كما يعفو عن المذنبين .

● عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه
إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر لله شكراً شكراً ، والصلاة والسلام على المعلم الأمين ، والبشير النذير ، والقائد النحرير ، وعلى آله وصحبه والتابعين .
● أيها الناس :

العمل والعمال قضية كبرى تحتاج إلى بسط من الحديث ، وإلى مقام أطول من هذا المقام ، لكنني أشير إليها بكلمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
هؤلاء العمال قصتهم المساوية تبدأ من يوم أن ترك أحدهم أطفاله وزوجته ، وترك جيرانه وأهله ، وترك بيته الذي كان يألفه ، ومراتع الصبا التي عاش فيها ، ترك كل ما يعرف ، وكل ما يألف ، وكل ما يحب ، وسافر مئات الأميال إلى بلاد هي غريبة عنه ، لا يعرف فيها أحداً ، ولا يألف فيها شيئاً ، ولماذا أتى ؟ هل أتى للسياحة ؟ هل أتى للنزهة ؟ هل أتى ليجمع معلومات عن هذه البلاد ؟ لا ، إنما أتى طلباً للقامة العيش له ولأطفاله .

إنني أتكلم عن العمال المسلمين الموحدين ، أما غير المسلمين ، فقد أفتى كثير من أهل العلم أنه لا يجوز استقدامهم إلى جزيرة العرب ، إنما أتكلم عن العمال المسلمين المساكين الفقراء ، الذين أتوا من أنحاء الأرض يطلبون الرزق الحلال .

فتصور ماذا يحدث لبعضهم : أول ما يأتي إلى هذه البلاد ، يجبره كفيله أن يدفع كل ما أنفق في الرحلة من بلاده إلى هنا ، وهو مسكين لا يقدر على ذلك ، فيجعل ذلك ديناً عليه ، يؤديه إليه كل شهر ، فيبقى المسكين شهوراً طويلاً ، يدفع ثمن التذكرة ، وثمان التتقل ، وثمان تأشيرة الدخول وغير ذلك .

ثم ماذا يحدث ؟ اسألوا أصحاب المؤسسات وأصحاب المشروعات التجارية عن ذلك .

إن العامل من هؤلاء يتقاضى أربعمائة ريال ، أو خمسمائة ريال أو ستمائة

ريال ، وبعضهم أقل من ذلك ، ثم يأتي هذا الجبار الذي لا يرحم المستضعفين ، فيطالبهم بحقوقه ، ولا يدفع لهم حقوقهم ، فإذا انتهى الشهر ماطلهم على هذا الراتب الزهيد البسيط الذي يصرفه الواحد منا في يوم واحد !!

ثم إذا طلب المسكين إجازة لم يعطه ، يطلب أن يذهب إلى أطفاله فيرفض ، فلا هو بالذي حصل على مال لأهله ، ولا أراح جسمه من العمل والظلم والعتو والجبروت .

فأين الإسلام ؟ وأين ما تعلمناه من سيرة الرسول ﷺ ورحمته بالمساكين ؟ هل يتصور أن يأتي صاحب الملايين فيأكل حقوق العمال المساكين ويمنع عنهم أجورهم البسيطة؟

يأكل الطعام الشهي ، ويطعمهم الخبز اليابس ، يتعامل معهم كما يتعامل مع الدواب تمامًا ، فأين الإسلام ؟ أين معنى الصلاة ؟ أين أثر الإيمان الخالد ؟

لماذا لا نسأل أنفسنا ، أليس الله بقادر على أن يحول الحال فيصبحون هم الأغنياء ، ونحن الفقراء ، ويجعلهم هم الأثرياء ونحن المساكين ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ {سورة آل عمران الآية : ١٤٠} . فلا بد أن نضع في حسابنا أنه يمكن في مرحلة من مراحل القضاء والقدر أن نصل إلى هذا المستوى ، فنسافر إلى بلادهم طلبًا للرزق .

وهناك سؤال آخر ، ألا نستبق نعمة الله علينا ، ألا نشكره أن جعلنا في هذا الوضع وفي هذه المعيشة الهنية والحياة الرغيدة ؟

رجل عنده الملايين يمارس الظلم والجبروت على هؤلاء العمال المساكين ألا يسمع قول النبي ﷺ : « من استرعاه الله رعية فمات وهو لها غاش حرم الله عليه الجنة » (١) .

فلا حيا الله تلك الثروات الطائلة، إذا كانت مبنية على الظلم والكبر والعتو.

(١) أخرجه البخاري (٨ / ١٠٧) ، ومسلم (١ / ١٢٥) رقم (١٤٢) .

● فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ :

ارفعوا الظلم عن هؤلاء المساكين ، من كانت عنده مؤسسة أو شركة ، أو كان لديه عمال تحت كفالته فليتنق الله فيهم .

ارفعوا الظلم فإن الرسول ﷺ يقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة » (١) .
ويقول : « وفي كل كبد رطبة أجر » (٢) إن أطعمت كلباً يمكن أن يكون ذلك سبباً لدخولك الجنة .

زنت امرأة من بني إسرائيل وأسرفت على نفسها وعصت ربها ، وفي يوم ، مرت بكلب يلهث من العطش ، يأكل الثرى ، يمد لسانه إلى الطين فدلّت الدلو في البئر ونزعته وسقت الكلب ، فغفر الله لها (٣) .

هذا مع الكلاب في عالم الكلاب ، فكيف بعالم البشر ، وكيف بعالم المسلمين .

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها ، ولا سقتها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » (٤)
وهذا في عالم القطط ، فكيف بالذي يترك الإنسان بلا طعام ولا شراب ولا مأوى .

ثم إن هؤلاء العمال لماذا نتركهم يعملون أثناء الصلوات المفروضة ، ألا نتقي الله فيهم ، أليسوا مسلمين ؟ أليسوا مطالبين بالصلوة ؟ نمر بكثير من العمارات التي تبنى ، فنرى العمال يحملون آلاتهم ثم لا يلبون ذلك النداء العظيم ، من المسئول عن هذا ؟ إن هذا جرح لمشاعر المسلمين ، وانتهاك للمنهج الرباني الخالد .
ألا فارفعوا الظلم عن هؤلاء « الراحمون يرحمهم الله ، ارحموا من في

(١) أخرجه البخاري (٣ / ٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٣ / ٧٧) ، ومسلم (٤ / ١٧٦١) رقم (٢٢٤٤) .

(٣) أخرجه مسلم (٤ / ١٧٦١) رقم (٢٢٤٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٣ / ٧٧) ، ومسلم (٤ / ١٧٦٠) رقم (٢٢٤٢، ٢٢٤٣) .

الأرض يرحمكم من في السماء» (١) قفوا مع هؤلاء المساكين ، لبوا طلباتهم،
عيشوا مأساتهم، أحسنوا إليهم، فإن ربكم - تبارك وتعالى ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ {سورة النحل الآية : ١٢٨} .

اللهم صل على المعصوم ، وبلغه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا
رب العالمين ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي،
وعن باقي العشرة المبشرين وعن سائر الصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابعيهم
ياحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا أرحم الراحمين .



(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٢٨٥) رقم (١٩٢٤)، قال الترمذي: حسن صحيح، وأبو داود (٤ / ٢٨٥) رقم (٤٩٤١). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٥٢٢) .

■ ذُئِبٌ يَتَكَلَّمُ ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها الناس :

لنستمع إلى المنقذ العظيم ، والرسول الكريم ، والمعلم النبيل ، والهادي الجليل ، في كلماته المعطاءة ، وأحاديثه النيرة ، وأسلوبه العذب ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

ففي صحيحي البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة » ^(١) لم يتكلم في زمن الرضاعة والطفولة إلا ثلاثة أطفال ، يرضعون اللبن من ثدي أمهاتهم ، ولكنهم تكلموا ، فمن الذي أنطقهم !؟ ومن الذي أعطاهم القدرة على الكلام !؟ .

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٤٠) ومسلم (٤ / ١٩٧٦، ١٩٧٧) رقم (٢٥٥٠) .

أنطقهم الله الذي أنطق كل شيء ، الذي ينطق الحجارة فتتكلم ، والجلود ينطقها يوم القيامة فتتحدث ، والأعضاء يستشهدها فتشهد ، ويختم على الأفواه التي طالما تكلمت وحاربت ربها فلا تتكلم .

أرأيتم إلى الذئب ، إنه حيوان كسائر الحيوانات ، لا يتكلم ، ولا يعقل ؛ ولكن الله عز وجل أنطقه ، وجعله يتكلم بلسان فصيح ، وأسلوب واضح .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلوات الله عليه ، « بينا راع في غنمه ، عدا عليه الذئب ، فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال : له : من لها يوم السبع ^(١) ، يوم ليس لها راع غيري فقال الناس : سبحان الله !! ذئب يتكلم !! » ^(٢) .

فقال رسول الله صلوات الله عليه : « فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر » .

تكلم الذئب ، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

وقد أنطق الله الجماد ، ففي صحيح البخاري ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : كان مسجد رسول الله صلوات الله عليه ، مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي صلوات الله عليه إذا خطب يقوم على جذع منها ، فلما صنع له المنبر ، وكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ^(٣) حتى جاء النبي صلوات الله عليه فوضع يده عليها ، فسكنت ^(٤) .

وعند أحمد في المسند : « فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله صلوات الله عليه فالتزمه ومسحه حتى سكن » ^(٥) إن جذع النخلة وهو جماد ، لم يستطع مفارقة رسول الله صلوات الله عليه فحن إليه ، وبكى على فراقه وخار كما تخور البقرة .

(١) يوم السبع : أي يوم يطردك عنها السبع ، وبقيت أنا فيها ، لا راعي لها غيري ؛ لفرارك منه ، فأفعل فيها ما أشاء !! وقيل غير ذلك . انظر : فتح الباري (٧ / ٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٤ / ١٤٩) . ومسلم (٤ / ١٨٥٨) رقم (٢٣٨٨) .

(٣) العشار : جمع العُشراء ، كُنُفساء ، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر .

(٤) أخرجه البخاري (٤ / ١٧٣ ، ١٧٤) .

(٥) أخرجه أحمد (٢ / ١٠٩) .

فكيف استطاع الإنسان أن يتعد عن سنته ﷺ ؟ .

كيف استطاع أن يفارق هديه ﷺ !؟ .

كيف استطاع أن يسير على غير طريقه ﷺ !؟ .

وهذه غملة ، لا تكاد ترى ، يمر سليمان وجيشه بجوار واد النمل ، فتتكلم النملة وتقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ {سورة النمل الآية : ١٨} .

فمن الذي أنطقها ؟

أنطقها الله الذي أنطق كل شيء .

فالنبي ﷺ يخبر أنه لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة ؛ عيسى ﷺ ، وقد أتت به أمه بلا أب ، والله خلق الخلق على أصناف أربعة :

- خلق آدم من غير أب ولا أم .

- وخلق حواء من أب بلا أم ؛ لأنها خلقت من ضلع آدم .

- وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب .

- وخلق سائر الخلق من أب وأم .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ {سورة لقمان الآية : ١١} .

فأتت مريم تحمل عيسى ﷺ ، قال بنو إسرائيل : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴾ {مريم : ٢٨} ، فلم تتكلم ، وأشارت إليه ، فتضاحكوا وقالوا : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ {مريم : ٢٩} .

فتكلم عيسى بإذن الله ، ولم يمض عليه إلا ساعات ، وقيل : ثلاثة أيام ، فتكلم بلسان فصيح ، نصيح ، مليح ، قال : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا

بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿
 {سورة مريم الآيات : ٣٠ - ٣٣} . هذا أولهم .

وثانيهم صاحب جريج ، وكان جريج رجلاً عابداً من عباد بني إسرائيل ، وكان دائماً في صلاة ، وذكر ، ودعاء لله تبارك وتعالى ، وقد اتخذ صومعة يعبد فيها ربه - عز وجل .

وفي ذات يوم أتته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : يا رب أمني وصلاتي ، أي ماذا أفعل أقطع الصلاة لأجيب أمني ، أم أستمر في الصلاة ولا أقطعها ؟ ثم أقبل على صلاته .

الآن والداك ما يطالبانك بأن تقطع الصلاة ؛ بل يدعوانك إلى طاعة الله ورسوله ﷺ ، ومع ذلك فتجد من يعق الوالدين ، ويلعن الوالدين ويهجر الوالدين ، والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ {الاسراء : ٢٣ - ٢٤} . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ {الرحمن : ٦٠} . أهذا جزاء الإحسان ؟ .
 أهكذا شكر الوالدين !؟ .

لقد وجدنا في مجتمعنا من فعل لابنه كل شيء ، بنى له بيتاً ، وزوجه ، وأعطاه سيارة ، وجعل له أملاكاً ، ومع ذلك فتجد هذا الابن ، من أفجر الناس في معاملة أبيه وأمه !! قلبه أشد قسوة من قلوب اليهود والنصارى ، يخالف والديه ، يتنقص أباه في المجالس ويستهزئ به ، وربما سبه وشتمه أمام الناس ، والله تعالى يقول : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ {سورة لقمان الآية : ١٤} .

فجعل منزلة شكر الوالدين بعد منزلة شكره سبحانه وتعالى ، وما ذاك إلا لعظم فضل الوالدين ، وأكد حقوقهما على الأبناء .

أما جريج فلم يعص أمه ، ولكنه رأى أن طاعة الله تقدم ، فاشتغل بصلاته ، ولم يجب أمه ، فانصرفت أمه ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي ، فقالت : يا جريج ، فقال : أي رب ، أمي وصلاتي ، فأقبل على صلاته . فقالت أمه : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات !! .

أي لا تحكم عليه بالموت والفناء قبل أن يرى وجوه الزواني والبغايا المجاهرات بذلك .

ولكن هل رأيتم إنساناً يحافظ على الصلوات الخمس ، ثم يشرب الخمر؟ لا . هل رأيتم إنساناً يحفظ القرآن في صدره ، ويتقي الله عز وجل في عمله ، ثم هو يسرق ويزني ؟ لا .

إن عبداً يحافظ على صلاة الفجر في الجماعة كل يوم ، لا يتردى في الكبائر أبداً ، وهذا في الغالب ، وأكثر الذين يدخلون السجون الآن ، من لا يعرفون طريق المسجد ، ولا طريق المصحف ، فلما جهلوا أو تجاهلوا طريق المسجد والطاعة ، عرفهم الله طريق الحبس والسجن والإهانة .

دعت أم جريج عليه وانصرفت ، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته وحسدوه على ذلك ، لأنهم لا يريدون إلا الفجور والفسق والعهر .

تركوا الحجاب ، واختلط النساء بالرجال ، ففشي فيهم الزنا والبغاء ، فلعنهم الله ، وجعل منهم القردة والخنازير ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ { سورة المائدة الآية : ١٣ } ولذلك كانوا يحاربون كل أحد يدعو إلى فضيلة أو يلتزم بها في نفسه .

فهذا موسى عليه السلام ، وليس هناك أظهر من الأنبياء ، ولكن بنو إسرائيل

اتهموا الأنبياء بالزنا ، حتى قالوا - قبحهم الله - إن لوطاً عليه السلام ، شرب حتى سكر ، ولما سكر وقع على ابنتيه . هذا نبي الله لوط عند اليهود !! .

أتى قارون إلى امرأة زانية ، وأعطها قنطاراً من ذهب ، وقال إن رأيت موسى أتى إلينا ليدعونا ، فقومي وسط الناس ، واصرخي فيهم وادّعي أن موسى زنا بك . سبحان الله ! موسى ﷺ يزني !! إنه الافتراء على الدعاة إلى الله ، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا على مر العصور والأزمان .

فلما اجتمع قارون والأغنياء ، والأمراء ، والوجهاء ، وجاءهم موسى عليه السلام يدعوهم ، قامت هذه المرأة البغي تصرخ وتضرب وجهها ، وتدعي أن موسى عليه السلام فعل بها الفاحشة !! .

فقام موسى عليه السلام وقال : يا أمة الله ، أسألك بمن شق البحر لي وأنزل عليّ التوراة ، فعلت ؟ قالت : لا والله . فقال موسى : اللهم خذ قارون ، فخسف الله به وبداره الأرض فأخذ يصيح : يا موسى . يا موسى . يا موسى . حتى اختفى صوته وماله ، وجسمة ، وداره في الأرض ، وفي بعض الآثار الإسرائيلية ، قال الله لموسى : يا موسى ، استغاث بك فلم ترحمه ، وعزتي وجلالي ، لو أنه استغاث بي لرحمته !! .

ونعود إلى جريج العابد ، وقد تأمر عليه بنو إسرائيل ، فأدت امرأة بغي يتمثل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم ، فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأدت راعياً كان يأوي إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها ، فحملت ، فلما ولدت قالت : هو من جريج !! فأتوه ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه . فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغي ، فولدت منك ، فقال : أين الصبي ؟ فجاءوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي ، فلما انصرف ، أتى الصبي ، فطعن في بطنه ، وقال : يا غلام . من أبوك ؟ قال الصبي الرضيع : أبي فلان الراعي . فأقبلوا على جريج يقبلونه

ويتمسحون به ، وقالوا : نبي لك صومعتك من ذهب . قال : لا . أعيدوها من طين كما كانت ، ففعلوا (١) وهذا الثاني .

والثالث صبي كان يرضع من أمه ، فمر رجل راكب على دابة فارهة (٢) وشارة (٣) حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا . فترك الثدي ، وأقبل إليه ، فنظر إليه ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع !! .

ثم مروا بجارية ، وهم يضربونها ، ويقولون : زنيت ، سرقت ، وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها . فقالت : مر رجل حسن الهيئة ، فقلت : اللهم اجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله . ومرو بهذه الأمة ، وهم يضربونها ، ويقولون : زنيت ، سرقت ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها !! فقال الرضيع : إن ذاك الرجل كان جباراً ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله . وإن هذه يقولون لها : زنيت ، ولم تزن ، وسرقت ولم تسرق ، فقلت : اللهم اجعلني مثلها (٤) .

والشاهد من هذا القصص - أيها المسلمون - أمور :

أولاً : أن الله على كل شيء قدير ، يجعل الذئب يتكلم ، ويجعل البقرة تتكلم ، ويجعل الجذع يبكي ، ويجعل الصبي الرضيع يتكلم ويشهد شهادة الحق .
ثانياً : أن الله عز وجل يدافع عن أوليائه ، وينصر رسله وأحبابه ويبرئ ساحة المصلحين والدعاة إلى الله عز وجل .

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٤٠) ، ومسلم واللفظ له (٤ / ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) رقم (٢٥٥٠) .

(٢) فارهة : أي : دابة نشيطة قوية .

(٣) الشارة : الهيئة واللباس .

(٤) أخرجه البخاري (٤ / ١٤٠) ، ومسلم واللفظ له (٤ / ١٩٧٧ ، ١٩٧٨) رقم (٢٥٥٠) .

ثالثاً : أن الله يفضح أعداءه ، ويكلهم إلى أنفسهم ، وينزع عنهم ستره وحفظه ، فكلما سلكوا وادياً هلكوا ولم يوقفوا .

رابعاً : إن العبرة بالأعمال ، لا بالأموال ولا المناصب ولا الأنساب ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » (١) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم - أيضاً - أنه قال : « احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : مالي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس ، وسقطتهم (٢) وعجزهم (٣) فقال الله - عز وجل - للنار : أنت عذابي ، أعذب بك من أشاء . وقال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها » (٤) .

فتقربوا - رحمكم الله - إلى ربكم بالأعمال الصالحة ، وراقبوه تبارك وتعالى في السر والعلانية ، وطهروا قلوبكم ، وزكوا نفوسكم ، فلا ينفع عند الله - عز وجل - إلا التقوى والعمل الصالح ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء الآيتان : ٨٨ ، ٨٩] .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يصلحني وإياكم ، ظاهراً وباطناً ، سراً وعلانية ، وأن يجعلنا من المتقين المهتدين ، الذين سلك بهم صراطه المستقيم ، وهداهم إلى البر العميم ، والأجر العظيم .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٨٧) رقم (٢٥٦٤) .

(٢) سقطهم : أي المحقرون منهم .

(٣) عجزهم : أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها .

(٤) أخرجه البخاري (٦ / ٤٨) ، ومسلم (٤ / ٢١٨٦) رقم (٢٨٤٧ ، ٢٨٤٦) .

الخطبة الثانية

اللهم لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ، لك الحمد عدد الكائنات ، وملء الأرض والسموات .

اللهم صل وسلم وبارك على النعمة المهداة ، والمنة المسداة ، على من بعثته رحمة للعالمين ، وقدوة للسالكين وإماماً للمتقين ، وخاتماً للمرسلين ، وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً .

● أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ {سورة الكهف الآية : ٢٨} .

يأمر الله نبيه ﷺ في هذه الآية بأن يتواضع لله مع المتواضعين ، وأن يجلس في مجالس الفقراء والمساكين ، وألا يقوم الناس بأموالهم ولا بأحسابهم وأنسابهم ، وإنما يقومهم بما عندهم من الإيمان والعمل الصالح .

كان البراء بن مالك رجلاً فقيراً زاهداً من أصحاب رسول الله ﷺ لا يملك من الدنيا إلا بيتاً من طين ، وثوبين باليين ، وسيفه الذي طالما قاتل به أعداء الله تعالى .

فقال ﷺ ذات يوم « كم من أشعث أغبر ، ذي طمرين ^(١) ، لا يؤبه له ^(٢) ، لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك » ^(٣) .

أشعث: متغير الشعر ، أغبر: متغير الوجه واللون ، ذي طمرين: ثوبين

(١) ذي طمرين : أي صاحب ثوبين خلقين .

(٢) لا يؤبه له : أي لا يلتفت إليه .

(٣) أخرجه الترمذي (٥ / ٦٥٠) رقم (٣٨٥٤) وقال : حسن صحيح وهو عند مسلم (٤ / ٢٠٢٤) رقم (٢٦٢٢) بلفظ : «رَبُّ أَشْعَثَ ، مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » وليس فيه ذكر البراء .

باليين ، لو أقسم على الله لأبره : أي لو حلف على وقوع شيء ، أوقعه الله إكراماً له ، بإجابة سؤاله ، وصيانتته من الحنث في يمينه ، وهذا لعظم منزلته عند الله ، وإن كان حقيراً عند الناس ، لا يلتفتون إليه ، ولا يجعلون له أي اهتمام .

حضر المسلمون معركة « تستر » ، فنادوا البراء بن مالك ، وقالوا له : يا براء ، قم فقد أثنى عليك رسول الله ﷺ خيراً ، نسألك بالله أن تقسم على الله أن ينصرنا هذا اليوم ! .

قال : انتظروني قليلاً ، فذهب ، واغتسل ، ولبس أكفانه ، وتحنط ، وأتى ، ثم وقف أمام الجيش وقال : اللهم إني أقسم عليك هذا اليوم ، أن تجعلني أول قتيل في سبيلك ، وأن تنصر المسلمين .

فبدأت المعركة ، والتحمت الصفوف ، وتساقطت الرؤوس ، واستجاب الله دعاءه ، فكان أول قتيل ، وكان النصر حليفاً للمسلمين ، وهذا لأنه أخلص الدعاء لوجه الله تبارك وتعالى ، وقدم روحه ونفسه في سبيل الله وكان الجيش المسلم على مستوى عظيم من التضحية والفداء .

نصرهم الله عز وجل ، وهم حفاة عراة ، فقراء ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور والأجسام ، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال .

وفي صحيح مسلم ، عن عمر بن الخطاب قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن خير التابعين رجل ، يقال له أويس ، وله والدة ، وكان به بياض (١) ، فمروه فليستغفر لكم » (٢) .

وفي رواية : أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر ، وفيهم رجل ممن كان يسخر (٣) بأويس ، فقال عمر : هل هاهنا أحد من القرنينين؟ فجاء ذلك الرجل ، فقال عمر :

(١) بياض : أي برص .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٦٨) رقم (٢٥٤٢) .

(٣) أي يحقره ويستهزئ به .

إن رسول الله ﷺ قد قال : « إن رجلاً يأتيكم من أهل اليمن ، يقال له أويس ، لا يدع باليمن غير أم له ، قد كان به بياض ، فدعا الله فأذهب عنه ، إلا موضع الدينار أو الدرهم ، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » (١).

فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن (٢) ، سألهم : أفیکم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : لك والدة ؟ قال : نعم .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ، ثم قرن ، كان به برص ، فبرأ منه ، إلا موضع درهم ، له والدة ، هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل » فاستغفر لي . فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون في غبراء الناس (٣) أحب إليَّ (٤) !! .

فهذا أويس القرني ، رجل فقير ، لا يعرفه أحد ، بل يستهزئ به بعض أهله ، لهوانه عليهم ، وعدم اعتدادهم به ، لا يملك مالاً ، وليس عنده متاع ومع ذلك يبشر به رسول الله ﷺ ويحث الصحابة إذا رأوه أن يطلبوا منه أن يستغفر لهم ، فكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يبحث عنه في وفود أهل اليمن ، ويسأل عنه في المواسم ، حتى إذا أدركه وعرفه بصفته التي أخبر بها رسول الله ﷺ طلب منه الاستغفار مع أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل منه بلا شك ، وأرفع منه بلا ريب إلا أنه لما رأى هذا العبد الصالح وعرف أنه هو الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ طلب منه أن يستغفر له .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٦٨) رقم (٢٥٤٢) .

(٢) أمداد أهل اليمن : هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو .

(٣) غبراء الناس : أي : ضعافهم وصعاليكهم وأخلاقهم الذين لا يؤبه لهم .

(٤) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٦٩) رقم (٢٥٤٢) .

فهؤلاء هم الصلحاء وهؤلاء هم الأتقياء ، وهؤلاء هم المقربون من الواحد الأحد ، إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصايح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة ومن كل فتنة مهلكة .

فيا من قرب من شاء من عباده قربنا . ويا من أسبل الستر على من شاء من عباده أسبل الستر علينا .

اللهم إنا بحاجة إلى رحمتك فارحمنا .

اللهم لا تحجب عنا دعاء الصالحين ، واحشرنا في زمرة المتقين واجعلنا من أتباع سيد المرسلين .

● عباد الله :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه في كتابه حيث قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

{سورة الأحزاب الآية : ٥٦}

فاللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ ، صلاةً وسلامًا دائمين ، متلازمين إلى يوم الدين ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، والصحابة أجمعين ، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .



■ سَلْعَةُ اللَّهِ غَالِيَةٌ ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● عباد الله :

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ { سورة التوبة الآية : ١٠٩ }

أفمن أسس حياته ومستقبله على تقوى الله تعالى ورضوانه ، على خوف من الله وخشية الله ، خير أمن أقام حياته ومستقبله على معصية وتمرد وتعد وانتهاك لحدود الله وحرماته؟! .

ومن سنة الله تبارك وتعالى أن ينصر أوليائه ، وأن يحفظ أحبابه ، وأن يؤيد عباده ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ { الحج : ٣٨ } .

ومن سنته كذلك أن يخذل أعداءه ، وأن ينتقم ممن عاداه وحاده .

ولذلك لما رجع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، من غار حراء خائفاً وجللاً بعد أن جاءه جبريل ، وظن أنه سيموت أو سيهلك أو سيخزي ؛ لأنه رأى صورة ما رآها من قبل ، فقالت له خديجة رضي الله عنها وأرضاهما : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق « (١) .

فاستدلت رضي الله عنها بحسن أفعاله ، وبجميل سيرته على أن الله لا يخزيه أبداً .

هل رأيتم متصدقاً أخزاه الله ؟ . هل رأيتم صادقاً أسلمه الله ؟ هل رأيتم محسناً ضيعه الله ؟ .

إنما يخزي الله أعداءه ومن ناداه . . أهل المعاصي والهوى . . أهل الفواحش والسيئات هم الذين يخزيهم الله تعالى ويقطع عنهم حبله ومدده .

أما أهل الجود والصدقة والمعروف ، فإن الله عز وجل معهم ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ { سورة البقرة الآية : ٢٦١ } .

ويقول الشاعر عن البذل والجود :

ولم أر كالمعروف أما مذاقه

فحلوا وأما وجهه فجميل

وقد بين ابن القيم رحمه الله في كتاب مدارج السالكين ، مراتب الجود ودرجاته .

فأعظم درجات الجود، ومراتبه : الجود بالنفس ، ليس هناك أكرم ممن يجود بنفسه في سبيل الله عز وجل .

(١) أخرجه البخاري (١ / ٣) ، ومسلم (١ / ١٤١) رقم (١٦٠) .

فيا من بخل بدرهمه وديناره . . أصحاب الرسول ، عليه الصلاة والسلام
جادوا بنفوسهم وأرواحهم في سبيل الله .

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

جاء الصحابة في بدر ، لا يملكون من الدنيا شيئاً ، لا مال ، ولا عقار ،
ولا سلاح ، وإنما كانوا يملكون نفوساً أبيّة ، وأفئدة طاهرة ، باعوها لله الواحد
الأحد ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ {سورة التوبة : ١١١} .

رفعوا سيوفهم ظاهرين مقبلين وقالوا : يا رب ، لا نملك من الدنيا قليلاً ولا
كثيراً ، إنما نملك نفوساً قد وهبناها لك ، فتقبلها منا ، وجئنا ببضاعة مزجاة
فتصدق علينا .

ومن الذي باع الحياة رخيصةً

ورأى رضاك أعزّ شيء فاشتري

أمن رمى نار المجوس فأطفئت

وأبان وجه الصبح أبيض نيراً

ومن الذي دكّوا بعزم أكفّهم

باب المدينة يوم غزوة خيبراً

خالد بن الوليد ، باع نفسه لله ، جعفر الطيار ، عبد الله بن رواحة ،
صلاح الدين ، محمود بن سبكتكين ، وأبناء محمود من المجاهدين الأفغان قدموا
أنفسهم رخيصة في سبيل الله عز وجل :

أرواحنا يا رب فوق أكفنا

نرجو ثوابك مغنماً وجواراً

كنا نرى الأصنام من ذهب

فنهدهمها ونهدم فوقها الكفاراً

لو كان غير المسلمين لحازها
كنزاً وصاغ الحلي والدينارا

● أيها المسلمون :

ومن مراتب الجود أيضاً : الجود بالعلم ، وهو من أشرف المراتب ، وبذله للناس من أعظم القرب إلى الله تعالى ، وهو أشرف من الجود بالمال ، كما ذكر ابن القيم رحمه الله ، فيا دعاة الإسلام ، ويا طلبة العلم ويا حملة الشهادات العالیه ، الأمة ماتت جهلاً ، وشركاً ، وتخلفاً ، وضياعاً ، فمن ينقذها بعد الله إلا أنتم ؟ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ { سورة آل عمران الآية : ١٨٧ } .

اشتروا به مناصب ، ووظائف ، وتكدسوا في بيوتهم ، والأمة غارقة في الجهل ، وفي الشرك ، وفي الخرافة ، فبئس ما يشترون .

ووالله لساعة واحدة يقضيها المسلم في طلب العلم خير له من الدنيا وما فيها .

هو العذب المهند ليس ينبو

تصيب به مضارب من أردت

وكنز لا تخاف عليه لصاً

خفيف الحمل يوجد حيث كنت

يزيد بكثرة الإنفاق منه

وينقص إن به كفا شددت

ومن وصايا علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل بن زياد ، يا كميل : العلم خير من المال . . العلم يحفظك وأنت تحفظ المال ، العلم يزكو بالإنفاق . . والمال تنقصه النفقة .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا

بَيْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْنُوا
فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ {سورة البقرة الآيتان : ١٥٩ ، ١٦٠}

ونسأل أيها المسلمون : كم من العلماء في بلادنا ؟ كم من الدعاة ؟ كم من
القضاة ؟ ألوف مؤلفة ، ومع ذلك ، فالقرى جاهلة ، والبوادي تعيش في الخرافة ،
وكثير من الناس لا يعرفون أحكام دينهم ، ولا أمور شرعهم ، ظمأى وحولهم
الماء ، ولكن بخل أهل الماء به ، وصدوا الناس عنه .

إن من بخل بعلمه ، بالنور الذي يحمله ، بالهدى الذي في صدره ، لهو
أشد ذمًا ومقتًا وبخلًا ممن بخل بماله .

إن أهل الباطل ودعاة التخلف ، يبذلون ما عندهم من الباطل ، وينشرونه بين
الناس ، ويودون أن لو يصل باطلهم إلى كل إنسان على وجه هذه الدنيا .

إنهم تكلموا ، وكتبوا ، وحاضروا ، وأنتجوا ، وطلبوا ، وزمروا وغنوا ،
ورقصوا ؛ دعاية لباطلهم ، ونشرًا لعفنهم ، بينما يستحي كثير من شباب الإسلام ؛
أن يعلم جاهلاً آية من كتاب الله ، أو حديثًا من أحاديث رسول الله ﷺ .

● أيها المسلمون :

من مراتب الجود أيضًا : الجود بالمال ، ونحن - بحمد الله تعالى - نعيش في
هذه البلاد عيشة هنيئة كريمة لا تتوفر في معظم بلاد الدنيا ، فماذا قدمنا لأنفسنا
وماذا قدمنا لديننا ؟ .

هل قدمنا للقبر ؟ هل قدمنا للصراط ؟ هل قدمنا ليوم الكربات والفضائح ؟
لقد رأينا ورأيتم كثيرًا من الناس يشكون الحاجة والفقر ، مدين لا ينام الليل ،
فقير لا يجد قوت يومه ، مريض لا يملك ثمن الدواء ، هرم ليس له إلا الله
تعالى ، فمن لهؤلاء إن أغلقتم أبوابكم دونهم ؟ .

واعلموا أيها الناس: أن من قدم خيراً فإنما يقدم لنفسه ﴿ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ {سورة البقرة الآية : ١١٠} .

الخير أبقى وإن طال الزمان به
والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادك

يقول عليه الصلاة والسلام ، كما في الصحيح :

« ما من يوم يصبح العباد فيه ؛ إلا ملكان ينزلان ؛ فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » (١) .

فمن أراد أن يخلف الله عليه وأن يبارك له في رزقه ، وفي دخله ، فلينفق على الفقراء ، على المجاهدين ، على المساكين ، في مشاريع الخير ، فكل ذلك من أبواب البر .

وإذا كان بعض الجاهلين لا يرضون أن يعيش في مجتمعهم جائع ولا مسكين ، وهم وثنيون ، لا يعرفون رباً ولا رسولاً ولا ديناً ، فما بال أهل الحق ييخلون بفضل الله على عباد الله !! .

ابن جدعان رجل جاهلي ما عرف لا إله إلا الله ، ما سجد لله ، عنده صحاف تعرض كل صباح فينادي مناديه على جبل أبي قبيس في مكة : من أراد الإفطار فليأت ، فتحاط صحافه بالمساكين ، فإذا كان الظهر ملأ صحافه باللحم والخبز ونادى مناديه : من أراد الغداء فليأت .

ولذلك قال أمية بن أبي الصلت في آل جدعان :

لا ينكتون الأرضَ عند سؤالهم
لتطلب الحاجات بالعيدان

(١) أخرجه البخاري (٢ / ١٢٠) ومسلم (٢ / ٧٠٠) رقم (١٠١٠) .

بل يشرقون وجوههم فترى لها

عند السؤال كأحسن الألوان

وإذا دعا داعي ليوم كريمة

سدوا شعاع الشمس بالقرسان

ومن الجود أيضاً أيها الناس ، الجود بالجاه والوجاهة والمنصب فبعض الناس آتاه الله الجاه والمنصب ، يعرفه المسئولون بوجاهته ، ويقبلون شفاعته ، ويقدمونه على الناس ، والله تعالى يقول :

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {سورة النساء الآية : ١١٤} .

ويقول سبحانه : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا ﴾ {سورة النساء الآية : ٨٥} .

فيا أيها المسئولون في هذه البلاد وفي غيرها .

ويا من أنعم الله عليكم بالجاه والمنصب ، هذه والله بشرى لكم .

شفاعتكم للمحتاجين ، قضاء حوائج المسلمين ، دفع الظلم عن المظلومين السعي على مصالح الأراامل والمساكين ، كلامك إلى المسئول ، إلى الأمير ، إلى الوزير في مصالح هؤلاء له أعظم الأجر عند الله تعالى ، حيث يشفع لك محمد ابن عبد الله ﷺ يوم لا ينفع جاه ولا منصب .

﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ {النساء : ٨٥} ، كما يفعل الذين تبلدت عقولهم ، وخربت ذمهم في الإضرار بالمسلمين ، وتنغيص عيشتهم ، واضطراب أمورهم ، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، وسيندمون على ذلك أشد الندم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ {سورة الشعراء الآيتان : ٨٨ ، ٨٩} .

ومن الجود أيضاً ، الجود بالوقت والراحة ، وذلك بأن تجعل جزءاً من وقتك لإخوانك المسلمين ، تعود مريضاً ، فتدخل على قلبه البهجة والسرور ، وقد تكون زيارتك له سبباً في شفائه ، وغرس شجرة الأمل في نفسه .

وكذلك ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والضعفة والله تعالى يقول ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ {سورة النحل الآية : ٩٦} .

فما أحسن المعروف ، وما أحسن الجميل . يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« ما أحسن الجميل ، والله لو كان الجميل رجلاً لكان حسناً ، وما أقبح القبيح والله لو كان القبيح واللؤم رجلاً لكان قبيحاً » .

جاءه رجل فاستحى أن يسأله ، فكتب حاجته على التراب فقال علي رضي الله عنه أمسكت ماء وجهك ، وأعفيتنا من ذل سؤالك ، لألين مسألتك ، فكساه وآناه مالا ، فقال الرجل :

كسوتني حلة تبلى محاسنها

لأكسونك من حسن الثنا حللاً

والثناء من أحسن ما وضع الله للناس في الأرض .

وإنما المرء حديثٌ بعده

فكن حديثاً حسناً لمن وعى

حاتم الطائي نذره اليوم وهو مشرك لا يعرف رباً ولا ديناً ، ولكنه كان جواداً فبقي ذكره في الدنيا جزاءً وفاً ، ولا يظلم ربك أحداً .

● فيا عباد الله :

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً تلظى ، قوا وجوهكم من لفتح النار بالمعروف ، بالكلمة الطيبة ، بالبسمة ، بالصدقة ، بالزيارة ، بالشفاعة ، بما يرضيه سبحانه وتعالى .

غفر الله لي ولكم ، أنقذني الله وإياكم من النار ، هداني الله وإياكم سواء
السييل .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل
ذنب ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على
إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا
كثيرًا .

● أما بعد .. عباد الله :

إن خير جيل ظهر على وجه الأرض هم جيل الصحابة رضوان الله عليهم
أجمعين ، فهم القادة ، وهم القدوة التي ينبغي على جميع المسلمين ؛ رجالاً ونساء ،
شباباً وشيباً ، الاقتداء بهم ، والسير على طريقهم .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ { سورة الأنعام الآية : ٩٠ } .

فنحن لم نقدم للإسلام عشر ما قدموا ، ولم نبذل شيئاً مما بذلوا ﷺ
وأرضاهم .

أتى حمزة ، فترك أهله وأطفاله وداره وعقاره ، وأتى بثيابه الممزقة التي تستر
جسمه الطاهر ، فقاتل في أحد حتى قتل ، فكان أسد الله في أرضه ، وكان سيد
الشهداء في السماء .

وأتى أنس بن النضر مقبلاً إلى الموت غير مدبر ، بعد أن رأى الناس قد فروا
يوم أحد ، فأقبل إلى الله ، وشم ريح الجنة من دون أحد ، فقتل وضرب بأكثر
من ثمانين ضربة .

وأتى خالد وسعد فباعوا أرواحهم للحجى القيوم ، هذه أعظم التجارة وأرباحها ،
وهذا هو أعظم البذل والعطاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ
الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ { سورة التوبة الآية : ١١١ } .

وهذا أعظم الرسل محمد ﷺ أحيأ الله به الأرواح من الجهل والشرك
والخرافة حتى كانت خير أمة أخرجت للناس .

يقول شوقي :

أخوك عيسى دعاً مَيِّتاً فقام له

وأنت أحييت أجيالاً من الرَّمم

إن كان عيسى عليه السلام أحيأ مَيِّتاً بإذن الله ، فأنت أحييت الأرواح الميتة ،
أحييت الشعوب الميتة ، علّمت الجاهلين ، رفعت الأُميين ، هديت الذين ما كانوا
يهتدون ولا يفقهون ولا يتدبرون .

أَتَطْلُبُونَ مِنْ اخْتِيارِ معجزةً

يكفيه شعب من الأمواتِ أحياء

بذل أصحاب الرسول ﷺ ، العلم ، وبلغوه للناس ، وهذه قبورهم في
الشرق والغرب تشهد بذلك .

كان أبي بن كعب رضي الله عنه يجلس للناس بعد كل صلاة فيقول : هل من متعلم ،
هل من سائل ، هل من مستفتٍ ، هل من مستفسر ؟ فيفيض بالعلم كالبحر الذي
لا ساحل له .

ابن عباس رضي الله عنه يجلس للناس من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر ، فيدخل
أهل التفسير ، حتى إذا انتهوا قال : اخرجوا وعليّ بأهل الحديث ، فإذا انتهوا قال :
عليّ بأهل الفقه ، فإذا انتهوا ، نزل أهل الفتاوى والأحكام ، ثم جاء بأهل الأدب
والشعر واللغة ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ { الحديد : ٢١ } .

وأما بذل الأموال فحدث ولا حرج ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبذل ماله كله
في سبيل الله ، فيقال له : ماذا تركت لأهلك وعيالك ؟ فيجيب بلسان الواثق
بالله تعالى : تركت لهم الله ورسوله .

عثمان بن عفان رضي الله عنه يئذل ماله في سبيل الله ، يسمع النبي صلوات الله عليه يقول : « من يشتري بئر رومة وله الجنة » (١) فاشتراها عثمان من اليهود فكانت ثمن روحه إلى الجنة .

ويسمع النبي صلوات الله عليه يقول : « من يجهر جيش تبوك وله الجنة » (٢) فجهز عثمان الجيش على نفقته ، فاستحق بذلك دعاء الرسول صلوات الله عليه .

« اللهم اغفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، اللهم ارض عن عثمان ، فإنني عنه راض ، ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم » (٣) .

● أيها الناس :

صلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه حيث قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} .



(١) أخرجه البخاري (٣ / ٧٤) . والترمذي (٥ / ٥٨٦) ، رقم (٣٧٠٣) وقال : حديث حسن .
 (٢) حديث تجهيز جيش العسرة ، أخرجه الترمذي (٥ / ٥٨٤-٥٨٦) رقم (٣٧٠٠ ، ٣٧٠٣) وأحمد (٥ / ٦٣) .
 (٣) أخرجه الترمذي (٥ / ٥٨٥) ، رقم (٣٧٠١) وقال : حديث حسن غريب . وأحمد (٥ / ٦٣) .

■ الداعية المطارد ■

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] {
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١] .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدى هدى محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها الجيل الموحد، يا حملة المبادئ، أيتها الكتيبة المقدسة :

نقف هذا اليوم نحبي بملء القلوب والأجفان والأسماع رسولنا ﷺ نحبيه في أول العام الهجري، وهو رجل الهجرة الأول، نعيش اليوم مع الأطفال في أيام طرد هو من أطفاله، ونعيش اليوم منعمين في الدور والقصور، في أيام شرد من دوره، ونعيش اليوم مرفهين سعداء، في أيام عاشها هو كلها أسي، وكلها لوعة، يقدم رأسه وروحه من أجل لا إله إلا الله.

إنها الهجرة، وعنوان الخطبة « الداعية المطارد » .

طارده أقاربه وأرحامه وأصهاره، فما سبب المطاردة ؟ لأنه يحمل مبدأ الإنقاذ، لماذا طورد ؟ أمن أجل أنه أتى لينهب الأموال، ويسفك الدماء، ويحتل

الأراضي، ويستز المعطيات؟ لا .. من أجل أنه أتى لينقذ الإنسان ، ليخرج الإنسان من الظلمات إلى النور .

هذا حديث الهجرة، أغلقت فئمة أبوابها في وجه الابن البار ، وأنذرتة في خلال أربع وعشرين ساعة أن يغادرها ، ولا يبقى في ساحتها .

عجيب .. ولد في ربوعها ، ترعرع في تلالها ، شرب ماءها ، استنشق هواءها ، وتقول له مكة : اخرج ، إلى أين ؟ لا ندرى .

وليتهم تركوه ليخرج سالماً معافى ، لكن يريدون أن يخرجوه جثة ، أو يحبسوه ويقيدوه بالحديد ، أو ينفوه من الأرض ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ {سورة الانفال الآية : ٣٠} .
تخفى قبل أن يذهب .

تخفيتُ من خصمي بطلّ جناحه * * * فعيني ترى خصمي وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت * * * وأين مكاني ما عرفن مكاني

دخل في غرفة علي أو في بيته هو، وطوقه الكفرة الفجرة؛ لأنه يهدد مصالحهم التي بنيت على الظلم، ولأنه يصادر شهواتهم، ولأنه لا يطاوعهم في نزواتهم .

إن أهل الباطل قديماً وحديثاً يرون في حملة المبادئ، وفي رواد الحق خصماء على طول الطريق ؛ لأنهم يقولون لهم : لا، في كل معصية ، وفي كل شهوة ، وفي كل نزوة ، طوقوا بيته بالسيوف المشرعة ، وتحروا متى يخرج ليفتكوا به ، وهنا تأتي الشجاعة ، ليست الشجاعة التي يبديها الناس ، من أجل أراضيهم ومزارعهم ومناصبهم ، الأنوف الحمراء التي تغضب للجيوب والبطون ، السيوف المسلوطة من أجل التراب والطين ، أما محمد ﷺ ، فيقدم رأسه من أجل مبدئه ، يتحدى الشمس أن تهبط في يمينه ، والقمر أن ينزل في يساره ، ووالله

نزلت الشمس ونزل القمر ، ما تزحزح خطوة واحدة ، حتى تعلن لا إله إلا الله أصالتها في الأرض .

طوقوه ، وأتاه جبريل ، أخبره قائلاً: الخصوم خارج البيت ، يريدون قتلك ، فيقول: إن الله معنا ، لله درك ، ولله در الشجاعة المتناهية ، ولله در الروح العالية :

يا قاتل الظلم ثارت هاهنا وهنا * * * فضايح أين منها زندك الواري؟
الشمسُ والبدرُ في كفيك لو نزلتُ * * * ما أطفأت فيك ضوء النور والنار
أنت اليتيمُ ولكن فيك ملحمةٌ * * * يذوبُ في ساحها مليونُ جبارِ

فخرج من البيت بلا سيف ، وهم بالسيوف ، وخرج بلا رمح ، وهم بالرماح ، وأخذ حفنة من التراب ، فألقى الله النوم عليهم فناموا ، وسقطت سيوف الخزي والعار من أيديهم ، فخرج ونثر التراب والغبار على رعوس الفجار ، وهو يقول :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ { يس : ٩ }

نقف اليوم بعد هذا الحدث ، بأربعة عشر قرناً لناخذ دروساً .

أولاً : درس التوكل على الله ، وتفويض الأمر له ، وصدق اللجأ ، فلا كافي إلا الله ، يقول سبحانه على لسان أحد أوليائه ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ { سورة غافر الآيتان : ٤٤ ، ٤٥ } ويقول سبحانه وتعالى لرسوله : ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ { سورة الزمر الآية : ٣٦ } .

وكل من دون الله فهو تحته ودونه وعبد له ، فلا قيمة له ، ولا وزن ولا تأثير .

والناس اليوم يحملون صدق التوكل والانتصار بالله في أذهانهم ، لا في حياتهم وتصرفاتهم ، إنهم أجبنوا كل شيء ، وأجبن ما يكون عندما تهتد لا إله إلا الله .

إن قضية الوظائف قد استعبدت البشر، والمناصب، والموائد، والجاهات والشارات؛ إنها تستعبد الحر الشجاع، فتجعله ذليلاً جباناً، لا يقول كلمة الحق «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقטיפه، والخميصة» (١).

إن محمداً ﷺ أراد أن يبنى جيلاً قوياً شجاعاً، يقدم الواحد منهم رأسه لمبدئه، وروحه لمنهجه، ولكن طال الأمد وقست القلوب، وانطمس المنهج، وأصبحت الأمة تعيش خواء عقدياً، أخوف ما تكون من البشر، انظر إليهم، والله إن البشر عندهم أخوف إليهم من رب البشر، فكم يخافون، كم يجبنون، وكم يصيب أحدهم الزلزلة والرعدة، من تهديد بسيط يتعرض لوظيفته، أو لمنصبه، أو لدخله ورزقه، ولا يرزق إلا الله، ولا يخلق إلا الله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان الآية : ٣].

إن قصة الهجرة، يتجلى فيها التوكل، كأحسن ما يتجلى في أي صورة وفي أي موقف. يدخل الغار، ويتكرر لنا حديث الغار، ونعيد دائماً حديث الغار؛ لأن أول التاريخ بدأ من الغار، والنور انبعث من الغار، فمن يمنعه ﷺ؟ أين موكبه؟ أين أقواس النصر التي تحف بالناس؟ أين الجنود المسلحة التي تحمي عظماء الناس وكبراءهم؟ وهم أقل خطراً وأقل شأناً منه، لا جنود، لا حراسة، لا سلاح، لا مخابرات، لا استطلاع.

وإذا العناية لا حظتك عيونها

نم فالحوادث كلهن أمان

فيقول أبو بكر، يا رسول الله والله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فيتسم ﷺ، والتبسم في وجه الموت أمر لا يجيده إلا العظماء، حتى يقول المتنبي يمدح عظيماً، لا يستحق أن يكون جندياً في كتية محمد ﷺ :

(١) أخرجه البخاري (٧ / ١٧٥).

وقفت وما في الموت شك لواقف
 كأنك في جفن الردى وهو نائم
 تمرُّ بك الأبطالُ كلمى هزيمة
 ووجهك وضاحٌ وثرعك باسم

يتبسم ﷺ ويقول : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » (١) هل يغلب هؤلاء الثلاثة ، أم تكون الدائرة على أعدائهم ، إذا كان الله ثالثهما ، فمن المغلوب ؟ من هو الخاسر في الجولة ؟ من هو المنهزم في آخر المعركة ؟ ويقول ﷺ لأبي بكر مواسياً له : « لا تحزن إن الله معنا » (٢) بعلمه - سبحانه وتعالى - وهي معية الحفظ والتأييد والتسديد لأوليائه، المعية التي صاحبت إبراهيم عليه السلام وهو يهوي بين السماء والأرض ، في قذيفة المنجنيق إلى النار ، فيقول له جبريل ألك إلي حاجة؟ فيقول : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فنعم : حسبنا الله ونعم الوكيل . . فكانت النار برداً وسلاماً .

والمعيرة التي صاحبت موسى راعي الغنم ، الذي يحمل عصاه ، ولا يجيد اللغة أن ينطقها ، ويدخل إيوان الظالم السفاك المجرم فرعون ، حرس فرعون أكثر من ثلاثين ألفاً، الدماء تسيل في البلاط الملكي الظالم موسى يلتفت ويقول : يا رب : ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَعَى ﴾ {سورة طه الآية : ٤٥} فيعلمه الله درس التوحيد والتوكل ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ {سورة طه الآية : ٤٦} إنني معكما أسمع وأرى نواصي العباد بيديه ، رءوس الطغاة في قبضته ، مقاليد الحكم بيمينه ، لا يتصرف متصرف إلا بقدرته .

يطارد سراقه محمداً ، ﷺ ، فلا يلتفت ، يقرأ القرآن ولا يلتفت ؛ لأن الله معه ، يدعو على سراقه ، فيصبح سراقه مهدداً بالموت فيقول : يا محمد ،

(١) ، (٢) أخرجه البخاري (٤ / ١٩٠) .

اكتب لي أماناً على حياتي ، أنت الآن محمي ، وأنا مهدد ، بالله لا تقتلني .

فر من الموت وفي الموت وقع !!

محمد ﷺ يتبسم ، ويقول : يا سراقه ، كيف بك إذا سوّرت بسواري كسرى؟ أين كسرى؟! إمبراطوري فارس ، ديكتاتوري الشمال ، المجرم السفاك ، فيضحك سراقه كأنه ضرب من الخيال ، هذا يستولي على إمبراطوريات الدنيا !! هذا يلغي مملكة العالم !! وهو لا يستطيع أن ينجو بنفسه .

وبالفعل تم ذلك ، ودكّدك الظلم ، وفتح الشمال ، ورفرت لا إله إلا الله على الإيوان .

وما أتت بقعة إلا سمعت بها * * * الله أكبر تسري في نواحيها
وخالد في سبيل الله مشعلها * * * وخالد في سبيل الله مذكيها
ما نازل الفرس إلا خاب نازلهم * * * ولا رمى الروم إلا طاش راميتها

الثاني : من دروس الهجرة : أن الله يحفظ أوليائه ، نعم يؤذون ، ويضطهدون ، ويحبسون ، ويقدمون رءوسهم رخيصة لله ، ولكن ينتصرون ؛ لأن العاقبة للمتقين :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ { سورة غافر الآيتان : ٥١ ، ٥٢ } .

والنتيجة الحتمية ، أنهم هم المنتصرون في آخر المطاف ، وأن الباطل مهما انتفش ، ومهما علا ، ومهما كبر ، فإنه كما قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ { الرعد : ١٥ } . الباطل له صولة ، والحق له جولة ، والعاقبة للمتقين ، وتكفل الله أن يحفظ دعائم هذا الدين ، والتمسكين به ، والمنضوين تحت لوائه ، فمهما تعرضوا له من الإساءات ، والاضطهاد ، والإقصاء ، والاستخذاء ، فإنه لا يزيدهم إلا إصراراً على مبادئهم ، وشمماً وقوة .

الثالث: من دروس الهجرة : عالم التضحيات والبذل، يتحقق في سيرته، صلى الله عليه وسلم ، ولكن ماذا فعلتُ أنا، وماذا فعلت أنت لهذا الدين؟ وماذا قدمنا؟ ومحمد صلى الله عليه وسلم شغله الشاغل ، أنفاسه ، خواطره ، أفكاره ، أمواله ، أهله ، روحه لله ، يقول في أحد مواقفه : « والذي نفس محمد بيده ؛ لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » (١) .

هاجر من مكة مطروداً ، أغلقت مكة أبوابها في وجهه ، ووقف في حمراء الأسد ، يخاطب مكة ، فيبينه وبين مكة كلام رقيق مشوق .

يا من يعزُّ علينا أن نُفارقهم * * * وجداننا كلُّ شيء بعدكم عدمٌ
إذا ترحلت عن قومٍ وقد قدرُوا * * * ألا تفارقهم فالراحلون هم

يقول لمكة : « والذي نفسي بيده إنك من أحب بلاد الله إلى قلبي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » (٢) ثم تدمع عيناه ويذهب ، بناته أمامه يضربن ، فلا يستطيع أن يدفع عنهم الظلم ، يوضع السِّلا على رأسه وهو ساجد فلا يتحرك ، وهم يضحكون ، ثم تأتي فاطمة رضي الله عنها فتلقي السِّلا عن ظهره ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بعمر بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة ابن الوليد » .

قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر (٣) فصلى الله وسلم وبارك عليك يا رسول الله .

(١) أخرجه البخاري (١ / ١٤) ، ومسلم (٣ / ١٤٩٦) ، رقم (١٨٧٦) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥ / ٦٧٩) رقم (٣٩٢٥) وقال : حسن غريب صحيح ، ورقم (٣٩٢٦) وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

وابن ماجه (٢ / ١٠٣٧) . رقم (٣١٠٨) ، والدارمي (٢ / ٣١١) رقم (٢٥١٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١ / ١٣١، ١٣٢) ، ومسلم (٣ / ١٤١٨) . رقم (١٧٩٤) .

تباع غرفه في مكة ، بعقد يتولاه عقيل بن أبي طالب ، أعمامه يكذبونه أمام الناس ، يحثا التراب عليه ، يطارد بعيداً بعيداً ، يشج رأسه ، ويدمى أصبعه ، وتكسر رباعيته ، فيصبر ويحتسب .

يريدون إغلاق صوته ، فيزداد الصوت ، أقوى ، وأعظم ، وأعمق ، وأصل ، فيصل إلى المدينة فإذا الدنيا تتحدث عنه .

وإذا أراد الله نشر فضيلة * * * طويت أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت * * * ما كان يعرف طيب نوح العود

هكذا العظمة ، وهكذا الريادة . . وينصت العالم له ، ويسمعون كلمته ، ويقويه الله بجند من عنده ، وتحف به الملائكة .

وقاتلت معنا الأملاك في أحد * * * تحت العجاجة ما حادوا وما انكشفوا
سعدٌ وسلمانٌ والقعقاعُ قد عبروا * * * إياك نعبدُ من سألها رشفوا

إذاً التضحية هكذا ، أن تقدم دمك ، ومالك ، ودموعك ، ووقتك للإسلام ، وإلا الركعات والتسبيحات ، التي يمتن بها كثير من الناس ، ولكنهم لا يحترقون على الدين ، ولا يغضبون لانتهاك محارم إياك نعبد وإياك نستعين ، فهؤلاء لا يستطيعون أن يتقدموا معك خطوة ، لنصرة لا إله إلا الله ، هذا عالم آخر .

الرابع من الدروس : ماذا قدمنا للعام الهجري المنصرم ، ذهب من أعمارنا عام ، مات فيه قوم ، وعاش قوم ، واغتنى قوم ، وافتقر قوم ، وتولى قوم ، وخلع قوم ، فماذا قدمنا للإسلام ؟ ولك أن تتعجب معي ، وإن تعجب ، فعجب فعلهم في هجرة محمد ﷺ ، أين هي الصحف الصباحية ؟ أين هي الشاشة ؟ أين صحف لا تحيي محمداً ﷺ ، كتابها حسنة من حسناته ، كتابها متطفلون على مائدته ، كتابها أحرار لما أخرجهم من الرق ؛ رق الوثنية والعبودية لغير الله ، بلاد ما أشرقت عليها شمس إلا بدعوته ، ولا تحييه !! ، لا كلمة ،

ولا عموداً صغيراً ، ولا زاوية تحيي المصلح العظيم . والله لقد قرأت أخباراً عن كلاب ، حدثت لها وقائع ومصائب في الغرب وترجموا لها ، لكن محمداً ﷺ لا يجد من يترجم له .

ونقول للكتبة وللمحررين وللنخبة المثقفة - كما تزعم - ولأهل الكلمة ، ولأبناء الفكر ، لا عليكم ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ سورة محمد الآية : ٣٨ . لا عليكم إن بخلتم بأقلامكم على محمد ﷺ ، وعلى صفحاتكم الفنية كواكب الفن وشموس الغناء ، فعندنا جيل الآن ، أعلن توجهه إلى الله ، جيل كتب الهجرة بدموعه ، وحفظ المسيرة بقلبه ، وأصبح حب محمد ﷺ ، يجري في دمه . عندنا جيل كعدد الذر كلهم والله يتمنى اليوم قبل غد ، أن يقتل في سبيل الله ، من أجل مبادئ محمد ﷺ ، هذا أثره ﷺ علينا ، وهذا موقفنا من دعوته ورسائله ، تبحث الأفكار إلا فكره !! وتدرس المناهج إلا منهجه !! ويتكلم عن الشخصيات إلا شخصيته !! .

ورأيت في صحيفة زاوية ، خصصتها للأعلام والمشاهير ولوفياتهم .

إنهم مشاهير السفك والنهب في العالم !! مشاهير القتل والإبادة ، واستخذاء الشعوب ، أما المحرر الأول ، أما الرجل الذي أصلح الله به الأمة فلا كلام ، ولا ترجمة !! .. فبماذا يعتذر هؤلاء أمامه ﷺ غداً .

ولا يفهم فاهم ، أو يزعم زاعم ؛ أنني أريد أن ننشئ له عيد هجرة ، فالإسلام لا يقر هذا ، ولا عيد ميلاد ، فالإسلام لا يؤمن بهذا ، ولا أن نجتمع في زوايا ، وفي خلايا ، وفي جوانب ، لنرقص كما يرقص المخدولون المتهوكون ، بالنشيد والتصفيق ، فتحيته ليست هكذا . تحيته ؛ أن نظهر بلاده مما طهرها هو ، فتكون بلاداً مقدسة ، تحيته أن نسير على خطواته ، وأن نفتني منهجه ، وأن نضحى لمبدئه ، أعظم مما يضحى الثوريون العرب ، والماركسيون العرب ، والاشتراكيون العرب ، للأقزام الملاعين وللنخبة المخدولين ، وللأصنام المبعدين .

تحيّتنا له ؛ أن نقف مع سنته ، وننشرها في الأرض « بلغوا عني ولو آية » (١) « نضر الله امرءاً سمع مني مقالة ، فوعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » (٢). إن عالم البادية ، الذي كان يسجد للحجر ويجمع التمر على صورة صنم ، ويصلي له ، ويأتي إلى الوثن الذي تبول عليه الكلاب والثعالب ، ويدعوه أن يشفي مريضه لهو عالم ضال .

رب يبولُ الثعلبانُ برأسه !! * * * قد ضلَّ من بالتُّ عليه الثعالبُ

فمن الذي حرر البشرية من هذا ؟ إنه محمد ﷺ . وإن العجب العجاب ، أن تحتفل جهات متعددة بنظافة البيئة ، محاضرة في نظافة البيئة ، ومحاضرة في فن السياحة ، ومحاضرة في أدب الاصطياف ، ولم يبق إلا محاضرة رابعة في بيطرة البقر ، كيف تبيطر البقر ، وما هو علاج البقر ، ومن هم الأبطال الذين يعالجون الأبقار من أمراضها ؟!

عليَّ نَحْتُ القوافي من معادِنِها * * * وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ

لماذا لم تعد محاضرة بعنوان : أثر رسالته ﷺ على العالم ؟ لماذا لا يأتي هؤلاء المحللون والمنظرون بمحاضرة عن « الإسلام وحاجة العالم إليه » « نحن والقُرآن » « واجبنا في هذا القرن » ، « ماذا قدمنا للعالم » « أثر لا إله إلا الله في حياة الإنسان » أما هذه المحاضرات التي شبع منها الناس ، ومجتها الآذان ، وأصبحنا نصاب بغثيان من سماعها وتردادها ، فوالله إنها شغل للأوقات ، وإنها تسويد للصحف ، وإنها مج للأسماع ، ورداءة على القلوب .

هذا هو المهاجر الأول ، هذا هو الداعية المطارد من أجل مبدئه ، وهذه الصحف ، وهذه الأقلام ، ولكم أن تحكموا ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٤٥) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣ / ٣٢٢) رقم (٣٦٦٠) ، والترمذي (٥ / ٣٣) رقم (٢٦٥٦) وقال : حديث حسن ، ورقم (٢٦٥٧) وقال : حسن صحيح ، ورقم (٢٦٥٨) ، وابن ماجه (١ / ٨٥) رقم (٢٣١ ، ٢٢٣) ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٧٦٦-٦٧٦٣) .

مَعَاذِيرُهُ ﴿﴾ {سورة القيامة ، الآيتان : ١٥ ، ١٤} . ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ {سورة الانفطار الآيتان : ٦ ، ٧} .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين ،
فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وحجة الله على الهالكين، وعلى آل وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

● أيها المسلمون: في مثل هذا الشهر ، طورد داعية أول، أخ له عليه الصلاة والسلام، نهجه نهجه، ومسيرته مسيرته، ودعوته دعوته، إنه موسى عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ {الفرقان: ٣١} .

لا يبعث نبي، إلا وقد هيا الله طاغية هناك يتربص به، ولا يحمل رائد من رواد الدعوة مبدأ، إلا ويتهياً له ظالم يرصده، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ {البقرة: ٢٥١} في هذا الشهر خرج موسى مطروداً من مصر، يطارده فرعون المجرم بستمائة ألف مقاتل ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ {الزخرف: ٥٤} .

قطع الضأن، الشعوب التي لا تفهم إلا الخبز، ولا تفهم إلا الأكل، ولا تفهم إلا ثقافة القدر، والجيب والبطن، تصفق للطاغية، وتحثو على رأس الداعية، الشعوب المهلهلة، المهترية، المتهاكمة من داخل، طارت موسى، يريدون قتله؛ لأنه يريد أن يحررهم، ويقولون لا، يريد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويقولون: لا، يريد أن يرفع رءوسهم، ويقولون لا، اصطدم بالبحر، الجيش وراءه، والموت والبحر أمامه، إلى أين يا رب؟ إلى الله، التفت موسى ودعا، والله قريب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ {البقرة: ١٨٦} بنو إسرائيل ولولوا، الخونة خافوا، الجبناء ارتعدوا، انهارت حوله الكتاب، يا موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ {الشعراء: ٦١} يتبستم موسى كما تبسم محمد ﷺ في الغار ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي

سَيِّهْدِينَ ﴿ الشعراء: ٦٢ ﴾ قالوا له كما ذكر بعض أهل السير: أين يهديك وفرعون خلفك، والبحر أمامك؟! هذه ورطة لا حل لها، هذا مضيق لا مخرج منه في عرف البشر، قال: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ويتلقى المكالمة في الحال، لا تتأخر ﴿ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ ﴾، بسم الله، ضرب البحر، انفجر البحر، انفلق، ظهر لهم طريق، مشى موسى، ومشى بنو إسرائيل، وأتى المجرم يريد أن يجرب آخر جولة له في عالم الضياع، وفي مصارع الطغاة، والطغاة لهم مصارع، إما أن تلعنهم القلوب، وهم يسيرون على الأرض، وهذا مصرع، وإما أن يُشدخون كما شدخ هذا، وهذا مصرع، إما أن يدخر الله لهم ناراً، وهذا مصرع .

ووصل فرعون وجنوده، ونجا موسى، وقال الله للبحر اجتمع فاجتمع، وكانت نهاية المجرم، دخل الطين في فمه، فلما أصبح في وقت ضائع قال: ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿يونس : ٩٠﴾ فيقول: ﴿الآن﴾ ﴿يونس : ٩١﴾ . في هذه اللحظة أيها المجرم الخسيس!! بعد أن فعلت من الأفاعيل ما تشيب له الرؤوس، لا، ونجا الله موسى .

والحدث أن الرسول ﷺ يشارك أخاه في فرحة الفلاح والانتصار، ويشارك زميله في هذا اليوم الأغر، يوم عاشوراء، ولذلك تضامن معه، وتكاتف هو وإياه .

وجد بني إسرائيل، اليهود الخونة الجبناء، في خيبر والمدينة، يصومون عاشوراء، قال: «ما هذا اليوم؟ قالوا: يوم نجا الله فيسه موسى، قال: نحن أولى بموسى منكم»^(١) موسى قريبنا، موسى حبيينا، نحن حملة منهج موسى، لا أنتم يا خونة العالم، ويا حثالة التاريخ، ويا أبناء القردة والخنازير، فصامه، وقال ﷺ عن هذا اليوم كما في صحيح مسلم: «إني أرجو من الله أن يكفر السنة الماضية»^(٢) الله أكبر كم علينا من ذنوب في السنة الماضية، ومن السنة أن تصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، اليوم التاسع والعاشر من هذا الشهر، أو اليوم العاشر

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٢٥١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢ / ٨١٩) رقم (١١٦٢) .

والخادي عشر من هذا الشهر، يقول ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر»^(١) فشكر الله لموسى دعوته ومنهجه وبذله وتضحيته، وشكر الله لمحمد ﷺ بذله وشجاعته وتضحيته، من أجل هذه الأمة، وشكر الله لكل من سار على منهجه ﷺ، وضحى من أجل مبادئه، وبذل من أجل دعوته، وساهم في رفع رسالته .

أسأل الله أن يجمعنا بمحمد ﷺ، وبإبراهيم وبموسى، وعيسى، وبالأخيار الطيبين، وبالشهداء الصالحين، وبالأبرار الصديقين، وبالشجعان الباذلين، في مقعد صدق عند رب العالمين .

● أيها الناس:

صلوا على الداعية المطارد، والمهاجر الأول، والرسول الأعظم، والهمام الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام ﷺ، ما ترقق الغمام، وما جنح الظلام، وما أفشى السلام، وما كان في قلوبنا وفي أذهاننا إمام، صلى الله عليه وسلم ما فاحت الأزهار، وما تمايلت الأشجار، وما تدفقت الأنهار، وما كُور النهار في الليل، والليل في النهار، صلى الله عليه وسلم ما تألقت عين لنظر، وما تحرقت أذن لخبير، وما هتف ورق على شجر، وعلى آله وصحبه .

اللهم انصر دينك ومنهجك، اللهم اجعله عامًا مباركًا، عامًا ينتصر فيه الدين، وترتفع فيه إياك نعبد وإياك نستعين .

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦] .

ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ بِهِ عَشْرًا»^(١) .
اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم (٢ / ٧٩٨) رقم (١١٣٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ شباب الأمس واليوم ■

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدهُ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهديِ هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المؤمنون:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصان

وربحه غير محض الخير خسرانُ

وكلُّ وجدان قومٍ لا ثباتَ له

فإنما هو في التحقيقِ خسرانُ

يا متعبَ الجسمِ كم تسعى لراحتهِ

أتعبتَ جسمك فيما فيه خسرانُ

أقبل على الروحِ واستكمل فضائلها

فأنت بالروح لا بالجسم إنسانُ

يا عامراً خراب الدار مجتهداً

بالله هل خراب الدار عمران؟

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١)

هذا دعاء رسولنا ﷺ وما أحوجنا إلى هذا الدعاء، فإن المسلم يحتاج في كل لحظة إلى هداية من الله الواحد الأحد، فنحن في حياتنا في دراستنا، في وظائفنا، في تجاراتنا، في أعمالنا كلها، نحتاج إلى هداية الله تعالى وتوفيقه .

وقد اقتربت العطلة الصيفية من شبابنا، وكل شاب في ذهنه تصور واضح عن كيفية قضاء هذه العطلة .

والشباب في ذلك على قسمين اثنين: قسم قد صمم تصميمًا جازمًا، وأكد تأكيدًا بالغًا، على أن يقضيها في النزاهات، وفي الضياع، وفي اللهو واللغو واللعب، فهذه عادته وطريقته، يدد عمره في كل معصية ولهو ولعب، لا يعرف لله حقًا ولا طريقًا .

وقسم آخر هم أهل الصدق والاستقامة والصلاح، نظر الله إلى قلوبهم فرأى ما فيها من التقوى وحسن القصد، فكانوا أهلاً لهدايته وتوفيقه، عزموا على قضاء العطلة في مرضاة الله تعالى، عرفوا أن هذه العطلة جزء من أعمارهم، وأنهم محاسبون عليها، بين يدي الله الواحد الديان .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ المؤمنون: ١١٥-١١٦ ﴾ .

فנסأل الله تعالى أن يثبت هؤلاء وأن يصلح أولئك .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٥٣٤) حديث رقم (٧٧٠) .

● أيها الناس:

إن مشكلات الشباب وقضاياهم تتلخص في أربع قضايا :

أولها: التفريط في صلاة الجماعة، التي تركها كثير من الناس إلا من رحم ربك، صلاة الجماعة، التي ما تركها النبي ﷺ حتى وهو في مرض الموت . صلاة الجماعة التي طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتلهف عليها . صلاة الجماعة التي أوصى أحد السلف بنيه أن يحملوه إلى المسجد وهو في مرض الموت بعدما سمع الأذان، فلما قالوا له : أنت مريض، وقد عذرك الله، فقال متعجباً : لا إله إلا الله . . أسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح ثم لا أجيب !! لا والله، فحملوه فقبض الله روحه في السجدة الأخيرة . . صلاة الجماعة التي يقول عنها سعيد بن المسيب : والله ما لي من عمل أرجوه بعد لا إله إلا الله ، إلا أنني ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة أربعين سنة، وقال الأعمش : ستين سنة . . صلاة الجماعة التي من فقدها بغير عذر ، فقد فقد النور، والاستقامة، والهداية، والسداد .

لقد قصرنا جميعاً في صلاة الجماعة ، أما المصلي فقد قصر في عدم أمره لتارك الجماعة بها، الأب يخرج من بيته ولا يأمر أهله ولا أولاده بالصلاة . . أنا أسكن في حي مكتظ بالسكان، ومع ذلك لا يصلي الفجر معنا، إلا الصف والصفان، فماذا نجيب ربنا إذا سألنا عن صلاة الجماعة . . كيف يصلح الحال والمساجد خاوية من المصلين ، كيف ينتهي الشاب عن الفواحش والمنكرات ، وهو لا يعرف المسجد، كيف يسلم الشاب من المخدرات والجرائم، وما دله أبوه ولا أمه إلى طريق المسجد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم : ٦٦] .

وَجَلَّالَةُ الْأَذَانِ بِكُلِّ حَيٍّ * * * * * وَلَكِنْ أَيْنَ صَوْتٌ مِنْ بِلَالٍ
مَنَائِرِكُمْ عَلَتْ فِي كُلِّ سَاحٍ * * * * * وَمَسْجِدُكُمْ مِنَ الْعِبَادِ خَالِي

ومشكلة الشباب الثانية: تأتي من جلساء السوء ، قوم علم الله من قلوبهم الخبث فأخترهم ، قوم ما أفلحوا في دين ولا دنيا، رسبوا في الدراسة، وفشلوا في الوظيفة، وتقهقروا في العمل، فجلسوا على الأرصفة يصدون عن سبيل الله، لا يعرفون إلا لعب الورق، والأغاني، والموسيقى، والمسرحية، والغيبة، والنظرة الآثمة، يصدون عن سبيل الله، يتلقفون شباب الإسلام، ليجعلوا مصيرهم كمصيرهم . . أهكذا شكر النعمة؟ أهذا هو الإحسان؟ أب يدفع لابنه ما يريد، وهذا الابن يوجهه شيطانه إلى كل معصية، فوجد السيارة الفاخرة، والفيلا الواسعة، واللباس والطعام والأموال متوفرة . . فهتك الأعراض، واستحل الحرمات، يحمل الشباب المسكين في سيارته إلى أماكن اللهو واللعب والبعد عن الله . . فأين الأب الحصيف، وأين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟! .

ومشكلة الشباب الثالثة: ضياع الوقت، والوقت أغلى شيء ولكنه كذلك عند غير المسلمين، أما عند المسلمين فما أرخصه، الساعات الطويلة ، والأعمار المديدة، يضعها كثير من الناس في غير فائدة، بل فيما يجلب عليهم الخسران والضياع يوم القيامة .

وكثير من الشباب يبدأ برنامجه اليومي ، من العصر إلى العشاء في اللهو واللعب والخروج من البيت، لا عمل، ولا تجارة، ولا وظيفة، ولا كسب، ولا تحصيل، ولا طاعة، ثم يعود كالجثة الهامدة، فيسهر مع زملائه إلى منتصف الليل، ثم يرمي بجسمه على الفراش، بلا ذكر ولا تسبيح، ولا تحميد، ولا تهليل، ولا وضوء، ثم لا يستيقظ من نومه إلا قبيل الظهر، بعد أن ألغى صلاة الفجر من برنامجه . . أي حياة هذه، وأي عيشة تلك!!

أَيَهَا اللّاهِي بَلَا أَدْنَى وَجَلْ * * اتق الله الذي عَزَّ وَجَلَّ
وَاسْتَمِعْ قَوْلًا بِهِ ضَرَبُ المِثْلِ * * اعْتَزَلْ ذَكَرَ الأَغَانِي وَالعَزَلُ

وَقُلْ الفِصْلُ وَجَانِبٌ مِنْ هَزَلٍ

كَمْ أَطَعْتُ النَّفْسَ إِذْ أَغْوَيْتُهَا * * * وَعَلَى فِعْلِ الْخِنَارِ بَيَّتُهَا
كَمْ لِيَالٍ لَاهِيًا أَنْهَيْتُهَا * * * إِنَّ أَهْنَى عَيْشَةٍ قَضَيْتُهَا

ذهبت لذاتها والإثم حل

والمشكلة الرابعة: هي عدم الاهتمام بالعلم الشرعي وتحصيله، أصبحت الأمة - إلا من رحم ربك - أمة ثقافة سطحية، تحولت الأمة من الأصالة والعمق المتمثل في العلوم الشرعية، والعلوم التجريبية، إلى أمة تعرف المعلومات العامة، والثقافة السطحية، وهو علم يشترك فيه الكافر والمؤمن .

ولكن أين التحصي؟ أين الاجتهاد في طلب العلم؟ أين الحرص على الاستفادة؟ أين حفظ المتون؟ أين المتدبرون للقرآن؟!

● أيها الشباب - يا حملة العقيدة:

من هم شباب السلف، ومن هم شبابنا؟

شباب السلف هم عبد الله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومصعب بن عمير، وابن عباس، وابن عمر .

عَبَادُ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ بِهِمْ

كَمْ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الْخَدِّ أَجْرَاهُ

وَأَسَدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الْجِهَادُ بِهِمْ

هَبُّوا إِلَى الْمَوْتِ يَسْتَجِدُونَ رُؤْيَاهُ

يَا رَبُّ فَايَعِثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفْرًا

يُشَيِّدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَاهُ

فهذا عقبة بن نافع شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يقف على المحيط الأطلنطي موحدًا، مصليًا، يرفع سيفه، إلى السماء قائلاً: والله لو أعلم أن وراء

هذا الماء أرضاً ، لخضته بفرسي هذا رافعاً راية: لا إله إلا الله . نصر الإسلام،
وفتح إفريقيا . فشكر الله سعيك، ورفع منزلتك .

ولكن ، هل تدري أن من شبابنا من بلغ الثلاثين ، والأربعين ، وهو لا يعرف
لماذا أتى ، ولماذا يعيش ، وأين يسير ، غاو ، لاه ، ما عرف رسالته في الحياة !!

عبد الله بن رواحة: كان شاباً في الثلاثين، حمل سيفه وذهب إلى معركة مؤتة
في أرض الأردن، فلبس أكفانه ورفع سيفه وقال:

أَفَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ * * * لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرُّنَّةَ * * * مَا لِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً * * * هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شِنِّهِ !!

ثم قال:

يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتُلِي تَمُوتِي * * * هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ * * * إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ

جعفر الطيار .. ليله سجود وتسبيح، ونهاره جهاد ودعوة، أتى إلى مؤتة
مجاهداً في سبيل الله، فقطعت يمناه، فأخذ الراية بيده اليسرى، فقطعت، فضم
الراية بعضديه، حتى تكسرت الرماح في صدره، وهو يتسم ويقول:

يَا حَبْذَا الْجَنَّةَ وَاقْتَرَابُهَا * * * طَيْبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رَوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا * * * كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

أنس بن النضر يقول: إليكم عني، والله إنني لأجد ريح الجنة من دون أحد،
فيضرب بثمانين ضربة، فيموت في سبيل الواحد الأحد^(١)

(١) انظر ذلك في صحيح مسلم (٣ / ١٥١٢)، رقم (١٩٠٣) .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم :

{٥٩

فخلف من بعدهم خلف، جعلوا مكان التلاوة الغناء، ومكان مجالس العلم المسرحيات والمسلسلات، ومكان المصحف المجلة، ومكان التسييح السيارة، مكان التهجد البلوت، ومكان التقوى الفجور، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الغفور.

فيا رب .. أعد هذه الأمة إليك ، وخذ بناصيتها إلى رحابك .

● أيها الشباب:

من يرفع راية لا إله إلا الله إذا توليتم، ومن ينصر هذا الدين إذا عرضتم، فعليكم أيها الشباب باستثمار هذه العطلة في شيء نافع حددوا لأنفسكم حفظ ثلاثة أو أربعة أجزاء من كتاب الله فيها، وإن الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن ترحب بكم، والمخيمات الإسلامية - أيضاً - ترحب بكم .

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يوفقنا جميعاً إلى مرضاته ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - فإنها وصية الله - تعالى - للأولين والآخرين:

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١] .

وعن أبي ذر - جندب بن جنادة - وأبي عبد الرحمن - معاذ بن جبل رضي الله عنهما، أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١) .

فهذه وصية رسول الله صلوات الله عليه لأصحابه ، ولأمته من بعده، وهي من جوامع كلمه صلوات الله عليه ، فالتقوى كلمة جامعة لكل خصال الخير، بحيث يطاع رب العالمين فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر .

وقد سئل أمير المؤمنين أبو الحسن - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه عن التقوى فقال:

« هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل » .

كلمات يسيرة، إلا أنها ثقيلة في ميزان الله عز وجل .

الخوف من الجليل: من منا يخاف من الله - تبارك وتعالى - خوفًا يصرفه عن

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٣١٣) رقم (١٩٨٧) ، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٥ / ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦) ، وحسنه الشيخ الألباني - رحمه الله - كما في صحيح الجامع رقم (٩٧) .

معصيته، ويقربه من طاعته؟ كيف تدعي مخافة الله - عز وجل - وأنت تظلم الناس، وتأكل حقوقهم !!؟

كيف تدعي مخافة الله - عز وجل - وأنت تتعامل بالربا؟

كيف تدعي مخافة الله - عز وجل - وأنت لا تشهد الصلاة مع المسلمين في المساجد؟

كيف تدعي مخافة الله - عز وجل - وأنت تتلذذ بسماع الغناء، وتعرض عن سماع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ .

والعمل بالتنزيل: والواقع يشهد بوضوح؛ إننا بعيدون كل البعد عن التنزيل، إلا من رحم الله عز وجل، فالله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿إِنْ تَصْرُواُ اللّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ١٧] .

فإذا نصرنا الله - عز وجل - باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، بتحليل ما أحل، وتحريم ما حرم، بالتحاكم إلى كتابه، وسنة رسوله ﷺ في كل أمر من أمورنا، إذا فعلنا ذلك، نصرنا الله - عز وجل - على أعدائنا، والله تعالى لا يخلف وعده، وقد نصر نبيه ﷺ، والقلة المؤمنة في بدر وغيرها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِيَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

فعلينا أن نتنبه، وعلينا أن نستفق من غفلتنا حتى لا نندم حيث لا ينفع الندم، يوم يقول الظالمون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيأتيهم الجواب فيزيدهم حزياً ونكدًا وحسرة ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مَن نُّصِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] .

والرضا بالقليل: يقول النبي ﷺ: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة وحب المال» (١) .

(١) أخرجه البخاري (٧ / ٧٠)، ومسلم (٢ / ٧٢٤) رقم (١٠٤٦) .

ويقول عليه السلام : «لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له وادياً آخر، ولن يملأ فاه إلا التراب، والله يتوب على من تاب»^(١) .

وعبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي عليه السلام وهو يقرأ: ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»^(٢)

من عرف الله فلم تُغْنِه * * * معرفةُ الله فذاك الشقي
ما يصنع العبدُ بعزِّ الغنى * * * والعزُّ كلُّ العزِّ للمتقي

والاستعداد ليوم الرحيل: ولا يكون ذلك إلا بدوام ذكر الموت، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة؛ من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وإصلاح بين الناس، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وعدم الاستهانة بالذنوب والمخالفات؛ فإن المتقي لا ينظر إلى صغر الذنب، وإنما ينظر إلى عظمة من يعصيه، إلى عظمة الرب - تبارك وتعالى .

خُلِّ الذنوب صغِيرها * * * وكبِيرها فهو التُّقى
واصنع كما شِ فوق أُر * * * ض الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقِرَنَّ صغِيرة * * * إن الجبال من الحصى

ولذلك قال أحد العلماء لشاب أسرف على نفسه في المعصية: إذا أردت أن تعصي الله، فاعصه حيث لا يراك، أو اخرج من داره، أو كل من غير رزقه!! فتنبه الشاب إلى ذلك وبكى، ثم تاب إلى الله، عز وجل .

ودخل شخص بستاناً كثير الأشجار، فقال في نفسه: لو خلوت هنا بامرأة، ما كان يراني أحد!!، فسمع هاتفاً يهتف بصوت مرتفع: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: ١٤ .

(١) أخرجه البخاري (٧ / ١٧٥)، ومسلم (٢ / ٧٢٥) رقم (١٠٤٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٧٣) رقم (٢٩٥٨) .

وراود شخصٌ أعرابية عن نفسها، وقال لها: لا يرانا إلا الكواكب، فقالت:
 وأين مكوكبها؟! أين خالقها؟! أين فاطرها؟!
 إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
 خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبٌ
 ولا تحسبن الله يغفل ساعةً
 ولا أن ما تخفي عليه يغيبُ

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، الذين يراقبونه ليلاً
 ونهاراً، وسراً وجهاً، وظاهراً وباطناً .

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] .
 ويقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» (١) .
 اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا
 في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ سنريهم آياتنا في الآفاق ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الاحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها الناس :

عنوان هذه الخطبة ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ {سورة فصلت، الآية: ٥٣}. و الله، عز وجل، يقول: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ {سورة الغاشية، الآيات : ١٧-٢٠} .

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري * * * حتى أريك بديع صنع الباري
 الأرض حولك والسماء اهتزنا * * * لروائع الآيات والآثار
 ولقد تفر على الغدير تخالؤه * * * والنبت مـرأة زهت بإطار
 حلوا التسلسل موجه وخريره * * * كأنامل مرت على أوتار
 ينساب في مـخضلة مبتلة * * * منسوجة من سندس ونضار

وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى * * * منشقة عن أنهرٍ وبحارٍ
في كل ناحية سلكتٍ ومذهب * * * جبلان من صخرٍ وماء جارٍ
سبحان من خلق الوجود مصوراً * * * تلك الدمي ومقدر الأقدار

من هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، هل يستطيع أحد في العالم ،
هل يستطيع كيان ، أو منظمة ، أو مؤسسة ، أو هيئة علمية ، أن تدعي وتزعم أنها
هي التي أعطت كل شيء خلقه ثم هدت ؟ لا ، وألف لا ، إن الذي أعطى كل
شيء خلقه ثم هدى هو الله .

رد بهذا الرد موسى كليم الله ، على فرعون عدو الله ، لما سأله فرعون : من
ربكما ، ما تعريفه ، ما ترجمته ، ما آثاره ، ما هي الدلائل القائمة على
وحدانيته ، ما هي البراهين الساطعة على ألوهيته ؟ .

فقال موسى : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ {سورة طه، الآية : ٥٠} ،
وهذه الآية تشمل عالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم البر ،
وعالم البحر ، وعالم الجو ، فالله يتجلى في عصر العلم ، كلما مر يوم ، وكلما
اكتشف اكتشاف ، دلنا على الله وعلى قدرته ووجدانيته .

وفي كل شيء له آية * * * تدل على أنه واحد

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ {فصلت : ٥٣}

كان السلف يعرفون من قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ {الحج : ٥٠} .

أن الأرض تخضر وتثمر وتزهر إذا نزل عليها الماء ، ثم تقدم العلم ،
واكتشف أهل علم النبات ؛ أن الإنسان إذا وضع الحب اليابس في الأرض اليابسة
لا ينبت الزرع ، حتى تهتز الأرض درجة واحدة من درجات جهاز «رختر»

فتصدع قشرة الحبة ، فتنبت بإذن الله ، والله يقرر ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ وقبل أن تهتز لا تنبت ولا تثمر .

أحد الشعراء كان مسرفاً على نفسه في الخطايا ، أبو نواس ، وعندما توفي ، رآه أحد علماء أهل السنة في المنام في هيئة حسنة ، عليه ثياب بيض ، جالس في بستان ، قال : يا أبا نواس كيف حالك ؟ قال : لقد أتيت إلى الكريم فغفر لي ، قال : بماذا ؟ قال : بقصيدتي في وردة النرجس :

تأمل في نبات الأرض وانظر * * * إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * * * بأحداق هي الذهب السبيك
على كُثب الزبرجد شاهدات * * * بأن الله ليس له شريك

النخل .. الرمان .. الريحان .. كل نبت .. كل زهر ، يشهد أن لا إله إلا الله ، إنها معالم الوجدانية ، ودلائل الألوهية ، وآيات الربوبية .

وعرف السلف قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ { الواقعة : ٧٥ } قالوا : إن ذلك إشارة إلى أماكنها ، وتطور الإعجاز العلمي ، فاكتشف علماء الفلك أن هناك نجومًا ذهبت من أماكنها ، أرسلها الله ، سرعتها كسرعة الضوء أو أكثر ، ولم ترتطم بالأرض إلى اليوم ، وبقيت مواقعها هناك ، فقال الله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ولم يقل : فلا أقسم بالنجوم تعظيمًا لمواقعها .

و الله يقول : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ {سورة الذاريات، الآية : ٤٧} . يقول العلماء : إن الله - عز وجل - أوسع الكون ، وجعله فسيحاً ، بصحاريه ، وفيافيه ، وبحاره ، ومحيطاته ، ثم تطور علم الإنسان إلى أن وصل إلى قضية مذهلة ؛ وهي أن الكون يتسع كل يوم كما يتسع البالون إذا ملئ بالهواء تماماً !! ، يوسع الله الكون ، نعم هذه قدرته وهذا سلطانه ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ ﴾ {سورة الأنفال ، الآية : ٤٢} .

ويقول جل ذكره: ﴿أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [سورة الحجر ، الآية : ٢٢] من منا يدري معنى لواقح، وكيف تلقح الرياح ، وما فائدة تلقيح الرياح، وما المادة التي تلقحها الرياح بإذن الله ؟ .

يقول العلماء : يحمل الله المعصرات من السحب بماء البحر ، بعد أن يتبخر، ثم يسوقه بالريح ، فيأتي الملك يهتف ويقول: اسق بلد كذا وكذا، فيذهب السحاب ولكنه لا يسقط منه قطرة ، حتى يرسل الله الرياح محملة بذرات الغبار فتصطدم بالسحاب تلقحه ، فيهبث الغيث بإذن الله .

وهناك فرق بين الرياح والريح ، أما الريح فمهلكة دبور ممرضة ، وأما الرياح فنافعة مفيدة مثمرة لا تأتي إلا بخير ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا هبت الرياح قال: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» (١) .

كان النبي ﷺ يقوم في وسط الليل ليصلي، ثم ينظر إلى السماء ويقول : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) [آل عمران : ١٩٠، ١٩١]

وفي التنزيل ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ [سورة النازعات ، الآية : ٣٢]

أين أرساها ؟ ولماذا أرساها ؟ كيف أرساها ؟ أرساها في الأرض ، قال : طول الجبل في باطن الأرض ضعف طوله فوق سطح الأرض ، فكل جبل من الجبال ، لم يخرج منه على سطح الأرض إلا الثلث ، وبقي الثلثان في بطن الأرض ، أوتد الله الأرض بالجبال ، ثم وزعها على القارات والجزر ، حتى لا تهتز الأرض ، ولو جمعها في منطقة واحدة لاضطرب حال الأرض ، ولتقلبت ،

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٨، ١٣٩) : رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس، الملقب بحنش، وهو متروك وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني: ضعيف جداً، كما في ضعيف الجامع رقم (٤٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١/٥٣٠) رقم (٧٦٣).

ولانتهت كل الكائنات الحية الموجودة على سطحها ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ {لقمان ، الآية : ١١} . أروني استعدادات
البشر ، أروني صنع البشر ، أروني خلق البشر ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ
إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَأَنْ
يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ {سورة الحج ، الآية : ١٧٣} .

وخلق الله عالم الحيوان ، والحديث عنه طويل ، قال علماء الحيوان : جعل
الله في خياشيم الكلب مادة شامة ، يعرف بها من بعيد صديقه من عدوه ، ولا
يصيب الكلب عرق ، فإذا أراد أن يتنفس من المسام ، لهث في الليل والنهار
﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ {سورة الاعراف ، الآية : ١٧٦} .

فمن الذي خلق . . ومن الذي صور . . ومن الذي أبدع .

يرسل الإنسان الحمام الزاجل ، يحمل الرسائل ، من مكان إلى مكان ،
ويعود إلى صاحبه ، فلا يضل ، ولا يضيع ، ولا يضطرب ، من الذي علمه ،
من الذي بصره بالطريق ، من الذي هداه ، إنه الله الواحد الأحد ، ﴿ الَّذِي أُعْطِيَ
كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ {سورة طه ، الآية : ٥٠} .

خلق الله العنكبوت ، منها صنف وفصيلة تعيش في البحر ، فإذا أرادت أن
تبيض ، بنت عشها تحت سطح البحر ، ثم عملت عشًا كالبالون لا يخترقه الماء ،
وعبأته بالهواء ، وأسرجته بإذن الله بمادة في أنفها ، ثم جعلت تبيض في العش
فمن ﴿ الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ .

خلق الله النملة ، تذهب لرزقها في الصباح وتأتي في المساء ، تعلم بقدم
فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد ، فتدخر قوتها ، من الصيف في مخازن تحت
الأرض ، حتى إذا جاء فصل الشتاء ، كان عندها ما تعيش عليه ، وإذا خافت أن
تنبت الحبة التي خزنتها ، قسمتها نصفين لئلا تنبت ، فمن علمها ؟ ومن بصرها ؟
إنه ﴿ الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ .

● أيها الناس :

إن قضية الخلق والهداية لهي من أهم القضايا التي عاجلها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتقدم العلم ، وتطورت الأبحاث ، وكلما تطور العلم ، كلما اهتدى الإنسان ، وعلم أن لهذا الكون إلهاً لا إله إلا هو .

أما رأيتم لأولئك الذين كانوا في المستعمرة السوفيتية وراء السور الحديدي ، خرج كثير منهم يقول : لا إله إلا الله ، دلهم العلم على الواحد الأحد ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر ، الآية : ٢٨] .

فالعلماء كلما تجردوا من العصبية ، وأخلصوا في اكتشاف الحقائق ، عرفوا الله ، واكتشفوا بعض أسرار الكون ، وآمنوا به ووحدوه ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٥٣] .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر لله شكراً شكراً ، والصلاة والسلام على البشير النذير ، والسراج المنير ، والمعلم النحرير ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، أما بعد : فإن قدرة الله ، عز وجل ، تتحقق بكلمة واحدة «كن» .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس ، الآية : ٨٢] .

و الله - عز وجل - أخبر في كتابه أنه سوف ينطق أعضاء الإنسان ، لتشهد عليه ؛ لأنها جند من جنوده تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النور ، الآية : ٢٤] .

يوم يقول الكافر لجلده: كيف تتكلم ؟ كيف تشهد عليّ ، من أنطقك؟ فيجيب: ﴿ أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٢١] .

وفي السنة والسيرة أحاديث كثيرة ، أظهر الله فيها قدرته على ألسنة الحيوانات ، حيث تكلمت بالسنة عربية فصيحة ، أنطقها الواحد الأحد ، ليبين أنه على كل شيء قدير .

ففي صحيح مسلم ، أن النبي ﷺ قال : «إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث» (١) هكذا في الصحيح ، حجر ، جماد ، كان إذا مر به النبي ﷺ يقول له بصوت وبحروف ، وينطق : السلام عليك يا رسول الله .

خرج سليمان ﷺ يستسقي بقومه وقد علمه الله منطق الطير ، فوجد نملة رفعت أيديها وأرجلها تدعو الله ، تشدو بذكره ، تهتف باسم الواحد الأحد ، تحتاج إلى الماء ، فلا تجد إلا من بيده خزائن السموات والأرض فتدعوه . رفعت أيديها وأرجلها تبتهل إلى الله وتدعو بنزول القطر ، فرأها نبي الله سليمان وتبسم ، وقال لقومه من بني إسرائيل: عودوا فقد سقيتم بدعاء غيركم ، قال تعالى :

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٢/٤) رقم (٢٢٧٧) .

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

{سورة هود ، الآية: ٦}

خرج رجل في عهد النبي ﷺ إلى ضاحية من ضواحي المدينة يرعى الغنم ، فأخذ الذئب من غنمه شاة ، فطارده الرجل حتى أخذ منه شاته ، فقال الذئب بلسان فصيح : أتأخذ رزقاً رزقنيه الله ، فدهش الرجل وقال : يا عجباً !! ذئب يكلمني . . قال الذئب : أين الراعي يوم لا راعي لها إلا الذئب؟ وفي هذا اليوم لن تمنعها أنت ولن تحميها ؛ لأنني أنا الذي سأحميها .

ثم قال الذئب للرجل لما تعجب من تكليمه إياه : أعجب من ذلك رجل بين الحرتين ، يوحى إليه صباح مساء (١) . .

يقول : أعجب من تكليمي لك ، رجل وهو النبي ﷺ يأتيه الوحي من السماء ، لا يقرأ ، ولا يكتب ، وما تعلم ، وما درس ، ومع ذلك أتى بشريعة ربانية ، وبوحي سماوي ، وبمنهج خالد .

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « أتى رجل من بني إسرائيل فركب بقرة كما يركب الحمار ، فالتفت إليه البقرة وقالت : ما خلقنا لهذا ، إنما خلقنا للحرث » (٢) ، تكلمت البقرة ، فمن أنطقها ؟ أنطقها ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ .

ومن الأحاديث الإسرائيلية ، أن عيسى ﷺ مر ببقرة وقد اعترض ابنها في بطنها وهي في الولادة ، صعبت عليها الولادة ، فجعلت تتلفت إلى السماء ؛ لأنها تعلم أن الذي يجيب السائلين ، ويفرج كرب المكروبين ، ويزيل هموم المهمومين إنما هو الله .

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) وفيه شهر بن حوشب ، وأخرجه أيضاً (٨٣/٣ ، ٨٤) . قال الهيثمي في المجمع (٢٩٤/٨) : رواه أحمد والبخاري بنحوه باختصار ، ورجال أحمد إسنادي أحمد رجال الصحيح . قلت : وقد رواه البخاري مختصراً (٦٧/٣) ، (١٤٩/٤) ، (١٩٢/٤) .
(٢) أخرجه البخاري (٦٧/٣) ، (١٤٩/٤) ، (١٩٢/٤) .

التفتت ثم قالت لعيسى عليه السلام : يا روح الله ، ادعو الله أن يسهل عليّ ، فدعا عيسى عليه السلام فسهل الله عليها . فسبحان ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ، وسبحان الذي يسجد له من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً ، وسبحان الذي خلق كل شيء ، وأبدع كل شيء ، وكل شيء عنده بمقدار .

● أيها الناس :

ما هي العبرة من هذا العرض ، وما فائدة هذا السرد ؟ وعلى أي شيء يدل هذا القصص ؟!

إن الغرض من هذا العرض ومن هذا القصص مسألة واحدة ، وهي أن العاقبة لهذا الدين ، وأن المستقبل لهذا الدين ؛ لأنه الدين الصحيح الذي يخاطب القلوب والضمائر .

إن آيات الله في الكون سوف تترى ؛ لتدل على قدرة الله تعالى ، وهيمته على هذا الكون .

إن النظريات الغربية والشيوعية الملحدة ، التي قررت أن الطبيعة هي التي أحدثت وأبدعت وصورت هذا الكون ، قد أعلنت إفلاسها ، وثبت فشلها ، وذهبت إلى غير رجعة .

فلا خالق ، ولا رازق ، ولا مصور ، ولا مبدع إلا الله الواحد الأحد ، ﴿ سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة فصلت ، الآية ٥٣] .

وصلوا وسلموا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

■ مناظرة بين فرعون وموسى ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها الناس :

نحن مع موسى بن عمران في هذا اليوم، وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، شخصية لامعة في عالم الدعوة، بل هو بطل القصص القرآني، الذي أنزله الله على قلب النبي ﷺ، تسلياً له ولأصحابه ﷺ، وأخذاً للعبر والعظات ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ { يوسف : ١١١ } .

وكما يقول بعض المفكرين : إن المناظرة بين موسى وفرعون كانت جدلية ، تنظيرية ، عسكرية ، اقتصادية ، تربوية في نفس الوقت .

فحيا الله موسى بن عمران ، وأهلاً وسهلاً ببطل الدعوة ، الذي خاض غمارها ، أكثر من خمسين عاماً .

ففعالوا نستمع إلى القرآن وهو يقصُّ علينا من نبأ هذا النبي الكريم ، فمن القرآن نأخذ القصص ، ومنه نأخذ طرق الدعوة وأساليبها ، ومنه نأخذ الأحكام والعقائد والسلوك .

موسى في الصحراء ، عصاه في يمينه ، يجلس في ظل شجرة بعد أن أعياه هشةً على غنمه ، فتأتيه عناية الله ، وفضل الله ، ووحى الله ، يأتيه الأمر الإلهي بالذهاب إلى طاغية الأرض ، السفاك المجرم ، والإرهابي العميل ، إلى فرعون الضال ، الذي قتل النساء ، والذي ذبح الأطفال ، والذي دمر الأجيال ، والذي استعبد الشعوب ، والذي عاث في الأرض فساداً .

يقول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [سورة طه ، الآيتان: ٩ ، ١٠] ثم كانت المفاجأة التي لم يكن ينتظرها ، ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [سورة طه : ١١ - ١٣] وكان موسى ﷺ يتساءل : من أنت ؟ ما حقيقتك ؟ دُلني عليك ؟ فيقول الله عز وجل : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه : ١٤] .

هذا هو رب العالمين ، هذه حقيقته : ند أهل السنة والجماعة ، إذا قال لك أحد من هو الله ؟ فقل هو الله . . الذي لا إله إلا هو . فالله يعرف نفسه لموسى ﷺ كأنه يقول له : اعرفني قبل أن تعرف بي ، وقبل أن تنطلق بالدعوة إليَّ ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [سورة طه ، الآيتان : ١٤ ، ١٥] .

فهذه ثلاث قضايا ينبغي أن يعرفها كل من يتصدر للدعوة إلى الله عز وجل .
القضية الأولى : قضية التوحيد والعبودية ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ فلا بد أن تعلم هذه القضية ، قولاً وعملاً ، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن

يعلمها، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩]. فلا معبود بحق إلا الله، ولا متصرف إلا الله، ولا خالق، ولا مدبر، ولا حاكم، ولا مسيطر، ولا مرجو، ولا مقصود إلا الله تبارك وتعالى.

القضية الثانية : قضية الصلاة ، فلا دين لمن لا صلاة له ، ولا امتثال لمعالم العقيدة بغير صلاة .

والقضية الثالثة : قضية الإيمان باليوم الآخر ، وهي قضية كبرى ، ركز عليها القرآن في مواضع كثيرة ، وأبطل زعم الذين أنكروا هذا اليوم ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَرُوا قُلُوبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَأَنْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التغابن : ٧].

فعقيدة لا تبنى على اليوم الآخر عقيدة مهزوزة، وأدب وفن وجمال وتصوير، لا يؤسس على الإيمان باليوم الآخر ، جهالة وعمالة ولعنة من الله تعالى .

ويوم سخر الكتبة أقلامهم في خدمة الإلحاد ، وفي الاستهزاء باليوم الآخر ، ضاعوا ، وضلوا ، ولعنوا في الدنيا والآخرة .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى . فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَأُ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه : ١٥، ١٦].

ثم يتحدث الله بعد ذلك مع موسى حديثاً شيقاً ، حديث الأُنس واللفظ؛ ليزيل الدهشة عنه ، وليطرد الرعب من نفسه ، لأنه موقف صعب ، لا يتحمله أي إنسان ، تصور أنك تكلم الله تعالى ، وتستمع إلى خطاب ملك الملوك ، موسى كاد يطير قلبه من بين جوانحه ، فألقى الله عليه خطاب المؤانسة والملاطفة، حتى لا يستوحش ، وحتى لا تسيطر عليه الأوهام، والعرب كانت تعرف ذلك، فهذا الأزدي يقول في قصيدته:

أحادثُ ضيفي قبل إنزالِ رحله * * * ويخصب عندي والمكانُ جديبُ
وما الخصبُ للأضيافِ أن يكثُرَ القرى * * * ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ

فيقول الله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ { طه : ١٧ } ، ليلاطفه ، وليؤانسه .

وفهم موسى ذلك ، فلم يقل : هي عصاً وسكت ، وإنما لما لذ له الخطاب زاد في الجواب ؛ ليستمر الحوار بينه وبين رب العزة ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَمِّي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ {سورة طه ، الآية : ١٨} .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : رحم الله موسى ، إنما كان يكفيه أن يقول عصاً ، ولكن ارتاح لخطاب ربه فزاد في الكلام .

و الله يسأله عن العصا ، لأنها سوف تكون تاريخاً ، وسوف تكون درساً للأجيال ، وسوف تكون قروناً من العبر .

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ {سورة طه ، الآيتان : ٢٠ ، ١٩} يا سبحان الله !! إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يعرف هذه الخوارق ، ولا هذه المفاجآت ، إنه يعرف أن السماء هي السماء ، لا تتغير ولا تتبدل ، ويعرف أن الأرض هي هذه الأرض التي يسير عليها ، وأن العصا هي العصا ، وأن الحية هي الحية .

الليل ليلٌ والنهار نهارٌ * * * والأرض فيها الماء والأشجارُ

* فلماذا تنقلب العصا إلى حية تسعى؟! ففر موسى خائفاً ، وتصور موسى وهو يفر خائفاً من رب العالمين ، فيطمئنه ربه ، ويهدئه ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ {سورة طه ، الآية : ٢١} فعاد فأخذها ، فإذا هي عصا .

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فر خائفاً من عصاه ، ومع ذلك أرسله الله عز وجل إلى ذاك الطاغية المجرم ، الدكتاتور السفاك ، الذي كان يلقي المحاضرات ، على العملاء الأغبياء البلداء ، ويقول لهم : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ { القصص : ٣٨ } ، فيصفقون له ، ويقول لهم : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ {سورة الزخرف ، الآية : ٥١} ، فيهزون رءوسهم طرباً ، ويسجدون له تذلاً .

قال بعض المفسرين : كان على قصر فرعون ، ستة وثلاثون ألفاً من الحرس ، كل واحد منهم يرى أن فرعون إلهه ، وخالقه ، ورازقه ومحبيه ، وممّيته !! والعياذ بالله .

ثم قال الله لموسى :

﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [سورة طه ، الآية : ٢٢] .

فهذه آية أخرى من آيات الله عز وجل ، أدخل يدك يا موسى في إبطك ، ثم أخرجها ، تخرج بيضاء من غير برص ولا بهق ﴿ آيةٌ أُخْرَى . لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [سورة طه ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣] .

ثم بدأ التكليف بالدعوة ، بدأت الرحلة الشاقة المضنية ، ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٢٤] ، وتصور موسى ﷺ وهو يستمع إلى هذا الأمر الإلهي ، لقد فرّ موسى من فرعون ؛ لأنه تمرد عليه ، وقتل شخصاً من رعيته ، وقد حكم عليه فرعون بالإعدام غيابياً ، ثم يأتي الأمر الإلهي : ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ . [سورة طه ، الآية : ٢٤] .

لم يقل له اذهب إلى حاشية فرعون ، أو جنود فرعون ، أو أرسل إليه رسالة ، وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا المجرم الطاغية ، ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ لماذا؟ ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾ .

لقد تجاوز الحد ؛ سفك دماء الأبرياء ، قتل الأطفال ، نشر الفساد ، أربح العباد ، دمر البلاد ، داس الأجيال تحت قدميه .

فماذا طلب موسى من ربه ؟

وعلى الدعاة أن يتنبهوا إلى هذا الطلب : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [سورة طه ، الآيات : ٢٥ - ٢٨] .

فموسى عليه السلام ما كان يبين في حديثه ، بل كان يأكل بعض الحروف إذا تكلم ، فليس في استطاعته أن يبلغ الدعوة ، وسوف يضحك عليه هذا المجرم العتل ، وقد فعل ذلك بالفعل ، حيث عقد مقارنة بينه وبين موسى عليه السلام ، وفضل نفسه على نبي من أنبياء الله ، ورسول من أولي العزم ، قال في سورة الزخرف : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ { سورة الزخرف ، الآيات : ٥١ ، ٥٢ .

يقول : إنني أغنى منه مالاً ، وأعظم منه سلطاناً ، وأصح منه لساناً ، فأنا ألقى المحاضرات ، وأعقد الندوات ، وموسى لا يستطيع ذلك ، مع أن هذا بعد أن طلب موسى من ربه أن يحلل عقدة من لسانه ، فكيف لو ذهب موسى قبل ذلك !؟

إن موسى عليه السلام ما طلب أن يكون أفصح الخلق ، ولا أخطب الناس ، وإنما طلب أن يكون كلامه مفهوماً ، لتقوم بذلك الحجة على فرعون ، وقد قامت ، إلا أن هذا هو شأن المفسدين ، يتصيدون الأخطاء للدعاة الصادقين ، ولا يتورعون عن رميهم بالتهمة والافتراءات التي هم منها برآء .

وطلب موسى من ربه أيضاً نصيراً ، ومعاوناً له على تلك المواقف الصعبة ﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِئ . هَارُونَ أَخِي ﴾ { سورة طه ، الآيات : ٢٩ ، ٣٠ . سماه وعينه لربه ليختاره له ، وعلل لذلك بقوله : ﴿ اشدُّدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ { سورة طه الآيات : ٣١ ، ٣٢ فإن الواجبات كثيرة ، وإن التبعات جسيمة ، فأريد أخي ليكون على ميممتي فيقويني ويشتني عند ذاك الطاغية الجبار ﴿ كِي نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا . وَنَذْكُرُكَ كَثِيْرًا ﴾ { سورة طه ، الآيات : ٣٣ ، ٣٤ فالاثنان يسبحان ويذكران أكثر من الواحد ، والأخ الصالح يذكر أخاه إذا نسي ، ويقويه إذا فتر ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ﴾ { طه : ٣٥ } فأنت الذي أرسلتنا ، وتعلم ضعفنا ، فأعنا على تلك المهمة الصعبة ، وكن معنا بالتأييد والنصرة .

ثم كان الجواب من الله الواحد الأحد: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ طه : ٣٦ ، ولم يقل سؤالاتك ، أو طلباتك ، لأن المطالب مهما كثرت ، ومهما عظمت فهي هيئة في ميزان الله عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ، الآية: ٨٢ ، ثم ذكره الله عز وجل بتاريخه وماضيه ، وإنعامه عليه في كل وقت ، أعاد عليه ذكريات الطفولة والصبأ ، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى . إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ . أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ سورة طه ، الآيات : -٣٧:٣٩

● وهذه الآيات فيها قضايا أربع :

أولها : كأن الله يقول لموسى عليه السلام : لا تخف من فرعون ، ولا تتهيب منه ، فقد عصمناك منه وأنت طفل رضيع ، وقد ربيناك في قصره وفي بلاطه ، كنت تضربه على وجهه وأنت طفل صغير ، أتخاف منه الآن وأنت في الأربعين ، لا تخف منه فإنه أحقر وأهون من أن تخاف منه .

فموسى الذي رباه فرعون مؤمن * * * وموسى الذي رباه جبريل كافر

موسى الذي تربى في قصر فرعون ، هذا القصر الذي فيه الإلحاد والقهر وشرب الخمر وعبودية غير الله ، موسى هذا مؤمن ونبي من أنبياء بني إسرائيل . وهناك موسى آخر ، موسى السامري ، رباه جبريل على الوحي والتوحيد والنور والعبادة ، لكنه خرج كافراً مارداً بعيداً عن الله .

فلا تستغرب أن ترى شاباً من بيت متهتك ، بيت منحل ، بيت يعادي شرع الله ، وهذا الشاب ولي من أولياء الله ، كأنه من شباب الصحابة .

ولا تتعجب كذلك إذا رأيت شاباً من بيت من بيوت العبودية ، بيت ينام على القرآن ، ويستيقظ على القرآن بيت يعظم تعاليم الإسلام ، وهذا الشاب ينشأ شيطاناً ضالاً ، فهذه حكمة بالغة ، وقدرة نافذة .

ثم يستمر القرآن في تعديد نعم الله عز وجل على موسى : ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ { طه : ٤٠ } ، ثم يذكره الله بفعلته التي فعلها ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ { طه : ٤٠ } ، ولا تظن أننا نسينا النفس التي قتلتها ، فإن ذلك مكتوب في كتاب ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكننا غفرنا لك وفرجنا همك ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ . وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ { طه : ٤٠ - ٤١ } .

هذا تاريخ موسى أمام عينيه ، وكأن الله تبارك وتعالى يقول له : هذا تاريخك يا موسى ، وتلك هي الأحداث التي مرت بها ، كانت عنايتنا معك في كل حدث منها ، وكان حفظنا يلاحقك في كل مكان حللت فيه ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ { طه : ٤٢ - ٤٣ } ، ولنقف الآن عند هذا الحد ، لننتقل إلى قصر فرعون ، نستمع إلى ذاك الحوار الساخن الذي دار بين موسى وفرعون ، على موسى السلام ، وعلى فرعون اللعنة ، وهذا موضوع الخطبة الثانية إن شاء الله .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله.. الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

● أما بعد :

فيصل بنا الخطاب إلى قول الله تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ {سورة طه : ٤٢} . لقد أجبت سؤالك يا موسى ، فجعلت أخاك معك ، وجعلته نبياً من الأنبياء المصطفين ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ وهذا على معنيين ، الأول : لا تضعفا في الدعوة ، ولا تخافا أحداً مهما بلغ عتوه وجبروته ، وابدلوا ما استطعتم في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس .

الثاني : قيل إن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ أي لا تفترا عن ذكري ؛ من التسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتحميد ؛ لأن موسى عندما طلب أخاه وزيراً معه قال : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً . وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ {سورة طه : ٣٣-٣٤} ، فلا ينبغي أن تنسى يا موسى ما قطعته على نفسك من كثرة التسبيح والذكر .

فزاد الروح أرواح المعاني * * * وليس بأن طعمت ولا شربت
فأكثر ذكره في الأرض دأباً * * * لتذكر في السماء إذا ذكرت
وناد إذا سجدت له اعترافاً * * * بما ناداه ذو النون بن متى

فزاد القلوب هو التسبيح والتكبير ، وزاد الأرواح هو التحميد والتهليل ، فالله يقول لموسى وهارون : أكثرا من الذكر ، فإنكما ستمران بمواقف صعبة ، وتكاليف ضخمة ، لا تستطيعان خوض غمارها إلا بأن تكونا على قرب مني ، وأن تكونا دائماً في ذكر وثناء وافتقار لجلالي ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ {سورة طه ، الآية : ٤٣} عاد الخطاب كما كان أول السورة . في أول السورة قال الله لموسى : ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ {سورة طه ، الآية : ٢٤} ، وهنا يقول لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ {سورة طه ، الآية : ٤٣} اذها إليه ، واعلما بأنه طاغية جبار ، ولكن

كيف يخاطب موسى وهارون هذا الجبار ؟ ما الوسيلة التي يستخدمها موسى في عرض الدعوة عليه ؟ فبيّن الله أن الوسيلة الناجحة في مخاطبة هؤلاء الجبابرة ، هي اللين ، وعدم العنف ، وذلك بأن تعرض عليه الدعوة بأسلوب هين لين حسن ، فلعل الله أن يهديه ، ولعل الله أن يشرح صدره ، فلا ينبغي أن نحكم على الناس ، بأن الله ختم على قلوبهم ، فلا يهتدون ، ولا يعقلون ، ولا يفهمون ، قال تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه ، الآيتان : ٤٣ - ٤٤] ما أحسن هذا الكلام ، وما أعجب هذا الخطاب ، يقول عن فرعون : إنه طاغية ، جبار ، سفاك للدماء ، ملحد ، عنيد ، ومع ذلك ، يأمر أنبياءه باللين معه ، وعدم تعنيفه وتوبيخه ، لعله يستحسن الخطاب ، فيستجيب إلى الحق . قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ قال : يُمنياه بالملك .

فلما دخل عليه موسى قال له : إذا أجبتنا ، أبقى الله عليك ملكك ، وممكنك أكثر من ذلك ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ لعله يتذكر نعم الله عليه ، وتمكينه إياه ، فبعض الناس لا يأتي إلا من باب الرغبة ، وبعضهم لا يستجيب إلا بالترهيب ، والداعية لا بد أن يكون بصيراً بالقلوب ، عالماً بطباع النفوس ، حتى يدخل على كل إنسان من الباب الذي ترجى إجابته منه .

فقال موسى وهارون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾ [طه : ٤٥] ، والله يدري أنه يطغى ، والله يعلم أنه جبار ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه ، الآية : ٤٦] ، وإذا كان الله معك فلماذا تخاف ؟ وإذا كان الله ناصرك فممن تخشى ؟ فانطلقا بهذا المبدأ لا تخافا أحداً ، ما دام الله معكما ، وناصركما ، ومؤيدكما .

وموسى عليه السلام خاف ثلاث مرات ؛ مرة لما رأى العصا وقد انقلبت حية ، فقال الله له : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ [طه : ٢١] ، وهذه المرة ، حين دخل البلاط

الفرعوني ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ { طه : ٤٦ } ، ومرة ثالثة يوم أن نازل فرعون في الميدان أمام الجماهير ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ { طه : ٦٨ ، ٦٧ } ، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى . فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ {سورة طه ، الآيتان : ٤٦، ٤٧} .

دخل موسى عليه ، ووقف هارون بجانبه ، موسى يتكلم ، وهارون يثبت ويساعد ، والمجرم ينظر إليهما بعلو وعتو وجبروت ، لأنه صور نفسه أنه رب ، وأنه صانع ، أنكر توحيد الربوبية ، وادعى ذلك لنفسه ؛ كبراً وعتواً ، وإن كان في الباطن يوقن بربوبية الله للكون ، كما قال له موسى ﷺ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَاءِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ {الإسراء : ١٠٢} ، فلما تكلم موسى ، ودعاه إلى الله - عز وجل - ضحك فرعون منهما ، ضحك استهزاء واستهتار ؛ لأنه مستخف بالقيم ، يدوس التاريخ بقدميه يجعل المروءات خلف ظهره لا يقيم للمثل وزناً ولا قيمة .

أخذ ينظر إلى موسى على أنه راعي غنم ، يحمل عصاه على كتفه ، وأنه أتى من الصحراء ، حيث لا حضارة ولا تقدم ، ثم ينظر إلى نفسه فيرى الدنيا تحت قدميه ، فيزداد كبراً وصلفاً .

وهكذا يفعل الطغاة ، يوم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوم لا يصلون ، ولا يخافون من الواحد الأحد ، هكذا يفعل كل فرعون إلى أن تقوم الساعة .

فانبرى الخسيس من على كرسیه وسأل موسى سؤالاً تافهاً حقيراً مثله ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ {سورة طه ، الآية : ٤٩} ، فهو لا يعرف رباً ولا يؤمن بإله ، فماذا كان جواب موسى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ { طه : ٥٠ } ، فإن كنت تستطيع ذلك فأنت رب ، وإن كنت لا تستطيع فلست برب ، وأنى لك ذلك !!

قال الزمخشري : الله دره من جواب .

وقال أحدهم : والله لقد تناوله موسى بكفٍّ على وجهه ، وتحت كلمة «خَلَقَهُ» مجلدات من العبر ، وتحت كلمة «هدى» مجلدات من الصور . هدى كل شيء ، هدى الطفل يوم أن وضعت أمه ، لا يعرف شيئاً ، ولا يبصر شيئاً ، فهداه إلى ثدي أمه ليجر منه اللبن .

وهدى النحلة أن تطير آلاف الأميال ، لتأخذ الرحيق ، وتعود مرة ثانية إلى خليتها .

وهدى الحمام الزاجل ، يوم ينقل الرسائل ، من مكان إلى مكان ، ومن بلد إلى بلد ، ثم يعود إلى مكانه لا يضل ولا يضيع .

يقول العالم الأمريكي «كيرسي ميرسون» في كتاب «الإنسان لا يقوم وحده» :
إنني أتعجب من النحل ، وأقول : لعل النحلة معها جهاز «إريال» تكتشف به خليتها !! ولكن الله عز وجل يقول : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ سورة النحل ، الآيات : ٦٨ ، ٦٩ ، إنه الله ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه : ٥٠ ، فهزم فرعون وبهت ، وظهر فشله وعجزه ، ولكنه أتى بسؤال آخر كالذي قبله أو أتفه منه ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾ سورة طه : ٥١ ، أين ذهب أجدادنا وآباؤنا ؟! ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ سورة طه : ٥٢ ، ما شأنك أنت بهذا ؟ ما أهمية هذه المسألة عندك ؟ أنت ذرة من الذرات ، وأنت حشرة من الحشرات .

أنت لا تعرف من أنت ولا * * * أنت لا تدري بماذا قد تقول

أنت مخلوق حقير بائس * * * أنت لا تدري إلى أين الرحيل

﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ سورة طه : ٥٢ .

فهزمه موسى مرة ثانية ، وانتصر عليه ، وفضحه أمام الجماهير ، وبين عجزه أمام الأجيال . وبقي موسى إلى قيام الساعة يذكر في مواكب الأنبياء المخلصين ، وفي مواكب الدعاة الخالدين .

● أيها المؤمنون :

في هذه القصة دروس وعبر :

أولها : الاعتصام بـ : لا إله إلا الله .

فهذه الكلمة من أجلها أنزلت الكتب ، وأرسلت الرسل ، وخلقت السموات والأرض ، وأقيمت المعالم ، وبذلت الأموال ، وشهرت السيوف .

فلا بد أن نعتصم بهذه الكلمة ، ولا بد أن نفتخر بهذ الكلمة ، ولا بد أن تسيطر على حياة كل واحد منا ؛ على الأمير ، على الوزير ، على القاضي ، على المسئول ، على الصحفي حين يكتب ، على الشاعر حين ينظم ، على الأديب حين يبدع .

ثانياً : قضية الصلاة ، فالدين يقوم على الصلاة ، فلا دين بغير صلاة ، ولا صلاة بغير دين .

ثالثاً : قضية الإيمان باليوم الآخر ، فإذا لم نجعل هذه القضية أمامنا ، وفي أذهاننا ، فلا سلام ، ولا أمن ، ولا استقرار ، ولا طمأنينة ، لأن الذين نسوا اليوم الآخر ، تقاتلوا ، وتحاسدوا ، ودمر بعضهم مدن بعض ، وأطلقوا صواريخهم ، وقتلوا الأمنين ، كل ذلك لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر .

رابعاً : قضية النصر ، ينبغي أن نعلم أن الله عز وجل ينصر أوليائه ، ويدافع عن أحبائه ، ولو ظهروا على الساحة أنهم هم المهزومون ، هم القليلون ، هم المضطهدون ، فالعاقبة لهم ، والنصر حليفهم .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] .

خامساً : قضية الشكر ، فالله عز وجل يطلب من العبد أن يتذكر المعروف ، وأن يشكر النعم ، وأن يحفظ الأيادي .

سادساً : على الداعية أن يعرف مداخل القلوب ، وألا يكون عنيفاً في أسلوبه ، مجرحاً للشعور ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ {آل عمران : ١٥٩} .

دخل أحد الأعراب على هارون الرشيد ، الخليفة العباسي الكبير ، فقال الأعرابي : يا هارون . قال : نعم . قال : إن عندي كلاماً شديداً قاسياً فاستمع له . قال هارون : و الله لا أسمع ، و الله لا أسمع ، و الله لا أسمع . قال : ولم ؟ قال : لأن الله أرسل من هو خير منك ، إلى من هو شر مني ، ثم قال له : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ {سورة طه ، الآية : ٤٤} .

فاللين في الدعوة مطلوب ، وأدب الحوار مطلوب ، وإنزال الناس منازلهم مطلوب ، ومراعاة شعور الآخرين مطلوب .

سابعاً : لا خوف على المسلم ، فإن النفوس بيد الله ، والأرزاق في خزائن الله ، فهو الذي يحيي ويميت ، ويغني ويعدم ، وينفع ويضر ، بيده مقاليد كل شيء ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

هذه بعض دروس قصة موسى ﷺ وأغلبية سور القرآن ، تخلق بنا دائماً مع موسى ﷺ .

فقصته طويلة ، وأحداثها متعددة ، فيها العبرة ، وفيها العظة ، وفيها السلوى ، وفيها الثبات على المبدأ .

فسلام الله على موسى في الأولين ، و سلام على موسى في الآخرين ، وشكر الله سعيه .

أما فرعون وأتباعه فـ ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ {سورة غافر ، الآية : ٤٦}

● عباد الله :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

{ الأحزاب : ٥٦ }

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا
وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن الصحابة
الأطهار ، من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا
معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

* * *

■ من طرائف حج الرسول ﷺ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثة بدعة ، وكلُّ بدعة ضلالة ، وكلُّ ضلالة في النار .
 يقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ {سورة الحج ، الآية : ٢٧}

* هذا هو النداء العلوي من الله الواحد الأحد إلى الأمة الإسلامية ؛ لتؤدي هذا النسك العظيم ، والركن الجليل من أركان الإسلام .

قام إمام التوحيد إبراهيم ﷺ ببناء البيت ، يحمل الحجر من على كتف ابنه إسماعيل ﷺ وهما يهتفان ﴿ رَبَّنَا ثَقِيبُ مَنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ {البقرة : ١٢٧} .
 وأكمل البناء ، وصعدت الكعبة في السماء ووضح الحق .

قال إبراهيم لربه : يا رب ، ماذا أفعل الآن ؟ قال : اصعد على جبل أبي قبيس ، أعظم جبال مكة ، فصعد إبراهيم ، وقال : يا رب ، ماذا أقول؟

قال : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .
 قال إبراهيم : يا عباد الله ، يا قوم حجوا البيت ، فأسمع الله دعوته نطقاً في
 الأرحام ، أسمع دعوته الأحياء والكائنات والذرات ، فأقبل الموحدون يقولون :
 لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا
 شريك لك .

البشرية تلمبي .. الأرض تلمبي .. السماء تلمبي .. الدنيا كلها تلمبي ، ويشهد
 لسان الحال أن النصر لهذا الدين ، وأن العاقبة للمتقين .

* ومما يثلج صدور أهل الإسلام أن يخرج من موسكو عاصمة الإتحاد ودولة
 الكفر والبغي والحديد والنار ، يخرج منها آلاف الموحدين يلبنون كما يلبي الناس ،
 لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا
 شريك لك .

● أيها الإخوة في الله :

إن للحج معانٍ ، ومقاصد ، ودلالات ، ينبغي أن نتعرف عليها ، وأن نعيها .
 فكل العبادات الإسلامية أو غالبها ، يطلب من المسلم أن يتجمل لها ، وأن يتزين
 لها ، إلا الحج ، فأفضل الحجاج ، الشعث الغبر ، وأجمل الحجاج الحفاة ،
 وأعظم الحجاج الجائعون الظمأى .

وفي إحرام العبد في رداءين أبيضين ، تذكير له بإدراجه في كفنه ، فهذا سفر
 إلى عرفات ، وذاك سفر إلى الموقف العظيم ، فإذا لبست الإحرام ، ذكرك بالكفن ،
 وذكرك بيوم الحشر ، وذكرك أنك لن تخرج من الدنيا إلا بهذا الكفن الأبيض .

خذ القناعة من دنياك وارض بها

لو لم يكن لك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

هل سار منها بغير الطيب والكفن؟!

وفي الإحرام قضايا أخرى : منها المساواة ، وهذه من القضايا التي يحرص الإسلام على تقريرها دائماً ، فلا يلبس الملوك إلا لباس الإحرام ، ولا يرتدي الرؤساء ولا الأغنياء إلا لباس الإحرام ، الناس كلهم يشتركون في هذا ، فلا تيجان ، ولا أكاليل ، ولا نياشين ، ولا أساور ، كل الناس محشورون في صعيد واحد ، ليبقى العز والملك والسلطان والجبروت لله - تعالى - وحده ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٨٨] .

﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [سورة غافر، الآية: ١٦] .

فالكل ذليل ؛ والكل مسكين لكبرياء الله وعظمته .

- أما الوقوف بعرفة، فهو مؤتمرنا العالمي، وهو سر خلودنا في الأرض، الذي نفاخر به أهل الأرض جميعاً، إنهم يجتمعون في مؤتمراتهم بدعوات، ومراسيم ، وأطروحات ، وقوانين ، أما أهل الإسلام في يوم عرفة ، فيفترشون الأرض ، في الشمس المحرقة ، التي تلهب الأجساد .

فالله أكبر الله أكبر .. ما أعظم هذا اليوم !

والله أكبر الله أكبر .. ما أروع هذا اليوم !

- ثم يفيض الله تبارك وتعالى من رحماته على أهل الموقف ، فيتجلى للناس في يوم عرفة ، ينزل سبحانه إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله ، يجمع ملائكته فيقول : «يا ملائكتي، انظروا لعبادي ، أتوني شعثاً غبراً ، ضاحين ، أشهدكم أنني قد غفرت لهم»^(١) .

شعثاً ، غبراً ، ضاحين ، تلبدت شعورهم من الشمس ، لا دهن ، لا طيب، لا ظل ، كل ذلك ليرضى الله عنهم .

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤/٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٣) : ورجاله موثقون . وأخرجه أحمد أيضاً (٣٠٥/٢) عن أبي هريرة ، قال الهيثمي في المجمع (٢٥٤/٣) : رجاله رجال الصحيح .

إِنْ كَانَ سِرْكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا

فَمَا لَجْرَحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلْمُ

تركوا القصور والبساتين والراحة ، وجلسوا على التراب تحت حرارة الشمس .

فاشهد أيها العالم ، واسمعي أيتها الدنيا . هذا يوم عرفة ، حيث وقف نبينا وقائدنا وزعيمنا ، وقف في رداءين باكيًا ، أشعث ، أغبر ، يخاطب الدنيا كلها ويكلم الناس جميعًا ، إنه وقف هناك ولكننا نذكره هنا ، وسوف نذكره في كل مكان ، وسوف ندوب في حبه وفي فدايته وفي دعوته .

إن محمدًا ﷺ ، هو تاريخ هذه الأمة وعمقها وعزها ، لقد وقف هذا الرسول الكريم في عرفات وأرسي قضايا ثلاث :

● القضية الأولى :

القضاء على التمييز العنصري لقد ألغى محمد ﷺ ، كل ألوان التمييز العنصري ، وداس عليه بقدميه ، وذلك قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان ، في حين أن دولة من الدول في عصرنا الحاضر ، تتبجح بأنها أعظم دولة في العالم ، لازالت تفرق بين مواطنيها بحسب ألوانهم !! .

أما في الإسلام فلا أبيض ولا أسود ولا أحمر ، لا نسب ، لا مال ، لا جاه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات ، الآية : ١٣] .

- وقف النبي ﷺ ينادي . . يا أبا بكر ، يا قرشي ، يا سيد ، أنت وبلال الحبشي أخوان ، لا فرق بينكما عند الله إلا بالتقوى ، وقف هناك يقول :

يا عمر ، يا أبا حفص ، يا فاروق الإسلام ، أنت وصهيب الرومي أخوان .
وقف هناك يقول يا علي أنت وسلمان الفارسي أخوان .

إِنْ كِيدَ مُطْرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا

نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءِ تَالِدِ

أو يفترق ماء الغمام فماؤنا
عذبٌ تحدر من غمامٍ واحدٍ
أو يختلف نسبٌ يؤلفُ بيننا
دينٌ أقمناهُ مقامَ الوالدِ

● أما القضية الثانية :

فقد أعلن فيها ﷺ حقوق المرأة ، وأنها إنسانة لها شأنها في المجتمع ، فهي تمثل نصف الأمة ، ثم هي تلد النصف الآخر ، فهي أمة كاملة .
أما الذين يدعون إلى ما يسمى بحرية المرأة ، فأولئك هم أعداء المرأة ، وقتلة المرأة ، لا يريدون إلا أن تكون المرأة جسداً مشاعاً ، يفتسه ذئاب الأرض وكلابها .

● أما القضية الثالثة :

التي قررها رسول الله ﷺ ، في هذا الموقف العظيم فهي قضية الإنسان ، قضية حقوق الإنسان ، فقد نادى هذا النبي العظيم بحقوق الإنسان ، وأنه لا بد أن يكون محترماً له مكانته بين الناس ، لا أن يعامل كما يعامل الحيوان .
وإذا كان هذا الإنسان مسلماً ، وإذا كان هذا الإنسان مؤمناً ، ازدادت حرمة ، وتأكدت حقوقه .

« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا » (١) .

- ينظر ﷺ إلى الكعبة ويقول : « ما أعظمك ، وما أشد حرمتك ، والذي نفسي بيده ، للمؤمن أشد حرمة عند الله منك » (٢) .

(١) أخرجه البخاري (٢٤/١) ، ومسلم (١٣٠٥/٣) رقم (١٦٧٩) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٢٩٧/٢) رقم (٣٩٣٢) ونصره بن محمد شيخ ابن ماجه ، متكلم فيه .

ورواه الترمذي موقوفاً عن ابن عمر (٣٣٢/٤) رقم (٢٠٣٢) . وقال : حسن غريب .

● أيها الناس :

من الذي نادى بحقوق الإنسان ، من الذي طبق حقوق الإنسان على واقع الحياة .

هل جاءت المنظمات العالمية بحقوق الإنسان ؟ .

هل طبقت هذه المنظمات العالمية مبادئ حقوق الإنسان ؟ .

لا والله ، فهؤلاء هم الذين ذبحوا الإنسان ، قتلوا الإنسان ، سجنوا الإنسان .

أما محمد ﷺ فقد أعلن حقوق الإنسان ، واحترام الإنسان ، وأعلن أن الله مع الإنسان ، ما دام هذا الإنسان عابداً لله - عز وجل - .

- نزل النبي ﷺ ، ثم أتى إلى الجبل فوقف من بعد صلاة الظهر إلى صلاة المغرب باكياً ، مستغفراً ، متواضعاً لله تبارك وتعالى .

وقف هناك ، والبشرية كلها تنظر إليه ، وتسمع كلامه ، لأن البشرية تعلم أنه ﷺ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم، الآية: ٤، ٣] .

وقضايا عرفات أيها الإخوة طويلة طويلة ، ومعاني حجة النبي ﷺ كثيرة ، لكننا نبحت في هذا المقام عن المعاني الخفية لبعض هذه القضايا .

يذهب عليه الصلاة والسلام ليرمي الجمار ، وفي ذلك كثير من المعاني منها :

أولاً : أنك بهذه الحصيات تعلن انتصارك على الشيطان ، وتعلن أنك عبد لله ، تنفذ أوامره ، حتى وإن جهلت حكمة هذا الأمر ، وتعلن كذلك أن المعركة باقية بين الحق والباطل .

إن الذين يرمون الجمرات يعلنون صدقهم ، وإخلاصهم ، وعبوديتهم لله تبارك وتعالى .

أما عبيد الأغنية ، والكأس ، والسهرات الحمراء ، فلا يعرفون رمي الجمرات ، ولا يعرفون الوقوف بعرفات ، ولا يعرفون الطواف بالبيت العتيق .

ثائبًا: وفي رمي الجمرات أيضًا ، انتصار الإنسان على الهوى والتخلص من عبودية غير الله تبارك وتعالى .

- وصل النبي ﷺ إلى البيت ليطوف حوله ، واستلم الحجر ، وأتته ذكريات عند استلام الحجر ، فانهارت دموعه كالمنطر ، فالتفت إليه عمر وقال : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : «هنا تسكب العبرات يا عمر»^(١).

تذكرت والذكرى تهيجُ على الفتى

ومن عادة المحزون أن يتذكرا

فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، ما أطهرك ، ما أعظمك .

نسبينا في ودادك كل غالٍ

فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتكم ويكفي

لنا شرفٌ نلامٌ وما علينا

ولما نلقكم لكنَّ شوقاً

يذكرنا فكيف إذا التقينا؟

تسلى الناسُ بالدنيا وإنا

لعمرُ الله بعدك ما سلينا

● عباد الله :

«من ذهب يحج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢) ، تماماً كيوم ولدته أمه ، مبرءاً من الذنوب والمعاصي والخطايا .

كانت قريش تقف في مزدلفة ، والناس يقفون في عرفات ، فأنزل الله تبارك

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٨٢/٢) رقم (٢٩٤٥) وفي إسناده محمد بن عون الخراساني ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١/٢) ، ومسلم (٩٨٣/٢ ، ٩٨٤) رقم (١٣٥٠).

وتعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] اصعدوا مع الناس ، وقفوا مع الناس ، لا تميز ، ولا تفرق ، وإنما وحدة واجتماع .
- إن يوم عرفة هو يوم تحطيم الطاغوت ، وإظهار لقوة لا إله إلا الله . أيها المسلمون .. إخوة الإسلام .

- إن الحج ليس فرصة للمظاهرات ، ولا للشغب ، ولا لزعة الأمن ، وإن من يفعل هذا مجرم يريد بالبلاذ والعباد سوءاً . الحج هدوء وسكينة ودموع وخشوع ، الحج توجه إلى الحي القيوم ، الحج أن نصل القلوب ب الله - عز وجل - وأن نعلن وحدتنا وتضامنا وتأخينا .

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الانفال: ٦٣] .

هذه بعض معاني الحج ، ولكن من ذهب إلى هناك ، فسوف يعيشها حية في الليل والنهار .

- تقبل الله من الحجيج حجهم ، وسمع دعاءهم ، وشكر سعيهم ، أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

● أما بعد :

هناك للعلماء نكات وتعليقات وعجائب في حجة النبي ﷺ ، أحببت أن أذكر بعضاً منها في هذه الخطبة .

فمن عجائب حجته ﷺ ، أنه خطب في أكثر من مائة ألف حاج ، غير النساء والأطفال ، ومع أنه لم يكن عنده مكبر للصوت ، ولم يكن يتكلم في مكرفون ، إلا أن الله تبارك وتعالى أسمعهم جميعاً وهم في أماكنهم ، نقل لهم الصوت حياً على الهواء ، كأنه بجانبهم يتحدث إليهم ويخاطبهم .

ومن الطرائف في حجة النبي ﷺ ، أنه لما أتى لينحر الإبل ، وقد ساق معه مائة ناقة ، ليفدى بها جده إسماعيل ﷺ ، فأخذ الحربة لينحرها - وهو الرجل الذي يعرف المواقف كلها ، في الحرب تجده في مقدمة الصفوف ، وفي السلم من أعظم المسالمين وعند الصلاة خاشع قانت ، وعند الخصومات عادل مقسط ، وفي السياسة قائد محنك ، وعند الصدقة جواد كريم ، وفي بيته أب رحيم قريب من القلوب .

أخذ ﷺ الحربة ، وتقدم إلى الإبل ليذبحها ، فأخذت تتسابق إليه أيتها ينحر قبل !! سبحان الله ، حتى النوق العجماء ، تحب الموت وتتسابق عليه ، إذا كان من يديه ﷺ . نعم ، إنها المحبة الصادقة التي فطرها الله في القلوب له ﷺ ، الجمال تحبه ، والطيور في السماء تحبه ، وأعواد المنبر تحن إليه وتبكي لفراقه . عند البخاري ، أنه ﷺ ترك منبره الأول لمنبر جديد ، فبكى المنبر الأول (١) .

(١) أخرجه البخاري (٤/١٧٣) .

لا إله إلا الله ، أتبكي أعواد الخشب . . نعم ، إذا كان محمد ﷺ هو المفارق .

تسابت إليه الإبل ، كل جمل يقدم نحره و صدره ، فأخذ ﷺ يقول : « بسم الله » ، فنحر ثلاثاً وستين ، ثم توقف ، لماذا لم يكمل المائة ، لأن عمره ثلاث وستون ، ثم يموت كما يموت الناس ، ويذهب كما يذهب الناس ، ثم أعطى الحربة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فكمل المائة ، فعرف كبار الصحابة أنه صلوات الله لن يتجاوز هذا العدد من السنين ، وأنه سيموت ، فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ومن نكات حجته صلوات الله أنه قال في يوم النحر لأصحابه : «علي لا أحج بعد حجتي هذه » (١) فعرف الصحابة أنه يودعهم ، فارتفع البكاء والضجيج ، وكثر التحيب ، وبالفعل ما رأوه بعدها أبداً .

أما نحن فسوف نراه إن شاء الله - تعالى - سوف يراه حملة السنة الصادقون ، سوف يراه أتباعه المخلصون سوف يراه تلاميذه الذين كانوا يحرصون على تعاليمه ، والذين لم يقدموا على هديه هدياً ، ولم يرضوا بغير سبيله سبيلاً . أما المجرمون والفسقة الذين أعرضوا عن هديه ، وسلخوا غير سبيله ، فإنهم لا يذوقون من يده شربة واحدة ، وسيقول لهم : سَحَقًا سَحَقًا . نسأل الله أن يسقينا من حوضه شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً .

● عباد الله :

ومما يتصل بانقضاء أجله صلوات الله وعلامات ذلك ، أنه كان في عرفة على ناقته ، يدعو رافعاً يديه إلى السماء ، ثم توقف عن الدعاء وهو يبكي ، وإذا

(١) أخرجه مسلم (٢/٩٤٣) رقم (١٢٩٧) .

بجبريل ينزل عليه من السماء بقوله - سبحانه - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣].

ففهم كبار الصحابة من ذلك أن أجل رسول الله ﷺ قد اقترب ، وأنه قد دنا موعد الفراق ، فبكوا وأبكوا .

ومن طرائف حجه ﷺ أيضاً : أنه لما أراد أن يحلق رأسه ، قال لمعمر بن عبد الله : يا معمر ، ألدريك موسى ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : سم الله واحلق رأسي ، فأعطاه ميمنة رأسه الشريف ، الذي ما عرف إلا العدل والحق والوفاء ، فأخذ يحلق رأسه وهو يتسم ﷺ ويقول لمعمر : «أما رأيت رسول الله ﷺ ، أعطاك رأسه بين يديك ، والموسى في يديك» قال معمر : يا رسول الله ، والله إنها من نعم الله أن أحلق رأسك (١) . فلما انتهى النصف الأول قال لأصحابه : «اقتسموه بينكم» ، فكادوا يقتتلون على شعره ، كل منهم يريد أن يحصل ولو على شعرة واحدة ، وبعضهم ما حصل إلا على نصف شعرة .

ليس عندنا في الإسلام كهنوت ، وليس عندنا في الإسلام عبودية لغير الله - تعالى - ولكن عندنا حب صادق لهذا النبي ، الذي أنقذنا من الضلالة وهدانا إلى النور .

ثم قال لمعمر : «احلق النصف الآخر» ، فحلق النصف الآخر ، فقال ﷺ : «أين أبو طلحة الأنصاري؟» فأتى أبو طلحة ، قال له النبي ﷺ : «خذ هذا الشعر كله» . فبكى أبو طلحة من الفرح (٢) .

طُفِحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنْبِي

مِنْ هَوْلٍ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٠) ، والطبراني . قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٦٤) : فيه عبد الرحمن بن عقبة مولى معمر ، ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يوثق ، ولم يجرح .

(٢) رواية إعطاء النبي ﷺ نصف شعره الأيسر لأبي طلحة أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ٩٤٧) رقم (١٣٠٥) .

● عباد الله :

تلكم بعض معاني الحج وذكرياته ، قصدت بها تذكير نفسي وإياكم بهذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

فيا من قصد بيت الله العتيق ، أخلص نيتك ، وطهر كسبك ، من الحرام ، فإن الله طيب ، لا يقبل إلا الحلال الطيب .
إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلَهُ سَحَتْ

فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّجْتَ الْعَيْرَ

اجعل رفقتك من الصالحين الطيبين . . قف هناك في عرفات خاشعاً مستغفراً ضارعاً إلى الله تعالى ، فهو يوم يعتق الله فيه عباده من النار .
يا سائرين إلى البيت العتيق لقد

سَرَّمْ جَسُومًا وَسَرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عَذْرِ وَقَدْ رَاحُوا

وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عَذْرِ كَمَنْ رَاحَا

● عباد الله :

صلوا وسلموا - رحمكم الله - على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الاحزاب ، الآية : ٥٦] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» (١).

اللهم صلِّ على نبيك وحيبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

■ الله... الله.. الصلاة ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ، ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدهُ الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المسلمون :

يقول ﷺ : كما في الصحيحين : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١).

أمره الله أن يقاتل هذا الإنسان ، حتى يسجد لله ، فيوم يتهاون الإنسان بالصلاة ، أو يترك الصلاة ، أو يتنكر للصلاة ، أو لا يتعرف على بيت الله ، يصبح هذا الإنسان لا قداسة له ، ولا حرمة له ، ولا مكانة ولا وزن .

هذا الإنسان حين يترك الصلاة ، يكون دمه رخيصاً لا وزن له ، يسفك دمه ،

(١) أخرجه البخاري (١١/١٢) ، ومسلم (٥٢/١) رقم (٢١) .

تهان كرامته ، يقطع رأسه بالسيف ، قيل حدًا ، وقيل كفرًا وهو الصحيح .
يقول الله تعالى عن جيل من الأجيال تهاونوا بالصلاة : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية : ٥٩] .

قال أحد السلف : أما إنهم ما تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها .

أي إسلام لإنسان يترك الصلاة ، أي دين له ، ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، لرجل تؤخره تجارته ، أو وظيفته ، أو عمله ، أو منصبه ، أو اجتماعه عن الصلاة ، ثم يتبجح بعد ذلك مدعيًا أنه مسلم !! ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة النساء ، الآية : ١٤٢]

إنهم يصلون . . لكن صلاة العصر مع غروب الشمس ، وصلاة الظهر في الساعة الثانية ، وصلاة المغرب مع العشاء ، وصلاة الفجر مع طلوع الشمس !!
فأين الإسلام ، وأين لا إله إلا الله ، وأين التحمس للدين !؟ .

حضرت رسول الله ﷺ ، معركة الأحزاب ، قبل أن تنزل صلاة الخوف ، فقام يقاتل المشركين ، دمه يسيل على الأرض في مخاصمة لأعداء الله ، فنسي صلاة العصر حتى غربت الشمس ، ما نسيها لأنه كان في لهو أو لعب حاشا وكلا ، بل نسيها من احتدام القتال .، اليهود ، المشركون . . المنافقون . . عملاء الصهيونية العالمية . . أنسوه صلاة العصر ، فلما غربت الشمس قال ﷺ : « ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى » (١) . ثم قام فصلاها ، فأنزل الله - تعالى - صلاة الخوف ، يصلها المسلم أثناء القتال ، يصلها الذي يقود الدبابة ، يصلها الذي يحمل الرشاش ، يصلها المريض على سريره ، لا يعذر في تركها أحد .

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣/٣) ، ومسلم (٤٣٦/١) رقم (٦٢٧) .

إن تأخير الصلاة عن وقتها ، معناه النفاق الصريح الذي وقع فيه كثير من الناس ، إلا من رحم ربك ، يقول ﷺ وهو في سكرات الموت : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم »^(١) فأبى دين بلا صلاة ، وما معنى الانتساب للإسلام بغير صلاة ، يقولون : مسلمون ، ولكن لا نصلي ، أو نتهاون بالصلاة ، أو ننقر الصلاة ، فأين الإسلام ؟ وأين الصدق مع الله ؟ وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال ، معهم حزم من حطب ، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم »^(٢).

وعند أحمد : «لولا ما في البيوت من النساء والذرية ، لأقمت صلاة العشاء ، وأمرت فتياتي ، يحرقون ما في البيوت بالنار »^(٣) لماذا ؟ لأنهم أصبحوا في عداد المنافقين ، يتذرعون بالإسلام ، ولكن لا يصلون الجماعة مع الناس ، ويدعون لا إله إلا الله ثم يخرجون الصلاة عن أوقاتها . يسأل عليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال فيجيب : «الصلاة لوقتها»^(٤) . ويقول أيضاً : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر»^(٥) . دمه مسفوك بسيف الشريعة ، خارج من الملة ، لا طهر له ، لا قداسة ، لا حرمة ، لأنه حارب الله ولم يعظم شعائره . ويقول ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »^(٦).

- (١) أخرجه أحمد (٢٩٠/٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١) ، وابن ماجه (٥١٩/١) رقم (١٦٢٥) ، عن أم سلمة . في الزوائد : إسناده صحيح علي شرط الشيخين .
 (٢) أخرجه البخاري (١٥٨/١) . ومسلم (٤٥١/١) رقم (٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣) .
 (٣) أخرجه أحمد (٣٦/٢) وفي إسناده : نجیح أبو معشر السندي قال ابن حجر في التقریب (٢/٢٩٨) : ضعيف من السادسة ، أسن واختلط .
 (٤) أخرجه مسلم (١٩/١) رقم (٨٥) .
 (٥) أخرجه النسائي (٢٣١/١) رقم (٤٦٣) ، والترمذي (١٥/٥) رقم (٢٦٢١) وقال : حديث حسن صحيح غريب . وابن ماجه (٣٤٢/١) رقم (١٠٧٩) ، وأحمد (٣٤٦/٥ ، ٣٥٥) . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ، رقم (٤١٤٣) .
 (٦) أخرجه مسلم (٨٨/١) رقم (٨٢) .

إنه لا عذر لأحد في ترك الصلاة مع الجماعة ، ما دام صحيحاً سليماً يقول ابن مسعود رضي الله عنه : «ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» (١)

مرض أحد الصالحين من التابعين ، اسمه ثابت بن عامر بن عبد الله بن الزبير ، فسمع أذان المغرب ، فقال لأبنائه : احملوني إلى المسجد ، قالوا : أنت مريض ، وقد عذرك الله . قال : لا إله إلا الله !! أسمع حي على الصلاة . حي على الفلاح ثم لا أجب ! والله لتحملوني إلى المسجد ، فحملوه إلى المسجد ، ولما كان في السجدة الأخيرة من صلاة المغرب ، قبض الله روحه .

قال بعض أهل العلم : كان هذا الرجل إذا صلى الفجر ، قال : اللهم إني أسألك الميتة الحسنة ، قيل له : وما الميتة الحسنة ، قال : أن يتوفاني ربي وأنا ساجد .

نعم هذه هي الميتة الحسنة ، أن يتوفاك ربك وأنت في صلاة ، أو في جهاد في سبيل الله ، أو على طهارة وأنت تقرأ القرآن ، أو في طلب العلم ، أو في مجالس الذكر .

والميتة القبيحة : أن يتوفاك الله وأنت تستمع إلى الأغنية ، أو في سهرة خليعة ، أو على كأس الخمر ، أو في سفر إلى الفاحشة ، أو في مجالس الغيبة ، هذه هي الميتة القبيحة التي تعوذ منها الصالحون .

سعید بن المسيب إمام التابعين ، كان يأتي في ظلام الليل ، إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إخوانه : خذ سراجاً لينير لك الطريق في ظلام الليل فقال يكفيني نور الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (سورة النور ، الآية : ٤٠) .

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (٢) . وهل في القيامة ظلم؟ وهل في القيامة ليل؟ إي والله . . ليل

(١) أخرجه مسلم (٤٥٣/١) رقم (٦٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٤/١) رقم (٥٦١) ، والترمذي (٤٣٥/١) رقم (٢٢٣) ، وابن ماجه (٢٥٦/١) رقم (٧٨١) . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ، رقم (٢٨٢٣) .

أدهى من الليل ، وظلمة أدهى من الظلمة ، يجعلها الله لأعداء المساجد ، وللذين انحرفوا عن بيوت الله ، تظلم عليهم طرقاتهم وسبلهم يقولون للمؤمنين يوم القيامة : ﴿ انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ { الحديد : ١٣ } .

كان لسعيد بن المسيب عين واحدة ، ذهب الأخرى ، قالوا من كثرة بكائه في السحر ، خشية الله ، وكان يذهب بهذه العين الواحدة في ظلام الليل إلى المسجد ، وقال في سكرات الموت وهو يتبسم : والله ما أذن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد ، قبل الأذان تجد سعيد بن المسيب في المسجد .

لكن أتى أناس ، أكلوا نعم الله ، وتمرغوا في فضل الله ، ولكنهم نسوا حقه وأهملوا شعائره ، فأصبحت الصلاة في حياتهم آخر شيء يفكرون فيه ، وإلى الله المشتكى .

ودّع عمر رضي الله عنه وأرضاه ، سعداً إلى القادسية ، ثم قال له : يا سعد ، أوصي الجيش بالصلاة ، الله الله في الصلاة ، فإنكم إنما تهزمون بالمعاصي ، فأوصهم بالصلاة .

كان الصحابة إذا تلاقى الصفوف ، والتحمت الأبدان ، وأشرعت الرماح ، وتكسرت السيوف ، وتنزلت الرؤوس من على الأكتاف ، تركوا الصفوف لطائفة ، وقامت طائفة أخرى تصلى .

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم

والحرب تسقي الأرض جاماً أحمر

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا

في مسمع الروح الأمين فكبروا

حضر أجدادنا حصار كابل - عاصمة أفغانستان - فطوقوها من كل جهة ،

ولبسوا أكفانهم ، لأنهم يريدون ؛ إما الحياة في عز ، وإما الموت في شرف .

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٥٢].

هذه هي غاية المسلم وهذا هو مراده.

فإِذَا حَيَاةَ نَظْمِ الْوَحْيِ سِيرَهَا

وإِذَا فَمُوتٌ لَا يَسِرُّ الْأَعَادِي

إِذَا نَحْنُ أَدْخَلْنَا وَأَنْتَ إِمَامُنَا

كَفَى بِالْمَطَايَا طَيْبَ ذِكْرَاكَ حَادِي

وقف أجدادنا يحاصرون كابل ، ولما صلوا الظهر ، قال القائد العظيم قتيبة بن مسلم ، وقد كان قبل المعركة يبكي ويقول : اللهم انصرنا ، فإن النصر من عندك ، فلما وقف بعد صلاة الظهر ، وكان جيشه يقدر بمائة ألف مقاتل ، قال : ابحثوا لي عن الرجل الصالح محمد بن واسع ، أين هو محمد بن واسع؟ .

لقد حانت ساعة الصفر ، ساعة بيع الأرواح ، ساعة تفتح فيها أبواب الجنان ، ساعة حضور الملائكة ، ولا زال القائد يقول : ابحثوا لي عن محمد بن واسع ، فالتمسوه ، فوجدوه يبكي ، وقد اتكأ على رمحه ، ورفع أصبعه إلى السماء يقول: يا حي يا قيوم . فأخبروا قتيبة بذلك ، فدمعت عيناه ، ثم قال: والذي نفسي بيده ، لأصبع محمد بن واسع خير عندي من مائة ألف سيف شهير ، ومن مائة ألف مقاتل طيرير ، وابتدأت المعركة ، وحمي الوطيس ، وانتصر المسلمون ، ولم يصلوا العصر إلا في داخل كابل .

إنها الصلاة . . إنها حياة القلوب . . إنها الميثاق . . إنها العهد بين الإنسان وبين ربه .

ويوم يتركها المرء ، أو يتهاون بها ، يدركه الخذلان ، وتناهى اللعنة ، وينقطع عنه مدد السماء .

● عباد الله :

إن من أسباب السعادة ، وحفظ الله لنا ، ودوام رغد العيش الذي نعيشه ، أن نحافظ على عهد الله في الصلاة ، وأن نتواصى بها ، وأن نأمر بها أبناءنا .
يقول لقمان عليه السلام لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ ﴾ [سورة لقمان ، الآية : ١٧] .

فهل من مجيب ؟ وهل من مسارع إلى الصلاة حيث ينادى بهن ؟ وهل من حريص على تلکم الشعيرة العظيمة ؟ إنها الحياة . . ولا حياة بغير صلاة .

لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة الفجر ، فاتته ركعة واحدة ، غلبه الدم ، فحمل على أكتاف الرجال ، ووصل إلى بيته فلما أفاق قال : هل صليت ؟ قالوا : بقيت عليك ركعة ، فقام يصلي . . فأغمي عليه ، ثم عقد الصلاة ، فأغمي عليه ، ثم قام يصلي . . فأغمي عليه ، ثم أتم الركعة وقال : الحمد لله الذي أعانني على الصلاة .

فالله الله في الصلاة . . من حافظ عليها ، حفظه الله ، ومن ضيعها ، ضيعه الله ، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة . ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥] .

فالصلاة الصلاة عباد الله ، في أول وقتها ؛ بخشوعها ، بخضوعها ، بأركانها ، وواجباتها ، وسننها ، لعل الله أن يحفظنا ويرعانا كما حافظنا عليها وعظمتناها .
فالزم يديك بحبل الله معصماً

فإنه الركن إن خانتك أركان

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، ولجميع المسلمين فاستغفروه ، وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على
 إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .
 أيها الناس :

يوم الجمعة أفضل الأيام عندنا أهل الإسلام ، يوم الجمعة عيد لنا ، يوم الجمعة
 تاريخ ، وله قصة من أعظم القصص ، هذا اليوم خلق الله فيه آدم ، وفي هذا اليوم ،
 أدخله الله الجنة ، وفي هذا اليوم أخرجه الله منها ، وفيه تقوم الساعة ^(١) .

وفي هذا اليوم كانت ساعة النزال بين موسى عليه السلام ، وبين فرعون عليه اللعنة ،
 يوم الصراع العالمي بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر ، بين الهدى والضلال .

يوم جاء موسى بالتوحيد ، وليس معه إلا عصاه ، وجاء فرعون بالصلوة
 والصولجان ، ومعه دجاجلة الدنيا ، وسحرة الدنيا . ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ
 يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [سورة طه ، الآية : ٥٩] هذا هو يوم الجمعة في التاريخ .

ولكن ما هو واجب هذا اليوم العظيم علينا ؟ .

إن من المؤسف أن كثيراً من الناس ، جعلوا هذا اليوم موسماً للزهوة
 والخروج ، بحيث يضيعون في طريقهم صلاة الجمعة ، فلا يحضرون الخطبة ، ولا
 يؤدون الصلاة ، ولا يتهيئون لهذا اليوم العظيم .

إن الملائكة تقف من الصباح على أبواب المساجد ؛ تسجل الأول فالأول ،
 فإذا صعد الخطيب على المنبر ، طوت الصحف ، وأنصتت لسماع الخطبة .

أما الإنسان فيجعله يوماً للهو واللعب ، فيخرج ويترك صلاة الجمعة ، ويبارز
 ربه - عز وجل - بالمحاربة .

(١) لفظ الحديث «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ،
 ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» أخرجه مسلم (٥٨٥/٢) حديث رقم (٨٥٤) .

نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، على أن المسافر إذا حضر صلاة الجمعة في المدينة ، فعليه أن يؤديها في المسجد .

المسافر . . وهو في حال السفر . . ومظنة المشقة . . إذا نزل في مدينة تقام فيها الجمعة ، عليه وجوباً أن يحضر صلاة الجمعة ، ليستمع إلى الخطبة ، ويعيش مع المسلمين مشاعرهم وأحاسيسهم .

● أيها المسلمون :

يوم الجمعة له علينا واجبات وحقوق منها :

الاغتسال والتطيب : وقد أوجب غسل الجمعة بعض أهل العلم والجمهور على أنه سنة مؤكدة ، وذلك ليتهاً العبد للقاء الله ؛ لأنه عيد ، وهو يذكر بيوم العرض الأكبر على الله تعالى .

وكما أنه ينبغي أن نتجمل بالاغتسال والطيب واللباس الحسن ، فكذلك ينبغي أن نتجمل بالتحلي بالأخلاق الفاضلة ، كالصدق والأمانة والحلم والمروءة ، وأن نتخلى عن الأخلاق الذميمة ؛ كالحقد والحسد والغيبة والنميمة وغيرها .

فليس في القيامة ثياب ، ولا بشوت ، ولا سيارات ، ولا كل هذه الزينة الظاهرة ، وإنما ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٨] .

فالسجل مكشوف . . والبدن عار . . والضمائر معروضة . . وكتابتك مفتوح أمام عينيك ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٤] .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٤] .

﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيئوا للعرض الأكبر على الله»^(١) .

(١) ذكره الترمذي في سننه (٥٠٠ / ٥) .

فما الفائدة إذا كانت الظواهر جميلة ، والبواطن خراب !! .
لبسنا واشياً من كل حسن
فما سترت ملابسنا الخطايا
وتلك قصورنا بالعمربات
وتلك قبورنا أضحت خلايا

ومن حقوقها كذلك : التبكير إلى الصلاة ، وإتيان المسجد قبل الأذان فليس من المعقول أن يدخل الخطيب المسجد قبل الأذان ، ثم يأتي المصلون بعده تبعاً .
يأتي المصلون من بيوتهم بعد صعود الخطيب على المنبر !! بل إن المساجد تبقى فيها الأماكن الكثيرة الخالية من المصلين ، وقد أشرف الخطيب على الانتهاء من الخطبة ، حتى إذا ما انتهى من خطبته ، دخل المتخلفون بلا أجور ؛ ليشهدوا الصلاة هكذا مع الناس !! .

فأين الساعة الأولى؟ .. وأين الساعة الثانية؟ .. وأين المبكرون؟

إن قوماً لا زالوا يتأخرون ، حتى يؤخرهم الله فيمن عنده ، وإن قوماً لا زالوا يتقدمون ، حتى يقدمهم الله فيمن عنده .

وإن بعض الغوغاء ممن لا يفهمون أحكام الله ؛ يبيعون ويشترون بعد الأذان الثاني وصعود الخطيب ، أي بيع لهم ، لا أربح الله تجارتهم ! .

الملائكة تنصت للخطبة ، والسماء مفتوحة تستقبل الدعاء ، وخطباء الأمة الإسلامية الخالدة على المنابر ، وقلوب الناس متجهة لسماع الخطيب ، والسكينة تغشى الناس ، والرحمة تحف بهم ، والله يباهي بهم من في السماء .

وهؤلاء اللاهون يبيعون ويشترون ، ويجرحون مشاعر المسلمين ، ويتعدون على حرمة صلاة الجمعة .

فإذا أذن المؤذن ، فلا بيع ، ولا شراء ، ولا تجارة ، ولا دنيا ، إنما توجه إلى

الله تعالى ، وإنصات لأحكامه ، بل إن الجالس ليس له أن يكلم من بجانبه ولا أن يسلم عليه ، قال بعض العلماء : وليس له بعد دخول الخطيب ، وبدء الخطبة أن يكلمه ، ولو بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»^(١) وزاد بعضهم : «ومن لغا فلا جمعة له»^(٢) وفي الصحيح : «من مس الحصى فقد لغا»^(٣) .

فعليكم بالسكينة أيها الناس ، لا تشغلوا باللعب بالسواك ، ولا بتهيئة الغترة ، ولا بمسك اللحية ، وإنما خشوع وسكينة ، وتوجه إلى الله الواحد الأحد .

وقد بين النبي ﷺ فضل ذلك فقال : «من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة ، فاستمع وأنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام»^(٤) .

ومن معالم الجمعة كذلك : قراءة سورة الكهف ، فقد صح عند الدارقطني والبيهقي : «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(٥) .

وفي لفظ : «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة ، أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق»^(٦) .

● أيها الناس :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

(١) أخرجه البخاري (٢٢٤/١) ، ومسلم (٥٨٣/٢) كتاب الجمعة ، حديث رقم (٨٥١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٦/١ ، ٢٧٧) رقم (١٠٥١) عن علي رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٥٨٨/٢) رقم (٨٥٧) .

(٤) أخرجه مسلم (٥٨٧/٢ ، ٥٨٨) رقم (٨٥٧) .

(٥) أخرجه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد ، وصححه الألباني كما في الإرواء رقم (٢٢٦) .

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب ، وصححه الألباني كما في الإرواء رقم (٦٢٦) وانظر صحيح الجامع رقم (٦٤٧٠) ، (٦٤٧١) .

عبادة الرسول ﷺ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

● أيها الناس :

إن الأمم والشعوب والدول ، تفتخر بعظماؤها ، وتبني بهم أمجادها وتؤسس التاريخ لمنقذيتها ، وما علمنا ، ولا عرفنا، ولا رأينا، رجلاً أسدى لبني جنسه ولأمته من المجد والعطاء والتاريخ ، أعظم ولا أجل من رسول الله ﷺ .

أما ترى ما يفعل الإنجليز والألمان والفرنسيون والأمريكان بعظماؤهم، وعظماؤهم سفكة للدماء، ملاحدة وخونة، بنوا مجدهم على الجماجم والأشلاء، وسقوا زروع تاريخهم بدماء الضحايا والأبرياء، قتلوا الأطفال والنساء، وحاربوا الفضيلة والشرف، ونشروا العهر والرذيلة بين الشعوب

فحرام حرام، أن يذكر رسول الله ﷺ مع هؤلاء، أو أن يجعل في

مصافهم، أو يقارن بهم، إنه ﷺ من نوع آخر، إنه نبي وكفى، إنه رسول فحسب، تلقى تعاليمه من ربه تبارك وتعالى .

والعجيب أنهم مع تعظيمهم لهؤلاء الجبناء، الأذلاء، الرخصاء، يذرون على نبينا ﷺ .

غريب هذا الأمر، وعجيب هذا التصرف .

إِذَا عَيْرَ الطَّائِي بِالْبَخْلِ مَادِرٌ * * * وَعَيْرَ قَسًا بِالْفَهَاةِ بِاِقْلُ
وَقَالَ السُّهَّا لِلشَّمْسِ أَنْتَ كَسِيفَةٌ * * * وَقَالَ الدُّجَا لِلْبَدْرِ وَجْهُكَ حَائِلُ
فِيَا مَوْتَ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ * * * وَيَا نَفْسُ جُدِّي إِنْ دَهْرَكَ هَا زِلُ

الرسول ﷺ هو أعظم الناس، وإذا سمعت عن عظيم فاعلم أنك إذا رأيته كان أقل مما سمعت، إلا الرسول ﷺ إنه أعظم وأعظم مما سمعت عنه .

واليوم نتحدث عن جانب العبودية في حياته ﷺ ، كيف عاش عبداً؟ ما هي عبادته ﷺ؟ كيف كانت صلاته؟ كيف كان يصوم؟ ما هو ذكره لله تبارك وتعالى؟

الله - عز وجل - يمدحه في القرآن بالعبودية في أشرف أحواله ﷺ فيقول عنه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

ويقول عنه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] .

ويقول أيضاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

محمد ﷺ أعبد الناس لله ، وأشدهم له خشية .

يقول الله له: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] .

يعني الموت لا كما قال المنحرفون: اعبد ربك حتى تتيقن بوحدانيته ثم اترك

العبادة، وقد كذبوا على الله، إنما المعنى: اعبد ربك في الشتاء والصيف، في الحُلِّ والترحال، في الصحة والسقم، في العنى والفقر، حتى يأتيك الموت .

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٥] .

يا أيها المزمل قم لإصلاح الإنسان، يا أيها المتدثر في لحافه، قم لهداية البشرية، يا أيها المزمل في فراشه، قم لهداية الإنسانية، فقام ﷺ ثلاثًا وعشرين سنة، ما نام ولا استراح، أعطى الإسلام دمه ودموعه، أعطى الدعوة ماله وكيانه، أعطى الإسلام ليله ونهاره، فما نام ولا فتر ولا هدا، حتى أقام لا إله إلا الله .

يأتيه الحزن والهم والغم، فيقول: «أرحنا بها يا بلال»^(١) أي: بالصلاة، تأتيه المصائب والكوارث فيقول: «أرحنا بها يا بلال» تأتيه الفواجع والزلازل فيقول: «أرحنا بها يا بلال» يموت أبناؤه وأحبابه وأصحابه، ويقتل جنوده، ويهزم جيشه، فيقول: «أرحنا بها يا بلال» .

يقول ﷺ: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة»^(٢) ما كان يرتاح إلا إذا قام يصلي، إذا قال الله أكبر، كبر بصوت تكاد تنخلع لصوته القلوب، فيضع يده على صدره فيكون الله أعظم من كل شيء؛ لأنه الكبير - سبحانه وتعالى - فيقف متواضعًا متبتلاً متخشعًا متذللاً أمام الواحد الأحد .

يقول عبد الله بن الشيخير: دخلت على رسول الله ﷺ فوجدته يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء^(٣) والمرجل: القدر إذا استجمع غليانًا .

(١) أخرجه أبو داود (٤ / ٢٩٦) ، رقم (٤٩٨٥ ، ٤٩٨٦) ، وأحمد في المسند (٥ / ٣٦٤ ، ٣٧١) ، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢) .

(٢) أخرجه النسائي (٧ / ٦١ ، ٦٢) ، رقم (٣٩٣٩ ، ٣٩٤٠) ، وأحمد في المسند (٣ / ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) ، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٩٨) .

(٣) أخرجه أبو داود (١ / ٢٣٨) رقم (٩٠٤) ، والنسائي (٣ / ١٣) رقم (١٢١٤) وأحمد في المسند (٤ / ٢٥) ، (٢٦) .

ويقول حذيفة: قام صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الليل بعد العشاء، قال: فدخلت معه في الصلاة فافتتح سورة البقرة، فقلت: يسجد عند المائة، فختمها، فافتتح سورة النساء فاختتمها، فافتتح سورة آل عمران ثم أختتمها، لا يمرّ بآية رحمة إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا استعاذ بالله، ولا بتسييح إلا سبح، قال: ثم ركع، فكان ركوعه قريباً من قيامه، ثم قام فكان قيامه قريباً من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده قريباً من قيامه وركوعه، ثم صلى الركعة الثانية قريباً من الأولى^(١) ما يقارب الست ساعات أو السبع ساعات مع الفقر والجوع، ومع الجهاد في النهار، ومع الزهد، ومع الدعوة إلى الله، ومع تربية الأطفال، ومع شئون البيت، ست أو سبع ساعات وهو يتبتل إلى الله، تفطرت قدماءه، وتشققت رجلاه فتقول له زوجته عائشة رضي الله عنها يا رسول الله كيف تفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢).

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطال حتى هممت بأمر سوء . قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه^(٣) .

الرسول صلى الله عليه وسلم قام ليلة من الليالي فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ثم بكى، ثم قال: «ويل لمن لم تدركه رحمة الله، ويل لمن لم تدركه رحمة الله، ويل لمن لم تدركه رحمة الله» .

يسجد صلى الله عليه وسلم السجدة الواحدة مقدار ما يقرأ الواحد منا خمسين آية، ويركع الركعة الواحدة مقدار ما يقرأ القارئ منا خمسين آية، هذا في صلاة الليل، يدعو ويبكي إلى الصباح، حتى تسقط بردته من على كتفيه، كما في ليلة بدر، يناجي ربه، ويقرأ كتابه، ويتبتل إلى الله ؛ لأن العباد أقرب باب إلى الله .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٥٣٦ ، ٥٣٧) رقم (٧٧٢) ، وأحمد في المسند (٥ / ٣٨٤ ، ٣٩٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٢ / ٤٤) ، ومسلم (٤ / ٢١٧١) ، رقم (٢٨١٩ ، ٢٨٢٠) .

(٣) أخرجه مسلم (١ / ٥٣٧) رقم (٧٧٣) .

ونحن أيها المسلمون في سعد ورغد، في عيش رضيٍّ ، في أمن وصحة ،
الموائد الشهية ، الفلل البهية ، المراكب الوطية ، ومع ذلك نترك صلاة الجماعة إلا
من رحم الله ، أي أمة نحن ، أي كيان نحن ، أي قلوب نحملها ، إذا لم نقم
بالصلوات الخمس كما أرادها الله - عز وجل -

قال بلال كما روى ابن جرير وابن مردويه : مررت على رسول الله ﷺ قبل
صلاة الفجر ، فسمعتة يبكي فقلت : ما لك يا رسول الله؟ قال : «أنزلت عليَّ هذه
الليلة آيات ، ويل لمن قرأها ولم يتدبرها» قلت : ما هي يا رسول الله ، فأخذ يقرأها
ويبكي :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ *
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران ١٩٠-١٩١] .

كيف ترقى رقيك الأولياء * * يا سماء ما طاولتها سماءُ
إنما مثلوا صفاتك للناس * * كما مثل النجوم الماءُ
حن جذع إليك وهو جماد * * فعجيب أن يجمد الأحياءُ

كان ﷺ يصوم ، فيواصل الليل بالنهار ثلاثة أيام وأربعة أيام ، لا يأكل شيئاً
فأراد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل فقال : «لا إنكم لستم كهيتي ، إني أبيت
يطعمني ربي ويسقيني»^(١) لا يطعمه طعاماً ، ولا يسقيه شراباً ، إنما حكماً ،
ومعارفاً ، وفتوحات ربانية ، وإلهامات إلهية .

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * * عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به * * ومن حديثك في أعقابها حاد

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣) ، ومسلم (٢ / ٧٧٤) رقم (١١٠٢ ، ١١٠٣) .

يصوم ﷺ في السفر وقد التهب الجو، قال أبو الدرداء رضي الله عنه كنا في شدة الحر حتى والله الذي لا إله إلا هو، إن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة حرارة الشمس، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ، وابن رواحة .

يجلس مع الصحابة، فيقول لابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ عليّ القرآن»، فيندفع يقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك» قال ابن مسعود: فنظرت فإذا عيناه تذرفان^(١)، وفي رواية: فإذا دموعه تسيل على لحيته رضي الله عنه .
بيكي رضي الله عنه تواضعاً لله تبارك وتعالى، وشفقة على هذه الأمة .

قالت عائشة رضي الله عنها استفتت ليلة من الليالي فبحثت عن الرسول صلوات الله عليه، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول:
«اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢) .

● أيها المسلمون:

متى يقدم الإنسان للقبر ما لم يقدم هذه الليالي؟! متى يصلي إذا لم يصل هذه الأيام؟! متى يذكر الله إلا لم يذكر الله في هذه الأوقات؟!
إذا دفن الإنسان فلن يصلي عنه أحد، ولن يصوم عنه أحد، ولن يذكر عنه أحد .

أُتيتُ القبور فناديتُهَا * * * أين المعظمُ والمختقر
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ * * * وماتوا جميعاً ومات الخبر
تسير وتغدو بنات الشرى * * * فتمحو محاسن تلك الصور

(١) أخرجه البخاري (٥ / ١٨٠) .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٣٥٢) رقم (٤٨٦) .

رسول الله ﷺ هو أعبد الخلق لله ، وأشدهم له خشية ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع ذلك أجهد نفسه في العبادة ، في صلاة الليل ، في الذكر ، في تلاوة القرآن ، في التسبيح والتهليل .

فتمسكوا - رحمكم الله - بهديه ، وعضوا على سنته بالنواجذ ، ففي الأثر الإلهي .

لو جاءوني من كل طريق واستفتحوا عليّ من كل باب ، ما فتحت لهم حتى يأتوا خلفك يا محمد .

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

● أيها الناس:

نقل عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، أن الماراً إذا مرّ بهم في السّحر سمع لبيوتهم دويّاً كدوي النحل ، من البكاء وقراءة القرآن والدعاء ، هذا في مدينة رسول الله ﷺ ، دعاءً ، وبكاءً ، ومناجاةً وقت السّحر ، فما هو حالنا مع حالهم ؟! كيف نعيش بالنسبة إليهم ؟ إن تلك التلاوة ، وذاك الدعاء ، وهذا البكاء من خشية الله ، أبدل في بيوتنا - إلا من رحم الله - بالغناء والموسيقى والعود والوتر .

روى ابن أبي حاتم أنه ﷺ : كان يمر في ظلام الليل يتفقد أصحابه ، كيف كانوا يصلون ، كيف كانوا يدعون ، كيف كانوا يبكون ، فسمع عجزواً تقرأ من وراء الباب وتبكي ، عجزو مسنة ، تقرأ قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴾ {العاشية} {تبكي وتعيد الآية وتبكي ، فوضع رأسه على الباب وبكى ﷺ ثم قال : «نعم أتاني ، نعم أتاني» هذه عجزو ضعيفة ، فأين شباب الأمة ، أين أهل القوة والعضلات ، أين أهل البروز والإجادة ؟ .

إن القوي هو القوي في طاعة الله ، وإن المفلح هو السائر في طريق الله ، وإن المتقدم هو المتقدم إلى مرضاة الله ، إذا علم هذا فإنه ﷺ في جانب الذكر كان أكثر الناس ذكراً لله - تبارك وتعالى - نفسه ذكر لله ، وفتواه ذكر لله ، وخطبه ذكر ، وكلامه وليله ونهاره ، وحركاته وسكناته ذكر لله تبارك وتعالى .

قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلوات الله عليه إذا قام من الليل يتهجّد قال: «اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلوات الله عليه حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلوات الله عليه إذا قام من الليل افتتح صلاته:

«اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (٢).

هل سمعتم بعد كلام الله أحسن من هذا الكلام، ما أجمل وقت السحر، يوم تناجي الله، يوم ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأجيبه.

يقول محمد إقبال شاعر الإسلام:

يا رب لا تحرمني أنّة السّحر، يا رب اجعلني من البكائين الخاشعين لك في السحر، يا رب إذا حرمتني جلسة السحر فإن قلبي يقسو ولن يلينه شيء.

● فيا عباد الله:

هذا هو الرسول صلوات الله عليه: في عبادته، في صلاته وصيامه، في قراءته وذكره،

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٤١ ، ٤٢) ومسلم (١ / ٥٣٢ ، ٥٣٣) رقم (٧٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٥٣٤) رقم (٧٧٠).

وهو أسوتكم وقائدكم إلى الجنة، ونجاتكم مرهونة باتباعه، وعقدكم وسيركم إذا لم يكن على سنته، فهو الهلاك والدمار، وهو العار والخسار، في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فيا من أراد الجنة، يا من أراد النجاة: يا من أراد الفلاح، يا من أراد الخير والعدل والسلام، والله ليس لك قدوة، لا زعيم، ولا رائد، ولا مصلح، ولا إمام، ولا عابد، ولا منقذ، ولا معلم، إلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

● أيها الناس:

صلوا وسلموا على من ضوعنا المجلس بذكره ﷺ، فقد أمركم بذلك ربكم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



■ عوامل القوة في حياة المسلمين ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧١، ٧٠ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أيها الناس :

ومما زادني شرفاً وفخراً * * * وكدتُ بأخمصي أظأ الشرياً
 دخولي تحت قولك «يا عبادي» * * * وأن صيرت أحمد لي نبياً

من مبادئنا الأصيلة، ومن تعاليمنا الجليلة، أن نفتخر بهذا الدين، وأن نتشرف بأن جعلنا الله مسلمين، فمن لم يتشرف بالدين ومن لم يفتخر بكونه من المسلمين، ففي قلبه شك وقلّة يقين، يقول الله في محكم التنزيل، مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّهُ لَدِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ { الزخرف : ٤٤ } أي : شرف لك، وشرف لقومك، وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة، فالواجب أن تتشرف بالقرآن، لكونك من أمة القرآن، ومن أمة الإسلام .

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا * * من العناية ركنًا غير مُنهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته * * بأكرم الرُّسل كنا أكرم الأمم
ولذلك يقول جل ذكره: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران: ١٣٩].

قال الأستاذ سيد قطب: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الأعلون سنداً،
والأعلون مبادئاً، والأعلون منهجاً، فمبدؤكم المبدأ الأصيل، وقرآنكم القرآن
الجليل، وسندكم الربُّ الفضيل، فكيف يهن من كان الله سنده، وكيف يهن من
كان الله ربه ومولاه، وكيف يهن من كان رسوله وقدوته محمداً ﷺ وكيف
يهن من كان دينه الإسلام؟! .

ولذلك كان لزاماً علينا أن نفخر ، وأن نشعر بالشرف والجلالة والنبيل، يوم أن
جعلنا الله مسلمين؛ لأن بعض الناس قد يخجل أن يلتفت إلى السنَّة ، أو تظهر
عليه معالم السنَّة، وهذا خطأ كبير وانهزام نفسي فاحش .

كيف يخجل المؤمن من السنَّة، ونجاته يوم القيامة موقوفة على اتباعها، ويظن
بعض هؤلاء أن الغرب بما وصل إليه من تقدم علمي هم أهدي سبيلاً من أهل
الإيمان والإسلام!، ولذلك يرد الله - عز وجل - على الذين ظنوا أن مبادئ
الشرف ومبادئ الرفعة، في تحصيل الأموال وامتلاك الدنيا فقال سبحانه:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآيات: ٣١، ٣٢].

الشرف كل الشرف ليس في الدوز، ولا القصور، ولا في الأموال، ولا في
الهيئات ولا في الذوات، الشرف أن تكون عبداً لرب الأرض والسموات،
الشرف أن تكون من أولياء الله، الذين يعملون الصالحات، ويجتنبون المحرمات.

جاء عبد الله بن أم مكتوم، الضرير الفقير المسكين، إلى المصطفى ﷺ ، يسأله في بعض الأمور ، والرسول ﷺ ، مشغول بكفار قريش وساداتهم ، يريد أن يهديهم إلى صراط الله المستقيم ، فلما دخل عليه قال : يا رسول الله ، أريد كذا وكذا ، فأعرض عنه ﷺ (١) لأنه لا يريد أن تفوته الفرصة مع هؤلاء الكبار ، فعاتبه ربه من فوق سبع سموات ، عاتبه في أمر هذا المسكين الضرير ، يقول الله له ﴿عَبَسَ﴾ فخاطبه بخطاب الغيبة ، ولم يقل «عبست» وإنما يقول ﴿عَبَسَ﴾ أي تغير وجهه واكفهر ، عبس هذا الرسول ، عبس هذا النبي ، عبس هذا الداعية في وجه الرجل الصالح ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ عبس : ١ أي أعرض عنه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ عبس : ١ ، ولم يسمه باسمه ، وإنما ذكره بصفته ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ثم قال له ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ عبس : ٣ من أخبرك بحاله ، لعله أراد أن يتطهر بالعلم النافع أراد منك أن تفقهه في الدين ، أراد منك أن تقوده إلى رب العالمين ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾ عبس : ٤ أما الكافر الذي استغنى عن الرسالة والرسول ، وعن القرآن والسنة ، وعن الهداية والنور ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ عبس : ٥ ، وتهش وتبش في وجهه ، وتلين له في الخطاب .

هؤلاء الجبابرة الذين أتوك تستقبلهم ، أما هذا الأعمى ، فتعرض عنه؟! ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ عبس : ٦ ، ليس عليك حسابهم ، ذرهم يموتوا بكفرهم ، وجبنهم ، وعنادهم ، وجبروتهم ، فالنار مثواهم . ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ عبس : ٧ - ١٠ لا ، لا ، تفعل ذلك .

فأتى عبد الله بن أم مكتوم مرة ثانية، فقام له ﷺ ، وعانقه ، وفرش له رداءه ، وقال له : «مرحباً بالذي عاتبني فيه ربي» (٢) .

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٢/٥ ، ٤٠٣) ، رقم (٣٣٣١) وقال : حديث غريب .

(٢) انظر الدر المنثور (٥١٨/٦ ، ٥١٩) .

وبالفعل كانت النتيجة؛ أن مات هؤلاء الأشراف السادة . ماتوا على الكفر ودخلوا ناراً تلظى ، وأما عبد الله بن أم مكتوم ، فأسلم واستمر على إسلامه ووفائه .

ولما أتى داعي الهداية وداعي الكفاح ، وداعي الجهاد ، وارتفعت راية الإسلام في يد عمر - رضي الله عنه وأرضاه - ونادى بالنفير إلى القادسية ، إلى معركة فاصلة ، مع آل كسرى ، وآل رستم ، كان من المجاهدين عبد الله بن أم مكتوم .

قال له الصحابة إنك معذور ، أنت أعمى ، قال : لا والله ، الله يقول : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [سورة التوبة : ٤١] . فلما حضر المعركة ، سلموه الراية ، فوقف مكانه حتى قتل ، فكان قبره تحت قدميه ، رضي الله عنه وأرضاه . سلام على ذلك الصديق المخلص ، وسلام على ذاك المنيب ، الذي تشرف بالإسلام ، فكان قلعة من قلاع الحق ، استقبلت نور السماء ، فوزعته على البشرية ، والرسول صلوات الله عليه كما قالت عائشة - رضي الله عنها وأرضاهما - : «ما أعجب رسول الله صلوات الله عليه شيء من الدنيا ، ولا أعجبه أحد قط ، إلا ذو تقى» (١) .

وعبد الرحمن بن عوف يقول : «والله ما رأيت متقياً لله إلا وددت أنني في مسلاخه» .

ترى المتقي ، فيحبه قلبك إن كنت مسلماً ؛ لما يظهر عليه من علامات النصح والقبول والرضا ، وترى الكافر فييغضه قلبك ، ولو كان وسيماً جميلاً ، فعليه آيات السخط والتغضب ، وعليه سمات الإعراض عن الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مٌسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون : ٤٤] أما الأجسام ، فطويلة ، وأما البشرة ، فجميلة ، ولكن القلوب قلوب ضلالة ، وقلوب جهالة ، وقلوب عمالة ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم ، لا يملكون في الدنيا قليلاً ولا كثيراً ، ولا يجد أحدهم إلا كسرة الخبز ، وينام في الطرقات ، ولكن

(١) أخرجه أحمد (٦/٦٩) .

الله نظر إلى قلوبهم فهداهم إلى الإسلام ، أما الذين يتغنون في القصور والدور ،
قد لا يهديهم - سبحانه وتعالى - سواء السبيل ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٢٣] .

جاء جليبيب إلى رسول الله ﷺ ، فتبسم ﷺ ، لما رآه ، وقال وهو
يناصحه : يا جليبيب : أتريد الزواج ؟ فقال يا رسول الله : من يزوجني ؟ ولا
أسرة عندي ، ولا مال ، ولا دار ، ولا شيء من متاع الدنيا .

فقال ﷺ : اذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار ، فأقربهم مني
السلام ، وقل لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني ، فذهب وطرق
عليهم الباب وكانوا من سادات الأسر ، ومن كبريات العشائر في الأنصار ،
فخرج رب البيت ، ورأى جليبيبا وهيئته وفقره وعوزه ، فقال له ماذا تريد؟
فأخبره الخبر ، فعاد إلى زوجته ، فشاورها ، ثم قالوا : ليته غير جليبيب ؛ لا
نسب ، ولا مال ، ولا دار ، فشاوروا تلك البنت الصالحة ، التي تربت في
مدرسة التوحيد ، فقالت : وهل نرد رسول رسول الله ﷺ ، فتزوج بها ،
وعمر بيته الذي أسسه على تقوى الله - عز وجل - ورضوانه ، ترفرف عليه
المسكنة ، ويزينه التكبير والتهليل والتحميد ، وتظلل الصلاة في الهجير ، والصيام
في شدة الحر^(١) .

وحضر النبي ﷺ معركة من المعارك ، فلما انتهت بالنصر ، قال ﷺ
لأصحابه : هل تفقدون من أحد ؟ قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً . ثم قال ﷺ :
هل تفقدون من أحد ؟ قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً وفلاناً . ثم قال ﷺ : هل
تفقدون من أحد ؟ قالوا لا . قال ﷺ : لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه ، فطلب
في القتلى ، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ، ثم قتلوه ، فأتى النبي ﷺ

(١) قصة زواج جليبيب ﷺ رواها أحمد في المسند (٤/٤٢٢ ، ٤٢٥) . قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٧٠ ، ٣٧١) :
رواه أحمد والبخاري ورجال أحمد رجال الصحيح وهي بغير هذا السياق .

فوقف عليه ، فقال : قتل سبعة ثم قتلوه . هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه ، ثم وضعه على ساعديه ، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ ، ثم حفر له ، ووضع في قبره (١) .

لقد كانت عظمة هؤلاء يوم اتصلوا بالواحد الأحد ، وعرفوا الله - عز وجل - فعرفهم الله - عز وجل - على منازل الصديقين .

دخل سليمان بن عبد الملك الحرم ، ومعه الوزراء ، والأمراء ، والحاشية ، والجيش ، فقال : من عالم مكة ؟ قالوا : عطاء بن أبي رباح ، قال : أروني عطاء هذا ، فأشرف عليه ، فوجده عبداً ، كأن رأسه زبيبة مشلولاً نصفه ، أزرق العينين ، مفلفل الشعر ، لا يملك من الدنيا درهماً ولا ديناراً ، فقال سليمان : أنت عطاء بن أبي رباح الذي طوق ذكرك الدنيا ؟ قال : يقولون ذلك ، قال بماذا حصلت على هذا العلم ، قال : بترك فراشي في المسجد الحرام ثلاثين سنة ، ما خرجت منه ، حتى تعلمت العلم ، قال سليمان : يا أيها الحجاج لا يفتي في المناسك إلا عطاء .

وحدث أن اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج ، فقال : دلوني على عطاء بن أبي رباح ، فأخذوه إلى عطاء وهو في الحرم ، والناس عليه كالغمام ، فأراد أن يجتاز الصفوف ، ويتقدم إليه وهو الخليفة ، فقال عطاء : يا أمير المؤمنين ، خذ مكانك ، ولا تتقدم الناس ؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان ، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابه ، فقال سليمان لأبنائه : يا أبنائي ، عليكم بتقوى الله ، والتفقه في الدين ، فوالله ما ذللت في حياتي إلا لهذا العبد ؛ لأن الله يرفع من يشاء بطاعته ، وإن كان عبداً حبشياً ، لا مال ولا نسب ، ويذل من يشاء بمعصيته ، وإن كان ذا نسب وشرف .

جاء هشام بن عبد الملك الخليفة ، أخو سليمان ، فحج البيت الحرام ، فلما

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩١٨ ، ١٩١٩) ، رقم (٢٤٧٢) .

كان في الطواف ، رأى سالم بن عبد الله بن عمر ، الزاهد العالم العارف ، وهو يطوف ، وحذاؤه في يديه ، وعليه عمامة وثياب ، لا تساوي ثلاثة عشر درهماً ، فقال له هشام : يا سالم : أتريد حاجة أقضيها لك اليوم ، قال سالم : أما تستحيي من الله ، تعرض عليّ الحوائج ، وأنا في بيت من لا يعوزني إلى غيره ، فاحمر وجه الخليفة ، فلما خرج من الحرم ، قال : هل تريد شيئاً ؟ قال : أمن حوائج الدنيا ، أم من حوائج الآخرة؟ قال : أما حوائج الآخرة فلا أملكها ، لكن من حوائج الدنيا ، قال سالم : والله الذي لا إله إلا هو ، ما سألت حوائج الدنيا ، من الذي يملكها تبارك وتعالى ، فكيف أسألها منك ؟!

إنهم عظماء لأنهم عاشوا في مدرسة النبي ﷺ ، التي أخرجت خير أمة للناس ، يرون الذهب والفضة للكفار ، فيهدمونها ويطأونها بالأقدام ، فيقول لهم المستعمر والكافر : خذوا هذا الذهب ، واتركوا بلادنا ، قالوا : لا والله ، دارنا وبلادنا ، جنة عرضها السموات والأرض .

ومن الذي باع الحياة رخيصة * * * ورأى رضاك أعز شيء فاشتري
أم من رأى نار الجحوس فأطفئت * * * وأبان وجه الصبح أبيض نيراً
إنهم أصحاب رسول الله ﷺ .

يخرج عمر - رضي الله عنه وأرضاه - لاستلام مفاتيح بيت المقدس ، فيخرج له الناس ، ويستعرض الجيش المسلم ، بقيادة أمراءه الأربعة ، تحت راية أبي عبيدة المقدم الهمام ؛ يستعرضون له في الجابية ، فلما أشرف عليهم قال : لا إله إلا الله ثم قال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، ثم أمر الكتائب والجيش أن تتفرق ؛ فدخل مسكنه في تواضع وفي هدوء ، فلما اقترب الأمراء منه قال : تفرقوا عني ، أين أخي أبو عبيدة عامر بن الجراح ، فتقدم أبو عبيدة ، فعانقه وبكى طويلاً ، فقال عمر : يا أبا عبيدة ، كيف بنا إذا سألنا الله يوم القيامة ، ماذا فعلنا بعد رسولنا ﷺ ، قال أبو عبيدة : يا أمير

المؤمنين ، تعالى نتباكى ، ولا يرانا الناس فأنحرفا عن الطريق ، والجيش تنظر إليهما ، والأمراء ، والقساوسة ، والرهبان ، والنصارى ، فاتجها إلى شجرة ، ثم توقفا يبكيان طويلاً .

رضي الله عنكم أيها السلف الصالح ، يوم عرفتم أن الحياة بسنينها وأعوامها ، ينبغي أن تصرف في مرضاة الله سبحانه وتعالى .

يقول رستم قائد فارس ، وتحت يديه مائتان وثمانون ألفاً من الجنود الكفرة ، يقول لسعد بن أبي وقاص القائد المسلم : أرسل إليّ من جنودك رسولا أكلمه ، فأرسل له سعد رضي الله عنه ربي بن عامر وعمره ثلاثون سنة ، من فقراء الصحابة ، قال سعد : اذهب ولا تغير من مظهرك شيئاً ، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، فخرج ربي بفرسه الهزيل ، وثيابه الرثة ورمحه البسيط ، فلما سمع رستم أن وافد المسلمين سوف يدخل عليه ، جمع حوله الأسرة الحاكمة ، والوزراء ، والجنود ، واستعدوا لأن يرهبوا هذا الوافد ، عليه يتلعثم ، فلا يستطيع الكلام ، فلما جلس رستم قال : أدخلوه عليّ ، فدخل يقود فرسه ، واعتمد برمحه على بسطهم فخرقها وأفسدها ؛ ليظهر لهم أن الدنيا حقيرة ، وأنها رخيصة ، وأنها لا تساوي عند الله شيئاً ، ومن علامات رخصتها وحقارتها ؛ أن أعطاهما هذا الكافر ، وجعل سعد بن أبي وقاص ينام على الثرى .

فلما وقف أمامه قالوا : اجلس ، قال ربي : ما أتيتك ضيقاً ، وإنما أتيتك وافداً ، فقال رستم : - والترجمان بينهما - ما لكم أيها العرب ، ما علمنا - وأقسم بالهته - قوماً أذل ولا أقل منكم ؛ للرومان حضارة ، ولفارس حضارة ، ولليونان حضارة ، وللهنود حضارة ، أما أنتم ، فأهل جعلان ، تطاردون الأغنام والإبل في الصحراء ، فماذا أتى بكم ؟ قال ربي : نعم ، أيها الملك كنا كما قلت وزيادة ، كنا أهل جهالة ، نعبد الأصنام ، يقتل القريب قريبه على مورد الشاة ، لا نعرف نظاماً ، ولا مبدأ ، ولا حضارة - أو كما قال - ثم انتفض ، ورفع صوته كأنه الصاعقة في مجلسه قائلاً : ولكن الله ابتعثنا لنخرج العباد ؛ من

عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا ، إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام ، فغضب رستم وقال : والله لا تخرج ، حتى تحمل تراباً من بساطي ، فحمله على رأسه ، فقال ربعي : هذه الغنيمة إن شاء الله ؛ تسليم أرضك وديارك^(١) ﴿فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الانعام : ٤٥ . فلما أشرف على سعد ، قال : ماذا على رأسك يا ربعي ؟ فقال : تراب من تراب أرض رستم وكسرى ، فكبر المسلمون حتى اهتز مخيمهم وقالوا : هو النصر ، تسليم أرضهم بإذن الله .

وفي الصباح الباكر ، يوم أشرقت الشمس بأشعة النصر على الدنيا ، كان سعد رضي الله عنه وأرضاه - في أول الصفوف ، والتقى الجمعان ، وبرزت الفئتان ، وتبدى الرحمن لحزبه - سبحانه وتعالى - وفي ثلاثة أيام ، تسحق كتائب الضلالة والعمالة ، وتداس الجماجم التي ما عرفت لا إله إلا الله ، وتضرب الرؤوس التي ما دخل فيها نور لا إله إلا الله ، ويدخل سعد في اليوم الرابع إيوان كسرى ، الذي حكم الدنيا ألف سنة ، فيراه مموهاً بالذهب ، ويرى الياقوت والزبرجد والمرجان ، فيكسي سعد ويقول : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الدخان ، الآيات : ٢٥٠-٢٩] .

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسـ * * * سمك فوق هامات النجوم منارا
 كنا جبلاً في الجبال وربما * * * صرنا على موج البحار بحاراً
 كنا نرى الأصنام من ذهب فنهم * * * سد مها ونهدم فوقها الكفار
 لو كان غير المسلمين لصاغها * * * حلياً وحاز الكنز والدينارا

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

(١) انظر القصة في حياة الصحابة (٤/٥١٥) وعزاها لابن جرير الطبري في تاريخه (٣/٣٣) .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وحجة الله على الناس
أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

● أيها الناس :

إن مما يجب على المسلم ، الذي يريد أن يؤسس بيته ، على تعاليم الإسلام
وشرائعه ؛ أن يعرف بيته وأبنائه بالإسلام ، وأن يعظم شعائر الله في قلوبهم ،
وأن يعظم الحدود التي أمر الله بحفظها ، فيكون بيته معظماً لله - سبحانه وتعالى
- ومعنى ذلك ، أن تربي في نفس ابنك تعظيم الله ، فلا يكون أحد في قلبه
أعظم من الله ، ولا أجل من الله ، ولا أحب من الله هذا هو البيت المسلم .

واستقامة البيت المسلم ، وهداية الأبناء تحصل بأمور ؛ منها :

أن تعظم في قلب ابنك اسم الله - سبحانه وتعالى - وتعرفه على الواحد
الأحد ، فلا يتلفظ بلفظ الجلالة إلا في مكارم الأمور ، وفي أشرف المناسبات ،
وأن تعلمه أين هو الله تبارك وتعالى في علوه ، وتعرفه على صفات الواحد
الأحد ؛ كرمه - سبحانه وتعالى - وحلمه ، وبره تبارك وتعالى ، وتريه آثار
القدرة في أسمائه وصفاته .

يأكل الطعام فتقول له : هذا من فضل الله ؛ ليحب الله ، يلبس اللباس فتقول
له : هذا من جود الله ، فيستعرف على الله ، يدخل البيت ، فتقول له : هذا من
عطاء الله وفضله ، فيتحبب إلى الله تعالى .

ومن أمور التعظيم أيضاً ، تعظيم كتاب الله ، فتحبب إليه القرآن ، وتعظم
مبدأ القرآن في قلبه ، وتجعل القرآن من أعظم اهتماماته في الحياة ، فإن وجدت
قصاصة من المصحف رفعتها ، وقبلتها وطبتها وهو يراك ، فإن هذا السلوك ،
أعظم من مائة محاضرة ، تحاضر فيها عن عظمة القرآن .

ترى شيئاً من حديث المصطفى ﷺ فترفعه . يذكر لك الرسول ﷺ في المجلس ، فتصلي وتسلم عليه ، فتعظم في قلبه رسول الهدى ﷺ ، وتعظم في نفسه جهوده وجهاده ﷺ .

وتعظم كذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ، والصحابه أجمعين ، حتى يكون هؤلاء الأخيار هم النجوم عند أبنائنا ، لا نجوم الفن ، ولا نجوم الغناء ، لأن كثيراً من الأطفال ، تربوا على أن العظماء هم المغنون والمغنيات ، الأحياء منهم والأموات ، فيرى أن هذا المغني قد شق طريق المجد ، وقد صعد إلى القمة ، وقد نال من الفخر ما لم ينله أحد من العالمين .

ويظن بعض الأطفال ، أن هؤلاء الفنانين والفنانات ، رزقوا من العقول ومن الذكاء ، ما لم يرزقه أحد من الناس ، لا لشيء إلا لأن الطفل ، يصبح ويمسي على صوت هذا المغني . وهذا الفنان وهذا المهرج . أما ذكر محمد ﷺ ، فقل أن يسمعه في بيته .

وطائفة من الناس ، ثقافتهم آثمة ، دخيلة ، عميلة ، ضالة ؛ رأوا أن نجوم المجد ، ماركس ، ولينين ، وهرتزل ، ونابليون ، وهتلر ، أعداء الإنسانية ، وشرذمة البشرية ، إنهم يقرءون كتبهم ، ويحفظون كلماتهم ، وهؤلاء - والذي لا إله إلا هو ، والذي شرف محمداً بالرسالة لا يساؤون غبار نعليه ﷺ ، ولا يساؤون التراب الذي وطئه ﷺ ، ولا يساؤون - ولو اجتمعوا من الشرق إلى الغرب - حذاء أبي بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو علي .

أولئك آبائي فجثني بمثلهم * * * إذا جمعنا يا جرير الجامع

﴿ أولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴾ سورة الأنعام ، الآية : ٩٠ .

أولئك الذين ركبوا متن التاريخ ، وأسمعوا أذن الزمن ، وامتنطوا بحار المجد ، يرفعون لا إله إلا الله .

أولئك الذين علم الله الإنسانية بهم العدالة ، وأفنى الله بهم الضلالة ، ومحق الله بهم العمالة .

أولئك الذين كانوا قرآنا يمشي على الأرض ، يتعاملون بتعاليم القرآن ، وينامون على تلاوة القرآن ، ويستيقظون على صوت القرآن .

أولئك الذين نظر الله إلى قلوبهم ، فرضي عنهم ورضوا عنه ؛ يكلم شهداءهم كفاحًا ، ويرضى عن مواقفهم ، ويثني عليهم وهم في الحياة الدنيا .
يجتمعون تحت شجرة ، فينزل جبريل بكلام الله - سبحانه وتعالى - :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ { الفتح ، الآية : ١٨ } .

ويجتمعون في الصباح الباكر فيتنزل جبريل بقوله - سبحانه وتعالى - :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ {سورة الفتح، الآية: ٢٩} .

جلالة ، ونور ، وبياض ، وإشراق ، وبشاشة ، أما أولئك الذين دخلوا علينا في المجالات الخليعة ، وفي الكتب الظالمة الغاشمة ، وفي الأفكار الإلحادية الضلالة ، أولئك أبخس خلق الله ، ولا أبالغ إذا قلت : إن الكلاب أطهر منهم ، وإن الحمير أنزه منهم ؛ لأنها مخلوقة بلا عقول ولا تكليف ، أما هم فكلفوا بعقول ، ثم ألدوا ، وكفروا ، وأعرضوا ، فهم أضل منها سبيلاً .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى

بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ {سورة الجاثية، الآية: ٢٣} .

نعم إن الذي لا يؤمن بالله ، تطارده لعنة الله في الدنيا والآخرة ، كما قال

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ { البقرة: ١٦١-١٦٢ } .

أَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَةِ ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى ؛ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِسْلَامَنَا ، ذَلِكَ
الْإِسْلَامَ الَّذِي أَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأُخْرِجَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى
نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ .

إِنَّ الْبَرِيَّةَ يَوْمَ مَبْعَثِ أَحْمَدَ * * * نَظَرَ الْإِلَهَ لَهَا فَبَدَّلَ حَالَهَا
بَلْ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ حِينَ اخْتَارَ مِنْ * * * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهَلَالَهَا
● عِبَادَ اللَّهِ :

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} .
وَقَدْ قَالَ ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا »^(١) .
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ وَحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤) .

■ حقيقة البعث والنشور ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمد ﷺ ، وشرُّ
الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

● أيها الناس :

إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا * * * وفي كلِّ يومٍ واعظُ الموتِ يندبُ
إذا قيلَ أنتم قد علمتمُ فما الذي * * * عملتمُ وكلُّ في الكتابِ مرتبُ
فيا ليت شعري ما نقولُ وما الذي * * * نجيبُ به إذ ذاك والأمرُ أصعبُ؟

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ
خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا
أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
{سورة يس ، الآيات : ٧٧-٨٣}.

﴿ أَوْلَمَ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ .

أيها الإنسان ، يا من خلقه ربه وصوره .

يا أيها الإنسان ، يا من تعدى حدود الله ، وانتهك حرمان الله ، وأكل نعم الله ، واستظل بسماء الله ، ووطأ أرض الله .

يا أيها الإنسان إنك سوف تعرض على الله . . ويل لك أيها الإنسان ، أما فكرت في القدوم على الله؟! .

ولو أننا إذا متنا تركنا * * * لكان الموت غاية كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا * * * ويسأل ربنا عن كل شيء

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ {سورة الانفطار ، الآية : ٦} .

ما الذي خدعك حتى عصيت الله؟! ما الذي غرك ، حتى تجاوزت حدود الله؟ .

ما الذي أذهلك ، حتى انتهكت حرمان الله؟ .

يا أيها الإنسان . . أما كنت نطفة؟ أما كنت ماء؟ أما كنت في عالم العدم؟! .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ ﴾

أمشاج نبأليه ﴿ سورة الإنسان : ١ ، ٢ ﴾ . مسكين هذا الإنسان حقير هذا الإنسان . أتى من ماء . . أتى من نطفة . . أتى من عالم العدم ، فلما مشى على الأرض تكبر ، وتجبر ، ونسى الله الواحد الأحد .

في مسند الإمام أحمد ، بسند جيد ، عن بسر بن جحاش القرشي ؛ أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال :

قال الله - عز وجل - : ابن آدم .. أتى تعجزني ، وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد ، فجمعت

ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي ، قلت : أتصدق !! . وأني أوان الصدقة !!^(١) .

من هذا المجرم الذي تكبر وتجبر ، ومن هذا الخاسر ، الذي لم يحسب للأمر حسابه ، ولم يعد له عدته ، إنه ينكر البعث بلسان حاله ، وإن كان يخفي ذلك في مقاله .

صاح هذي قبورنا تملأ الرحبة * * * فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطاء ما أظن أديم الد * * * أرض إلا من هذه الأجساد

هذا المجرم ؛ العاص بن وائل ثمر الله ماله ، وأصح جسمه ، وَعَلَى شَأْنِهِ فِي
الدنيا ، ولكنه كفر ب : لا إله إلا الله .

أتى إلى الرسول ﷺ ، بعظم بال ، فَتَّهْهُ وَنَفَخَهُ أَمَامَ الْمُصْطَفَى ﷺ ،
وقال : يا محمد ، أتزعم أن ربك يعيد هذه العظام بعد أن يميتها ؟ فقال ﷺ :
«نعم يميتك الله ، ثم يعثك ، ثم يدخلك النار»^(٢) .

يقول الله له ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ أتى يضرب لنا الأمثال . نسي مكرماننا ، نسي
معروفنا ، نسي جميلنا ونعمنا ، أتى يضرب لنا الأمثال اليوم ! ونسي خلقه ! من
الذي أنشأه من العدم ؟! من الذي أغناه من الفقر ؟! من الذي مشاه على رجليه ؟!
﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد ، الآيات : ٨ - ١٠] .
فما له نسينا اليوم ؟!

العاص بن وائل هذا ، أتاه أحد الفقراء من المسلمين ، وقد عمل له عملاً ،
واشغل له شغلًا ، فقال له الفقير : يا أبا عمرو ، أعطني أجرتي ، قال : أتؤمن
أن الله يبعثنا يوم القيامة ؟ قال : نعم ، فقال ضاحكًا مستهزئًا : فإذا بعثنا الله ،

(١) أخرجه أحمد (٤/٢١٠) . وابن ماجه (٢/٩٠٣) رقم (٢٧٠٧) . وحسنه الألباني كما في صحيح ابن ماجه
(١١١/٢) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/١٠٨) وقال : صحيح علي شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ،
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٧ ، ٥٠٨) . وعزاه لعبد الرزاق . وابن مردويه ، وسعيد بن منصور ،
والبيهقي ، وابن المنذر .

بعثني ربي من قبري ، وعندى كنوز من الأموال ، فأحاسبك في ذاك اليوم ، وأعطيك أجرتك (١) ، فقال الله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا . أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلَّا سَكَتَبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا . وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ {سورة مريم ، الآيات : ٧٧ - ٨٠} .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ {سورة يس ، الآيات : ٧٨ ، ٧٩} .

والله لنبعثن كما نستيقظن حفاة عراة غرلاً ، كما بدأنا أول مرة يعيدنا . .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ {سورة الأنعام ، الآية : ٩٤} .

سوف نخرج من قبورنا مذهولين . . خائفين . . وجلين ، إلا من رحم الله . . ولا يأمن من مكر الله ، ولا من عذاب الله ولا من طرد الله إلا من آمنه الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ {سورة الأنبياء ، الآيات : ١٠١ - ١٠٤} .

صح عنه ﷺ ، أن الناس يخرجون من قبورهم فمنهم من يبلغ عرقه كعبه ، ومنهم من يبلغ العرق ركبته ، ومنهم من يبلغ حنجرته ، ومنهم من يبلغ العرق إجماماً (٢) ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ {الفرقان : ٢٧ ، ٢٨} .

(١) انظر الدر المنثور (٤/٥٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/٢١٩٦) رقم (٢٨٦٤) .

ثم يرد الله عز وجل - على من أنكر البعث وجهل قدرة الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ {يس : ٧٨ - ٨٠} .

قال أهل العلم : الشجرة بذرة أنبتها الله ورعرعها بالماء ، ثم يبست وأصبحت حطبًا ، يوقد به في النار وقال بعضهم : المرخ والعفار شجر في الحجاز إذا ضربت هذا بهذا وهو أخضر انقده نارًا .

فمن الذي قدح النار منه؟! ومن الذي جعل آيات الكون قائمة أمام الأعين؟
أليس هو الذي يعيدنا يوم العرض الأكبر؟!!

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ﴿ {سورة يس ، الآيتان : ٨٠ ، ٨١} .

يا أيها الإنسان ، انظر إلى السموات بلا عمد .

يا أيها الإنسان انظر إلى الأرض في أحسن مدد .

انظر : من أجرى الهواء؟ من سير الماء؟ من جعل الطيور تناظم بالنعلمات؟
من جعل الرياح غاديات رائحات؟ من فجر النسمات؟ من خلقتك في أحسن
تقويم؟

﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ {سورة يس ، الآية : ٨١} .

سبحان الله ! ما أقدر الله !! .

يقول عمر - رضي الله عنه وأرضاه - : والله لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون . لو
لم يكن هناك يوم بعث ونشور ، أكل الأقوياء الضعفاء ، وأخذ الظلمة المظلومين ،
وتجبر المتجبرون في الأرض .

مِثْلَ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ * * * يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءِ تَمُورُ
 إِنْ قِيلَ نَوْرَ الدِّينِ جَاءَ مَسْلَمًا * * * فَاحْذَرِ بَأْنَ تَأْتِي وَمَا لَكَ نَوْرُ
 حَرَمْتَ كَاسَاتِ الْمَدَامِ تَعْفُفًا * * * وَعَلَيْكَ كَاسَاتِ الْحَرَامِ تَدُورُ

متى يستفيق من لم يستفق اليوم؟ .

متى يتوب إلى الله من لم يتب هذه الساعات؟ متى يحاسب نفسه من لم
 يحاسبها قبل العرض على الله؟! .

عباد الله :

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين ،
 فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله .. الحمد لله الذي كان لعباده خبيراً بصيراً ، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيرًا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا .

● أما بعد :

فإن إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد، ومعلم الحنيفة ، وأستاذ العقيدة .. إبراهيم خليل الرحمن ، الذي نشر عقيدة التوحيد في الأرض .

مر يوماً من الأيام على ساحل البحر ، فرأى جثة حيوان ميت ، قد ألقاها البحر بالساحل ، وهذه الجثة تأتيها السباع فتأكل منها ، والطيور فتنهش منها ، فوقف عليها متعجباً ، وهو يقول في نفسه : كيف يعيدها الله يوم القيامة ، وقد أكلتها السباع والطيور ؟ كيف يعيد الله هذه الجثة ، وقد تشتت في بطون السباع ، وتفرقت في حواصل الطير ؟!

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] .

فكلم ربه .. ونادى ربه .. وسأل ربه أن يريه عملية الإحياء ، وعملية الموت .. كيف تقوم عملية الإحياء وعملية الموت .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ قال له الله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ ..

أما آمنت إلى اليوم؟ أما تيقنت أن الله يبعث من في القبور؟ أما علمت أن الله - سبحانه وتعالى - ينشر الناس يوم النشور؟!

والله يعلم أنه مؤمن ، وأنه موحد ، وأنه مصدق .

﴿ قَالَ بَلَى ﴾ آمنت يا رب .. وأسلمت يا رب .. وتيقنت يا رب ﴿ وَلَكِنْ

لَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي ﴾ سبحان الله !! .

في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال : « نحن أحق بالشك من إبراهيم »^(١) . معنى ذلك : لو كان إبراهيم يشك لكننا نحن أولى أن نشك في قدرة الله ، ولكننا لا نشك ، فإبراهيم عليه السلام أولى ألا يشك .

﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] أي لأزداد يقينا إلى يقيني وإيمانا إلى إيماني ، وليس الخبر كالمعاينة .

﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] . ثم قال الله : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] . خذ أربعة من الطيور من أنواعها . ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حمام ودجاج وأوز ، وطائر من عنقاء مغرب ، أو كما قال .

ولا يهمننا تعداد الطيور ، لكن يهمننا الشاهد والدلالة في الآية ، فأخذ أربعة من الطيور ، قال الله : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي قطعهن ومزقهن ، فقطع رءوسها وفصل أرجلها وأكتافها وأيديها ومزق ريشها ، ثم خلط الأربعة بعضها ببعض .

قال الله له : ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] .

فأخذ هذه المجموعات ؛ من اللحم ، والعظام ، والريش ، والدم ، فوزعها على أربعة جبال ، ثم نزل إلى الوادي .

قال الله : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠] .

فلما نزل قال : تعالي أيتها الطير ياذن الله .. تعالي أيتها الطير ياذن الله .. فبعث الله الأرواح فيها ، وكانت رءوس الطير بيده ، فأقبل الريش والعظم واللحم ؛ كل طائر يدخل في رأسه ، لا يدخل في رأس غير رأسه ، فلما تركبت أجسامها في رءوسها ، رفرت وطار ، وأخذت مجالها في الجو ، ثم قال الله له : ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال عليه السلام : أعلم أن الله عزيز حكيم .

(١) أخرجه البخاري (١٦٣/٥) ، ومسلم (١٣٣/١) رقم (١٥١) .

فيا من شك في قدرة الله ، ويا من شك في البعث والنشور ، ترقب يوم يبعث الله الأولين والآخرين ، يوم يناديهم لذاك اليوم ، وتزين ليوم العرض على الله ، والبس لباساً ليس كلباسنا اليوم ، فوالله لا تجزئ ألبستنا ، إن لم تكن من التقوى ، واستعد بحسنات وبأعمال صالحات ترفع درجاتك عند الله .

إن بعد الحياة موتاً عظيماً ، فاستعد لذلك البعث ، وارقب واشكو حالك إلى الله ، وجدد توبة صادقة إلى الحي القيوم ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ {سورة الشعراء بالآيتان : ٨٨ ، ٨٩} .

يوم يطوي الله - عز وجل - السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟^(١)

فنسأل الله أن ينجيننا وإياكم في ذلك اليوم . ونسأل الله أن يبيض وجوهنا ووجوهكم في ذلك اليوم . ونسأل الله ألا يجعلنا من أهل الفصائح ، وأهل النكبات ، وأهل البوار ، وأهل الخسار .

● عباد الله :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {الأحزاب ٥٦} .

ويقول ﷺ : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(٢) .

اللهم صل وسلم على نبيك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

وارض اللهم عن أصحابه الأطهار ، من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٨/٤) رقم (٢٧٨٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤) .

■ المعصوم يضحك ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ أَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المؤمنون :

عنوان هذه الخطبة «المعصوم يضحك» محمد ﷺ يضحك، نعيش معه هذا اليوم ضاحكًا، كما عشنا معه أيامًا، وهو باكٍ متأثر خاشع لله - عز وجل - .

من الذي أضحكه ﷺ ، إنه الله الواحد الأحد .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ {سورة النجم، الآية : ٤٣} .

وما له لا يضحك ﷺ ، ودينه رحمة ، ومنهجه سعادة، ودستوره فلاح .

لقد عشنا معه ﷺ في مواطن التأثر باكيًا ، تدمع عيناه ، وينجرح فؤاده ، ونعيش معه اليوم وهو يهش للدعابة ، ويضحك للطرفة ، ويتفاعل مع أصحابه في مجريات أمورهم وأحاديثهم .

إن مدرسة التصوف تملي على منسوبيها ألا يضحكوا ، يقول أحدهم : ما ضحكت منذ أربعين سنة . لكن الإمام الأعظم ، والقائد الأكمل يضحك في مواطن من حياته .

وضحكه ﷺ له مقاصد ، ضحك نافع ، يربي بالبسمة ، ويدرس بالضحك ، ويعلم بالمزحة . فتعالوا نستمع إلى أحاديثه ﷺ وهو يضحك :

ضحكت لك الأيام يا علم الهدى * * * واستبشرت بقدمك الأعوام
وتوقف التاريخ عندك مدعنا * * * تملي عليه وصحبك الأقلام
اضحك لأنك جئت بشري للورى * * * في راحتك السلم والإسلام
اضحك فبعثتك الصعود وفجرها * * * ميلاد جيل ما عليه ظلام

روى أحمد في المسند بسند صحيح ، والبيهقي « أن الرسول ﷺ ركب حماراً له يدعى يعفور ، رسنه من ليف ، ثم قال : اركب يا معاذ ، فقلت : سر يا رسول الله ، فقال : اركب ، فردفته .»

وعليكم أن تستحضروا هذه الصورة ؛ من هو الراكب ، إنه محمد ﷺ الذي أخرج البشرية من ظلمات الشرك ، إلى نور التوحيد ، يركب الحمار ، ويردف خلفه تلميذاً نجيباً من تلامذته .

قال معاذ : «فردفته ، فصرع الحمار بنا» .

سقط الحمار ، وسقط النبي ﷺ وسقط معاذ رضي الله عنه فماذا فعل النبي ﷺ .

قال معاذ : «فقام النبي ﷺ يضحك ، وقمت أذكر من نفسي أسفاً» قام يضحك . رسالته مليئة بالبسمة ، والبشري ، والرحمة لكل إنسان ، يفيض على محبيه بشاشة ، ويقربهم من السعادة بكل صورها ، يقول جرير بن عبد الله :
والله ما رأني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي .

قال معاذ : «فقام النبي ﷺ يضحك ، وقمت أذكر من نفسي أسفاً ، ثم

فعل ذلك الثانية ، والثالثة ، فركب ، وسار بنا الحمار ، فأخلف يده ، فضرب ظهري بسوط معه أو عصا ثم قال : يا معاذ ، هل تدري ما حق الله على العباد؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد ؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، قال : ثم سار ما شاء الله ، ثم أخلف يده ، فضرب ظهري ، فقال : يا معاذ ، يا ابن أم معاذ ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن يدخلهم الجنة ^(١) .

● أيها الناس :

إن هذا الإنسان ، الذي حرم على نفسه وأطفاله وأهله البسمة والضحكة ، معتذراً بمشاغل الحياة وآلام الدهر ، نقول له : إن من كان يحمل هموم البشرية كلها ، ويحمل رسالة أبت السموات والأرض والجبال حملها ، محمد عليه الصلاة والسلام ، ومع ذلك كان يضحك .

كان في يوم أحد ، والجيوش ملتحمة ، والسيوف تنزل بالرءوس والجماجم ، والرماح تسيل بالدماء ، والموت في كل مكان ، كان يضحك .

تربك الأبطال كَلْمَى هزيمية

ووجهك وضاح وثغركُ باسمُ

نشرتهم فوق الأحيدب نثرة

كما نشرت فوق العروس الدراهم

ويضحك صلى الله عليه وسلم مرة أخرى ؛ روى الترمذي ، وأبو داود ، بأسانيد صحيحة ، عن علي بن ربيعة قال : شهدت علياً ، وأتى بدابة ليركبها ، فلما

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٨/٥) وقوله : أتدري ما حق الله على العباد . . . إلخ ، متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٦٤/٨) ، ومسلم (٥٨/١) ، حديث رقم (٣٠) .

وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ، ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ سورة الزخرف ، الآيات : ١٣ ، ١٤ . ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك ، فقيل يا أمير المؤمنين ، من أي شيء ضحكت ؟ قال : رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك ، فقلت :

يا رسول الله ، من أي شيء ضحكت ؟ قال : «إن ربك يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي ، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»^(١) .

فالرسول ﷺ يضحك ، لأن هذه الأمة تعرف ربها ، وتتوجه إليه بالدعاء ليغفر ذنوبها ، فيضحك النبي ﷺ ، رحمة لهذه الأمة ، وفرحاً لأن الله - عز وجل - يغفر الذنوب لكل من استغفر وتاب .

ويضحك ﷺ أيضاً كما في صحيح مسلم ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل مقبل بوجهه إلى النار^(٢) فيقول : أي رب ، اصرف وجهي عن النار ، فإنه قد قشبنني ريحها^(٣) ، وأحرقني ذكاؤها^(٤) ، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعو ، ثم يقول : الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره ، فيقول : لا أسألك غيره ، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل على الجنة ورآها ، سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أي رب ، قدمني إلى باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ، لا تسألني غير الذي أعطيتك ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك !

(١) أخرجه أبو داود (٣/٣٤) ، حديث رقم (٢٠٢٠٢) ، والترمذي (٥/٤٦٧) ، حديث رقم (٣٤٤٦) وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) هذا الرجل من أهل التوحيد ، إلا أن له ذنوباً استوجبت تعذيبه ما شاء الله ، ثم يدخل الجنة .

(٣) قشبنني ريحها : أي أهلكني وآذاني .

(٤) ذكاؤها : لهبها وشدة اشتعالها .

فيقول : أي رب ، ويدعو الله حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك ، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة ، انفهقت ^(١) له الجنة ، فرأى ما فيها من الخير والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أي رب ، أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ، ويلك يا ابن آدم ، ما أغدرك ! فيقول : أي رب ، لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو الله ، حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه ، فإذا ضحك الله منه ، قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها ، قال الله له : تمنه ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأمانى ، قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه .

قال أبو سعيد : أشهد أنني حفظت من رسول الله ﷺ قوله : ذلك لك وعشرة أمثاله .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : لقد رأيت رسول الله ﷺ ، ضحك حتى بدت نواجذه ^(٢) .

● أيها الناس :

هذه عقيدة ربانية ينبغي الإيمان بها ، يضحك الرب تبارك وتعالى ، وإذا ضحك ، أذن لهذا العبد في دخول الجنة ، وأعطاه مثل أعظم ملك من ملوك الدنيا ، وعشرة أمثاله ، وهذا أدنى أهل الجنة منزلة ، كما قال الناظم .

أقلهم من ملوك الدنيا ملك * * * وعشرة أمثالها بدون شك
لكنما موطن سوطٍ فيها * * * خير من الدنيا وما عليها

(١) انفهقت : انفتحت واتسعت .

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩/٨ - ١٨١) ، ومسلم (١٦٣/١ - ١٦٧) ، حديث رقم (١٨٢) ، (١٧٣/١) ، حديث رقم (١٨٦) .

وإنما ضحك الرسول ﷺ من طمع العبد ، ومن نقضه لميثاقه مع ربه ،
ومن رحمة أرحم الراحمين .

ويضحك الرسول ﷺ أيضاً ، يأتيه خبر من أحبار يهود فيقول له : يا أبا
القاسم ، إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر
والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ،
فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الخبر ، تصديقاً له ، ثم قرأ ﴿ وَمَا قَدَرُوا
اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ (١) [سورة الزمر ، الآية : ٦٧] .

● وإنما ضحك عليه الصلاة والسلام لأمر :

منها : أن القرآن صدق ما قاله هذا الخبر من أمور القيامة .

ومنها : أن اليهود يعلمون صدق النبي ﷺ ، وصدق ما أخبر به ، ثم
يكذبون على الله ، ويكذبون رسوله ﷺ .

ومنها : التعجب من قدرة الباري تبارك وتعالى .

ومنها : أن العبد مهما بلغت عبوديته لله تعالى ، فإنه لا يستطيع أن يوفي الله

- عز وجل - حقه ، وغير ذلك من المعاني .

هذه وقفات ، رأينا فيها رسولنا ﷺ ضاحكاً ، والضحك في حياته
ﷺ ، كان له مغزى وهدف ، لا كضحك السفهاء الفارغين ، الذين يعيشون
على هامش الحياة ، ولكنه ضحك المعلم الحكيم ، الذي يرشد الناس إلى الخير ،
ولو عن طريق الضحكة والبسمة .

يذهب النبي ﷺ فيدخل على أم حرام بنت ملحان (٢) ، فتطعمه ، فدخل

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢/٨) ، ومسلم (٤/٢١٤٧ ، ٢١٤٨) ، حديث رقم (٢٧٨٦) .

(٢) اتفق العلماء على أنها كانت محرماً لرسول الله ﷺ .

عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ، ثم جلست تغلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي ، عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج^(١) البحر ، ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة - يشك الراوي ..

يضحك النبي ﷺ ، من ذلك ، لأنه رأى البشري ، رأى تلامذته وأتباعه وكتيبته ، سيركبون البحار والمحيطات ؛ غزاة في سبيل الله ، ينشرون لا إله إلا الله في الآفاق ، ويعبرون بها حدود الزمان والمكان .

يضحك ﷺ ؛ لأن الإسلام سوف ينتشر ويظهر ، وينفذ إلى القفار والصحاري ، ويصل إلى عبّاد البقر والشجر والنار والطوطم والصنم .

فقالت المرأة : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك قالت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله ، كما قال في الأولى ، قالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين .

فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية^(٢) ، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر ، فهلكت^(٣) .

كنا جبلاً في الجبال وربما * * * صرنا على موج البحار بحارا
في معابد الإفرنج كان أذاننا * * * قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لن تنس إفريقيا ولا صحراؤها * * * سجداتنا والأرض تقذف نارا

(١) ثبج البحر : ظهره ووسطه .

(٢) قال القاضي : قال أكثر أهل السير والأخبار : إن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفيها ركبت أم حرام وزوجها إلى قبرص ، فصرعت عن دابتها هناك ، فتوفيت ودفنت هناك ، وعلى هذا يكون قوله : في زمن معاوية ، في زمن غزوه في البحر ، لا في زمن خلافته .

(٣) أخرجه البخاري (٧/١٤٠ ، ١٤١) ، ومسلم (٣/١٥١٨ ، ١٥١٩) ، حديث رقم (١٩١٢) .

ماتت هذه المرأة الصالحة ، وهي تجاهد في سبيل الله ، فكانت شهيدة ودفنت هناك في أرض غربية.

● عباد الله :

هذه مواطن نعيشها مع إمامنا صلى الله عليه وسلم ، حتى يعرف الناس ، أن من صفحاته عليه الصلاة والسلام صفحة ؛ فيها الضحك ، وفيها الدعاة ، وفيها المزاح ، ومسامرة الأهل وملاطفة الناس.

وهذه الصفحة لا بد أن يعرفها الناس ، وأن يتكلم عنها العلماء والدعاة ، حتى تعرف البشرية ، أن في ديننا فسحة.

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر لله شكراً شكراً ، والصلاة والسلام على المعلم المعصوم ، والهادي الكريم ، والرسول العظيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

● أما بعد :

ففي هذا السياق ، وفي هذا الباب ، معنا حديث صحيح متصل ، أخرجه الإمام البخاري ، في باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وتخليهم من الدنيا ، من كتاب الرقاق ، ذكر مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول : الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشعني ، فمر ولم يفعل .

ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشعني ، فمر ولم يفعل . ثم مر بي أبو القاسم عليه السلام ، فتبسم حين رأيته ، وعرف ما في نفسي ، وما في وجهي .

عرف النبي ﷺ ، أنه يحمل سراً من الأسرار ، عرف أن له حاجة ، فتهلل في وجهه مبتسماً .

تراه إذا ما جئته متهللاً * * كأنك تُعطيه الذي أنت سائله !!

فقال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق ، ومضى ، فتبعته ، فدخل فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل ، فوجد لبناً في قدح ، فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهدها لك فلان أو فلانة ، قال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق أهل الصفة فادعهم لي . قال : - أي أبو هريرة - وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ، ولا مال ، ولا على أحد ، إذا

أتته صدقة ، بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية ، أرسل إليهم وأصاب منها ، وأشركهم فيها ، فسأني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة ، أتقوى بها ، ولم يكن من طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ ، فأنتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت . قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : خذ فأعطهم ، قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروي ، ثم يرد عليّ القدح ، فأعطيه الرجل ، فيشرب حتى يروي ، ثم يرد عليّ القدح ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إليّ فتبسم ، فقال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيت أنا وأنت قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : اشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلماً ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله ، وسمى ، وشرب الفضلة ^(١) .

فالنبي ﷺ ، كان يتبسم ، لأنه يعلم ما يدور في نفس أبي هريرة ، لقد تعرض لأبي بكر وعمر من أجل أن يشبع فما شبع ، ثم تعرض للرسول ﷺ ، فأدخله البيت ، ورأى اللبن وقلته ، ثم هو يأمره بأن ينادي أهل الصفة ، فتتداعي كل هذه المعاني ، أمام عينيه ﷺ ، فيتبسم ، ولكنه يريد أن يعلم أبا هريرة ، ويعلم الأمة من ورائه مبدأ الإيثار ، وتفقد الآخرين ، والسؤال عن المساكين ، فكان ضحكه ومداعبته ، سلوى للمحرومين ، وتسلية للمظلومين ، وتصبيراً للمعدمين .

وإن تفق الأنام وأنت منهم * * * فإن المسك بعض دم الغزال

إن قومًا عاشوا معه ، رأوا ابتسامته ، وتحيته ، ويسره ، وسهولته ، فتمنوا أن يفقدوا الآباء والأمهات والأبناء والأنفس ، ولا يشاك هو ﷺ بشوكة .

(١) أخرجه البخاري (٧/١٧٩ ، ١٨٠) .

إن جيلاً رباها المصطفى ﷺ على هذه المعالم ، وهذه التعاليم ، لجدير بأن يفتح المعمورة ، وتدين له الدنيا كلها .

وإذا قارنا بين هذه الصور المشرقة ، وبين صور طغاة الأرض ، فترى الواحد منهم عليه من الكبر والجبروت والظلمة ، وما يجعله بغيضاً إلى النفوس ، حتى أن الأجنة في البطون لتلعنهم .

ترى أحدهم ودماء الأجيال تتقاطر من يديه ، لا يتكلم معه أحد إلا رمزاً ، الجماجم تتناثر عن يمينه وشماله ، البشر عنده في مسلخ العبيد ، يتعامل مع الأجيال ، كما يتعامل مع البهائم ، قوائم من طغاة البشر ، يقتلون ويذبحون على مر التاريخ .

لقد رأينا ورأيتم كثيراً من هؤلاء الطغاة الفجرة ، وقد قيل عنهم : إنه ما روى أحدهم متبسماً أبداً ، فهؤلاء نحاكمهم إلى المعصوم ﷺ وهو يضحك ، ونأتي بهم ونوقفهم أمام التاريخ ، تاريخ محمد ﷺ ، ونسألهم أن يتقوا الله - عز وجل - في أنفسهم ، وفي رعاياهم ، فمحمد ﷺ يضحك .

● أيها الناس :

صلوا وسلموا - رحمكم الله - على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه حيث قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦] .

اللهم صل وسلم وبارك عليه ، ما تغاير الليل والنهار ، وما فاحت الأزهار وما تدفقت الأنهار ، وما لعلت على الغصون الأطييار ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك يا أرحم الراحمين .



■ جيل لن يتكرر ■

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدهُ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهديِ هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ .

● عباد الله :

عنوان هذه الخطبة «جيل لن يتكرر» ذلكم الجيل ، هو جيله عليه الصلاة والسلام، هو القرن الذي عاش فيه، هم الملأ الذين وضعوا أنفسهم بين يدي رسول الله ﷺ يعلم ويوجه، يسقي ويروي ما شاء لهذه الأنفس .

إنني لن أتحدث اليوم عن البطولات ، ولا عن التضحيات ، ولا عن العلم ، ولا عن الأدب، ولا عن الزهد لذلك الجيل ، سوف أتحدث عن جانب آخر ، عن طائفة المذنبين والعصاة في هذا الجيل ، ثم نقارن بيننا وبينهم على صعيد من الحق والعدل .

أشرفت شمس الرسالة على مدينة رسول الله ﷺ ، قبل أربعة عشر قرناً

من الزمان ، ويجلس الرسول ﷺ في المسجد ، وأصحابه حوله ، يجلس كالقمر وسط النجوم في ظلام الليل ؛ يعلمهم ، ويؤدبهم ، ويزكيهم ، وإن كانوا في قبل ذلك لفي ضلال مبين ، واكتمل المجلس بكبار الصحابة ، وسادات الأنصار ، وبالأولياء والعلماء ، وإذا بامرأة متحجبة تدخل باب المسجد ، فسكت ﷺ ، وسكت أصحابه ، وأقبلت تمشي رويدةً حتى وصلت إليه ﷺ ، ثم وقفت أمامه ، وأخبرته أنها زنت ، وأنها تريد أن يطهرها .

فماذا فعل الرسول ﷺ ؟ هل استشهد عليها الصحابة؟ هل قال لهم اشهدوا عليها؟ هل فرح بذلك لأنها سلمت نفسها ؟ لا ، احمر وجهه حتى كاد يقطر دمًا ، ثم حول وجهه إلى الميمنة وسكت كأنه لم يسمع شيئًا .

إنها امرأة مجيدة ، إنها امرأة بارة ، إنها امرأة رسخ الإيمان في قلبها وفي جسمها ، حتى جرى في كل ذرة من ذرات هذا الجسد .

هل كانت تظن أن التطهير عنده كلام يعزرها به ؟ أو سيات وينتهي الأمر ؟ كلا ، إنها تعلم أن التطهير حجارة تتقاذف عليها ، تقطع جسدها فتلحقها بالآخرة !! لا إله إلا الله ما أعظم هذه المرأة !!

لقد ارتفع الإيمان عند أولئك العصاة ، إلى درجة لا يصل إليها أبرارنا وأخيارنا هذا اليوم ، إن عصاة ذلك المجتمع المثالي والجيل الراشد ، أعظم إيمانًا من طائعتنا وعبادنا وزهادنا .

فماذا فعل عليه الصلاة والسلام؟ حاول أن ترجع المرأة عن كلامها ، لم يرد أن يأخذها بكلمة صدرت عنها ، قد تكون غاضبة حينما قالتها ، وقد تكون هناك شبهة ، وهو الذي يروي عنه ﷺ قوله : «ادرءوا الحدود بالشبهات» (١) .

إنه يمنع التجسس ، والتصنت ، والاطلاع على عورات المؤمنين ، فهو الذي

(١) ضعفه الألباني ، كما في ضعيف الجامع ، رقم (٢٥٨) ، وعزاه السيوطي لابن عدي ، وابن السمعاني .

يقول منذراً ومحذراً طوائف معلومة : «يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في جوف بيته»^(١) .
أخبرته المرأة أنها حبلى من الزنا فقال اذهبي ، حتى تضعي طفلك ثم ارجعي ، فذهبت حتى وضعت طفلها ثم عادت إليه .

وفي هذا الموقف بدائع وفوائد ، منها : عصمة هذا الجنين ، فلا يقتل معها بغير ذنب لأنه عليه السلام يعرف حقوق الإنسان .
ومنها : صبرها ، فإنها لم تتغير عن موقفها أبداً ، ذهبت وبقيت صابرة محتسبة ، أكل الأسى قلبها ، وسال الدمع الحار على وجنتيها ، وتحرق فؤادها ، تريد أن تتطهر .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَمْراً وَمَا يَشَاءُ اللَّهُ يَفْعَلْ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١٣٥] .

فاغفر اللهم ربي ذنبنا * * * ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تعاقبنا فقد عاقبنا * * * قلق أسهرنا جنح الظلام

حملت طفلها تسعة أشهر ، ثم وضعت ، وفي أول يوم أتت به وقد لفته في خرقة ، وذهبت إلى الإمام الأعظم ، إلى الطاهر المطهر ، ولم تتأخر خطوة واحدة عن إقرارها الأول ، ثم هو لم يستدعها عليه الصلاة والسلام ، لم يرسل إليها عسكرياً ولا شرطة ولا طابوراً مأجوراً معتوهاً ، يسحبها من بيتها ، ولكن تركها فأنت بنفسها ، تحمل طفلها بين يديها ، وقالت : يا رسول الله ، طهرني من الزنا ، فنظر إلى طفلها ، وقلبه يتفطر عليه ألماً وحرزاً ، لأنه كان يعيش الرحمة للعصاة ، والرحمة للطيور ، والرحمة للحيوان ، قال بعض أهل العلم :

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٠ / ٤) ، حديث رقم (٤٨٨٠) والترمذي (٣٣١ / ٤) ، حديث رقم (٢٠٣٢) ، وقال : حديث حسن غريب ، وصححه الألباني ، كما في صحيح الجامع ، رقم (٧٩٨٤ ، ٧٩٨٥) .

بل هو رحمة حتى للكافر قال الله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} من يرضع الطفل إذا قتلها ؟ من يقوم بشئونه إذا أقام عليها الحد ؟ فقال : ارجعي وأرضعيه فإذا فطمته فعودي إليّ ، فذهبت إلى بيت أهلها ، فأرضعت طفلها ، وما يزداد الإيمان في قلبها إلا رسواً كرسو الجبال ، كل يوم كانت تقترب من الله ، ومن جنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين ، وفتحت للتائبين والعائدين .

ثم أتت بالطفل بعد أن فطمته ، وفي يده كسرة خبز وذهبت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قالت : طهرني يا رسول الله ، فأخذ ﷺ طفلها ، وكأنه سل قلبها من بين جنبيها ، لكنه أمر الله ، العدالة السماوية ، الحق الذي تستقيم به الحياة ، دستور الدولة المؤمنة ، الذي يجعل الناس سواسية حتى في باب العقوبة والسيف والحبس .

قال عليه الصلاة والسلام : «من يكفل هذا وهو رفيقي في الجنة كهاتين» من الذي يقوم على هذا الطفل ، ويربيه ، ويطعمه ، ويسقيه ، وله جائزة ؛ أن يكون جار محمد- عليه الصلاة والسلام- في الجنة ، فقام أنصاري ، فأخذ الطفل .

إنه مشهد مؤثر، مشهد الإمام وهو لا يتنازل عن حق الله ، ولكنه لا يتجسس ، ولا يرهب ، ولا يرعب ، وإنما يربى الأنفس ، حتى يأتي الإنسان طائعاً ، يسلم نفسه بنفسه إلى العدالة ، إنها تربية : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ {الأنعام : ١٢٠} .

إن القوى العالمية ، والكيانات الأرضية ، والحكومات ، لا تستطيع أن تقول لرعاياها : « وباطنه » لأن الباطن عند الله ، لكن محمداً ﷺ ربي هذا الباطن ، حتى يأتي الإنسان وقد فعل فاحشة ، لا يعلم به إلا الله ، فيسلم رقبته لتقطع !! .

ذهبوا بالمرأة ، فحجّبوها ، وجاء بعض الصحابة يشهد إقامة الحد وأتت الحجارة عليها من كل جانب ، ثم أقبل خالد بن الوليد ، فرمى رأسها بحجر

فتنضح^(١) الدم على وجه خالد ، فسبها ، فسمع النبي ﷺ سبه إياها ، فقال : مهلاً يا خالد !! فوالذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة ، لو تابها صاحب مكس^(٢) لغفر له^(٣) .

إنها تابت توبة نصوحاً ، فلا يحق لك أن تسبها يا خالد ، لأن من تاب تاب الله عليه ، وغفر له ، وبدل سيئاته حسنات .

وفي رواية أن النبي ﷺ «أمر بها فرجمت ، ثم صلى عليها ، فقال له عمر رضي الله عنه : تصلى عليها يا نبي الله وقد زنت !! فقال النبي ﷺ : لقد تابت توبة ، لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى»^(٤) !!

هذا هو الإسلام ؛ قوة في تنفيذ حدود الله تعالى ، ورحمة إذا نفذ هذا الحد كما أراد الله ، وقبول لتوبة المذنب ، وشفاعة عند الله - تعالى - يوم القيامة .

ماذا يعني هذا ؟ هذا يعني أن الدين يقوم بتربية ضمائر الناس ، وتزكية نفوسهم ، وتعميق الإيمان في قلوبهم بأن العدالة لا بد أن تسود ، وأن المساواة أمام الشرع ، هي من أكبر أسباب بقاء هذه الأمة وقوتها .

قصة أخرى : أمر ﷺ بقطع يد امرأة مخزومية ، كانت تستعير المتاع وتجحده ، أي أنها كانت تسرق أمتعة الناس وأموالهم .

فاهتمت قريش بشأن هذه المرأة ، لأنها كانت من قبيلة ذات نسب وشرف ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ قالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد ، حب رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله

(١) تنضح : توشرش وانصب .

(٢) صاحب المكس : من يعاون الظلمة في أخذ أموال الناس بالباطل .

(٣) أخرجه مسلم (٣/١٣٢٣ ، ١٣٢٤) حديث رقم (١٦٩٥) .

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٣٢٤) حديث رقم (١٦٩٦) .

ﷺ فقال : «أتشفع في حد من حدود الله ؟ فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي ، قام رسول الله ﷺ فاخطب ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم ، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف ، تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف ، أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ؛ لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها» .

قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد ، وتزوجت ، وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ^(١) .

● أيها الناس :

ليست هناك حصانة لأحد في دين الله - تبارك وتعالى - تمنعه من أن يعاقب ، إذا ارتكب ما يستحق عليه العقاب .

إن دين الله تبارك وتعالى ليس مفصلاً على حسب الأمزجة والأهواء ، ولا تدخله الشفاعات ولا الوساطات ، كما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «إذا بلغت الحدود السلطان؛ لعن الله الشافع والمشفع»^(٢) .

معنى ذلك ، أن الشرع لا بد وأن يطبق على الكبير والصغير ، ولا بد أن تقام الحدود على الشريف والوضيع .

لأنه إذا لم يطبق الإسلام على الناس جميعاً ، فما فائدته إذن ؟ وما الجديد الذي أتى به ، إذا لم يكن الناس كلهم سواسية أمام الشريعة الإلهية؟!

وهذا رجل آخر ، كان يشرب الخمر في عهده ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً ، فأمر به ، فجلد ، فقال رجل من القوم :

(١) أخرجه البخاري (١٦/٨) ، ومسلم (٣/١٣١٥ ، ١٣١٦) حديث رقم (١٦٨٨) .

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٦/٢٦٢) رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وفيه أبو غزوة ، محمد بن موسى الأتصاري ، ضعفه أبو حاتم وغيره ، ووثقه الحاكم ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف .

اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به !! فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يخب الله وسوله»^(١).

إنه مجتمع قد امتلأ بالحب لله ورسوله ، شاربهم يحمل الحب لله ورسوله ، ولا تمنعه معصيته من أن يقدم روحه رخيصة للواحد الأحد.

إن العصاة في مجتمعنا نحن . أيها المؤمنون: ليسوا كما يتصورهم البعض أنهم أنسلخوا من الدين ، أو أنهم خلعوا لا إله إلا الله ، أو أنهم لا يؤمل فيهم صلاح ، هذا ليس بصحيح ، فعندهم خير كثير ، وإني أعلم أناساً يجلسون في المقاهي والمنتديات ، وقد يسهرون الليالي ، ومع ذلك لو سمع أحدهم سباً للدين ، أو استهزاء بالرسول ﷺ كان على استعداد أن يقاتل ذلك المستهزئ ، وربما قدم دمه ونفسه دفاعاً عن الدين وعن عرض محمد ﷺ .

فقصدي أن نستثير هذا الأصل في نفوس الناس، وأن ننمي هذه الفطرة في قلوبهم، حتى يزدادوا من الخير، ويتركوا ما هم عليه من المعصية.

● أيها الناس:

ننتقل بعد ذلك إلى العهد العمري المجيد ، فنجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة على المسلمين ، يحكم بحكم الله ورسوله ، ولا زالت الأمة راشدة ، متماسكة ، خائفة من الله - عز وجل - يعترض البدوي على عمر وهو على المنبر، ثم يذهب إلى بيته ، في أمان وسكينة وهدوء وراحة؛ لأنه محمي ، عنده حصانة الحوار والعدل.

أتى شابان إلى عمر وكان في المجلس ، وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر : ما هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا قتل أبانا ، قال : أقتلت أباهم ؟ قال : نعم قتلته !! قال : كيف قتلته ؟

(١) أخرجه البخاري (١٤/٨).

قال دخل بجمله في أرضي ، فزجرته ، فلم ينزجر ، فأرسلت عليه حجراً ،
وقع على رأسه فمات .

قال عمر : القصاص .. الإعدام .. قرار لم يكتب ، وحكم سديد لا يحتاج
مناقشة ، لم يسأل عمر عن أسرة هذا الرجل ، هل هو من قبيلة شريفة؟ هل هو
من أسرة قوية؟ ما مركزه في المجتمع؟ كل هذا لا يهم عمر رضي الله عنه ؛ لأنه لا يحابي
أحدًا في دين الله ، ولا يجامل أحدًا على حساب شرع الله ، ولو كان ابنه
القاتل ، لاقتص منه ، وقد جلد ابناً له في بعض الأمور .

قال الرجل : يا أمير المؤمنين : أسألك بالذي قامت به السموات والأرض ،
أن تتركني ليلة ؛ لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية ، فأخبرهم بأنك سوف
تقتلني ، ثم أعود إليك ، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا ، قال عمر : من
يكفلك أن تذهب إلى البادية ، ثم تعود إليّ ، فسكت الناس جميعاً ، إنهم لا
يعرفون اسمه ، ولا خيمته ، ولا داره ، ولا قبيلته ، ولا منزله ، فكيف
يكفلونه؟ وهي كفالة ليست على عشرة دنانير ، ولا على أرض ، ولا على ناقة ،
إنها كفالة على الرقبة أن تقطع بالسيف .

ومن يعترض على عمر في تطبيق شرع الله ؟ ومن يشفع عنده ؟ ومن يمكن أن
يفكر في وساطة لديه ؟ فسكت الصحابة ، وعمر متأثر ، لأنه وقع في حيرة ،
هل يقدم فيقتل هذا الرجل ، وأطفاله يموتون جوعاً هناك ، أو يتركه فيذهب بلا
كفالة ، فيضيع دم المقتول ، وسكت الناس ، ونكس عمر رأسه ، والتفت إلى
الشابيين ، أتعفوان عنه ؟ قالوا : لا ، من قتل أبانا ، لا بد أن يقتل يا أمير
المؤمنين ، قال عمر : مَنْ يكفل هذا أيها الناس ؟ فقام أبو ذر الغفاري بشيسته
وبزهده ، وصدقه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أكفله ، قال عمر : هو قتل ،
قال : ولو كان قتلاً ، قال : أتعرفه ؟ قال : ما أعرفه ، قال : كيف تكفله ؟
قال : رأيت فيه سمات المؤمنين ، فعلمت أنه لم يكذب ، سيأتي إن شاء الله .

قال عمر : يا أبا ذر ، أتظن أنه لو تأخر بعد ثلاث ، أني تاركك ! قال :
الله المستعان يا أمير المؤمنين ، فذهب الرجل ، وأعطاه عمر ثلاث ليال ؛ يهيم
فيها نفسه ، ويودع أطفاله وأهله ، وينظر في أمرهم بعده ، ثم يأتي ، ليقصص منه
لأنه قتل ، وبعد ثلاث ليال . لم ينس عمر الموعد ، يعد الأيام عدداً ، وفي
العصر نادى في المدينة : الصلاة جامعة ، فجاء الشباب ، واجتمع الناس ، وأتى
أبو ذر ، وجلس أمام عمر ، قال عمر : أين الرجل؟ قال : ما أدري يا أمير
المؤمنين ، وتلفت أبو ذر إلى الشمس ، وكأنها تمر سريعة على غير عادتها ،
وسكت الصحابة واجمين عليهم من التأثر ما لا يعلمه إلا الله .

صحيح أن أبا ذر يسكن في قلب عمر ، وأنه يقطع له من جسمه إذا أراد ،
لكن هذه شريعة ، ولكن هذا منهج ، لكن هذه أحكام ربانية ، لا يلعب بها
اللاعبون ، ولا تدخل في الأدراج لتناقش صلاحيتها ، ولا تنفذ في ظروف دون
ظروف ، وعلى أناس دون أناس ، وفي مكان دون مكان .

وقبل الغروب بلحظات ، وإذا بالرجل يأتي ، فكبر عمر ، وكبر المسلمون
معه ، فقال عمر : أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ، ما شعرنا بك ، وما
عرفنا مكانك ، قال يا أمير المؤمنين ، والله ما عليّ منك ولكن عليّ من الذي
يعلم السر وأخفي !!

ها أنا يا أمير المؤمنين ، تركت أطفالي كفراخ الطير ، لا ماء ولا شجر في
البادية ، وجئت لأقتل ، فوقف عمر وقال للشايين : ماذا تريان؟ قالا وهما
يبكيان : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه ، قال عمر : الله أكبر ، ودموعه تسيل
على لحيته .

جزاكما الله خيراً أيها الشبابان على عفوكما ، وجزاك الله خيراً يا أبا ذر يوم
فرّجت عن هذا الرجل كربته ، وجزاك الله خيراً أيها الرجل لصدقك ووفائك ،
وجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين لعدلك ورحمتك .

● أيها الناس :

إن هذا الدين وإن كنا نتحدث عنه كثيراً ، إلا أننا لم نره إلا قليلاً ، لكن الإسلام كله ، لا زال عند عمر ، بقي معهم في المدينة ، كما قال أحد المحدثين : والذي نفسي بيده ، لقد دفنت سعادة الإيمان والإسلام في أكفان عمر !! .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

* * *

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله .. الحمد لله الذي كان عباده خبيراً بصيراً ، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيرًا ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .

● أما بعد :

أخذ النبي ﷺ بمنكب ابن عمر ، فقال له : «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل» .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك^(١) .

ما أحسن كلامه ﷺ وما أروع ، وما أبلغه ، وما أحسن كلام أصحابه رضي الله عنهم واتباعهم لتعاليمه ووصاياهم .

فهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا يطمئن إليه ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ { غافر : ٣٩} .

وكان النبي ﷺ يقول : «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا ، كمثل راكب قال في ظل شجرة ، ثم راح وتركها»^(٢) .

ومن وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه قال: اعبروها، ولا تعمروها.

(١) أخرجه البخاري (١٧٠/٧) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٨/٤) رقم (٢٣٧٧) وقال : حسن صحيح وابن ماجه (١٣٧٦/٢) رقم (٤١٠٩) .

وأحمد (٣٠١/١) ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٦٦٨ ، ٥٦٦٩) .

وروي عنه أنه قال : من ذا الذي يبني على موج البحر داراً ؟ تلکم الدنيا ، فلا تتخذوها قراراً .

ودخل رجل على أبي ذر ، فجعل يقلب بصره في بيته ، فقال : يا أبا ذر ! أين متاعكم ؟ فقال : إن لنا بيتاً نتوجه إليه !! فقال : إنه لا بد من متاع ما دمت ههنا .

فقال : إن صاحب المنزل لا يدعنا ههنا!!.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :

إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ^(١).

وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خطبته:

إن الدنيا ليست بدار قراركم ، كتب الله عليها الفناء ، وكتب الله على أهلها منها الظعن ، فكم من عامر عن قريب يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا - رحمكم الله - منها الرحلة - ﴿ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٩٧].

إذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطناً ، فينبغي عليه أن يكون فيها على أحد حالين:

إما أن يكون كأنه غريب في بلد غربة ، فلا يتعلق بها قلبه ، بل همه التزود للرجوع إلى وطنه .

أو يكون كأنه مسافر ، غير مقيم البتة ؛ بل هو في سير دائم ، في الليل والنهار ، إلى بلد الإقامة .

(١) ذكره البخاري (١٧١/٧).

فحيّ على جنات عدن فإنها
 منازلك الأولى وفيها الخيم
 ولكننا سبي العدو فهل ترى
 نعود إلى أوطاننا ونسلم
 وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
 وشطت به أوطانه فهو مفرم
 وأي اغترابٍ فوق غربتنا التي
 لها أضحت الأعداء فينا تحكّم

قيل لمحمد بن واسع : كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم
 مرحلة إلى الآخرة !!

وقال الحسن : إنما أنت أيام مجموعة ، كلما مضى يوم ، مضى بعضك !
 نسير إلى الآجال في كل لحظة
 وأيامنا تطوى وهنّ مراحل
 ولم أر مثل الموت حقاً كأنه
 إذا ما تخطّته الأمانى باطل
 وما أقبح التفريط في زمن الصبا
 فكيف به والشيب للرأس شاعل
 ترحل من الدنيا بزاد من التقى
 فعمرك أيام وهنّ قلائل

● فيا أيها الناس :

إلى متى الركون إلى هذه الدنيا ؟ وإلى متى التسويف بالتوبة ؟
 فالواجب على المؤمن ، المبادرة بالأعمال الصالحة ، قبل ألا يقدر عليها ويحال
 بينها وبينه ؛ إما بمرض ، أو موت ، أو غير ذلك من الأشغال ، ومتى حيل بين

الإنسان والعمل ، ولم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه ، ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيه من العمل ، فلا تنفعه الأمنية .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَبْلِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ { الزمر : ٥٤-٥٩ } .

وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ { المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ } .

فالتوبة التوبة عباد الله ، فإن الله - عز وجل - «يسط يده بالليل ، ليتوب مسيء النهار ، ويسط يده بالنهار ؛ ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها» (١) .

قال كثير من السلف : فإذا طلعت الشمس من مغربها ، طبع على القلوب بما فيها ، وترفع الحفظة الأعمال ، وتؤمر الملائكة ألا يكتبوا عملاً .

● عباد الله :

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ { الأحزاب : ٥٦ } .

وقد قال ﷺ : «من صلى علي صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً» (٢) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ٢١١٣) رقم (٢٧٥٩) .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ خطر على الأمة ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● عباد الله :

إن من أعظم الجرائم ، ومن أكبر المشاكل التي تفشت في مجتمعاتنا ، والتي عرضت ديننا وقيمنا ، وأمننا ، وأموالنا للضياع ، وللسفك ، وللانسلاخ ؛ هو ما تفشى في مجتمعاتنا من تعاطي المخدرات ، وشرب الخمر .

إنها مصيبة نكراء ، وجريمة شنعاء ، فتكت بشبابنا ، وأذهبت أموالنا ، وأهدرت دماءنا ، وزعزعت أمننا وسكينتنا ، فنشكو حالنا إلى الله تبارك وتعالى .

والله - عز وجل - تحدث عن المفسدين في الأرض ، وعرض لجرائمهم ، وبين أحكامهم فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي

الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿سورة المائدة، الآيتان : ٣٣، ٣٤﴾ .

وقد كانت الخمر وكل مسكر تسمى عند العرب في الجاهلية «أم الخبائث» لا يشربها عقلاؤهم، ولا يتعاطاها حكماؤهم، حرمة كثير منهم على نفسه؛ منهم حاتم الطائي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وهرم بن سنان، وكانت تسمى عندهم «السفينة»، و«المؤذبة»، و«القبيحة»، و«المكروهة». فلما جاء الإسلام حرّمها الله تبارك وتعالى في كتابه، وحرّمها رسوله ﷺ في سنته، وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(١) وقال ﷺ وقد جاءه رجل من اليمن، يسأله عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المزّر، فقال النبي ﷺ: «أو مسكر هو؟» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال» قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار»^(٢).

وقال ﷺ: «من شرب الخمر وسكر، لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، وإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً، فإن مات دخل النار، فإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من رذغة الخبال يوم القيامة» قالوا: يارسول الله وما رذغة الخبال؟ قال: «عصارة أهل النار»^(٣).

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣/٣٢٧)، رقم (٣٦٨١)، والترمذي (٤/٢٥٨) رقم (١٨٦٥) وقال: حسن غريب.

وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٥٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥٨٧)، رقم (٢٠٠٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/١١٢٠) رقم (٣٣٧٧). وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٣١٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/١٠٤، ١٠٥) رقم (٢٨٠١) وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني كما في صحيح

الجامع رقم (٦٥٠٦).

● عباد الله :

إن شرب الخمر من الكبائر؛ فهي أم الفواحش، لعنها الله، ولعن عاصرها ،
ومعتصرها وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ، ومبتاعها ،
وساقها ، ومسقاها ، وأكل ثمنها (١).

إن شرب الخمر يجرئ المرء على معصية الله - عز وجل - ويهون عليه
ارتكاب الموبقات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جلس بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا أعظم الكبائر ، فلم يكن عندهم فيها علم ،
فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو، أسأله عن ذلك ، فأخبرني أن أعظم الكبائر
شرب الخمر ، فأثيتهم فأخبرتهم ، فأنكروا ذلك، ووثبوا جميعاً ، فأخبرهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«إن ملكاً من بني إسرائيل أخذ رجلاً ، فخيرَه بين أن يشرب الخمر ، أو يقتل
صبيّاً ، أو يأكل لحم الخنزير ، أو يقتلوه إن أبي ، فاختر أن يشرب الخمر، وأنه لما
شرب ، لم يمتنع من شيء أرادوه منه» (٢) .

إن أضرار الخمر وبيلة، ومصائبها كثيرة، ويكفي ما نسمع ، وما نرى، وما
ينقل إلينا من تلك الأضرار الوخيمة ، والعواقب الأليمة ، التي نفسشت في
مجتمعاتنا .

لقد انتشرت العصابات الفاجرة المجرمة التي تجلب إلينا المسكرات والمخدرات ،
والتي تسعى في الأرض فساداً ، والتي زعزعت أمن البلاد ، وأمن العباد ،
وأرهبت أهل البيوت في بيوتهم ، وسفكت الدماء ، وهتكت الأعراض ،
وعرضت الأنساب للاختلاط ، وعرضت الشباب للانحراف والضياع .

(١) أخرجه أحمد (٧١/٢) قال الهيثمي في المجمع (٧٦/٥) : رواه أحمد والطبراني ، ورجاله ثقات .
(٢) قال الهيثمي في المجمع (٧١،٧٠/٥) : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، خلا صالح بن
داود التمار ، وهو ثقة .

● أيها الناس :

إن من أعظم أضرار المسكرات والمخدرات:

أولاً: أنها محاربة لله تبارك وتعالى ، ومعصية ظاهرة له ، فمن تناول شيئاً منها ، أو جلب شيئاً منها لغيره ، أو روج لها ، أو استحسناها ، أو سكت عن مروج لها ، فقد بارز الله بالمحاربة ، واستوجب لعنة الله تعالى وغضبه ، وأمن من مكره سبحانه ، وقد قال الله - عز وجل - عن هؤلاء ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ {سورة الاعراف، الآية: ٩٩}

إنها عداوة صريحة لله رب العالمين ، وهي أعظم ما عصي الله تعالى به في أرضه ، فإن الإنسان إذا سكر وإذا هذى افتري ، وإذا افتري ، قتل ، وزنا ، واغتصب ، وفعل كل فاحشة خبيثة .

ثانياً: أن فيها إذهاباً للعقل ، الذي هو أعظم نعمة ، أنعم الله تعالى بها على الإنسان ، فإذا أذهب هذه النعمة ، وهذه المنة ، فقد تردى في الحضيض ، وبيء بالغضب واللعنة . يقول الله - سبحانه وتعالى - عن أصحاب العقول: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ {سورة العنكبوت: ٤٣} وقال عن أهل النار: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ {سورة الملك ، الآية : ١٠} .

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ {البقرة: ٢٦٩} أي أهل العقول .

فالذي أذهب عقله ، وأضاع لبه ، فهو في مسلك البهيمة ، وفي مستوى الحمار ، أو الثور ، لا يدرك شيئاً ، ولا يعرف شيئاً ، قلت قيمته ، وخف وزنه ، وهان على ربه ، فلا رجوله فيه ، ولا حياة ، ولا مروءة ، ولا دين ، ولا خير .

ليس من مات فاستراح يميت * * * إنما الميت ميت الأحياء

أذهب الله بهاءه ، ونزع رداءه ، وهتك ستره ، وفضحه على رءوس الخلائق ، فنسأل الله تبارك وتعالى الستر والعافية .

ثالثاً : إن في شرب المسكر والمخدر سفكاً للدماء ، وهتكاً للأعراض ، وإهداراً للأموال .

فأما الدماء ؛ فإننا نسمع كل يوم عن تلك الجرائم البشعة التي تحدثها هذه العصابات الضالة وتلك الشلل التائهة ، من قتل رهيب ، وتعد على البيوت الآمنة ، وترويع من فيها من عباد الله . ونسمع دائماً عن قضايا الإعدام التي تلحق بهؤلاء المفسدين ، نسأل الله أن يقطع دابرهم ، وأن يطهر البلاد من شرورهم .

وأما الأعراض فإن أكبر جريمة بعد شرب الخمر جريمة الزنا ، وهي لا تأتي في الغالب إلا بعد أن يذهب العقل بالخمر ، حتى أن بعضهم لما شرب الخمر وسكر ، ثنى بالجريمة الفحشاء ، والفعلة النكراء ، على أمه التي ولدته !! فنفذ فيه حكم الله ، جزاء على تلك الجريمة التي يتنزه عنها اليهود والنصارى والبوذيون ، وتقشعر منها جلودهم ، ولا تفعلها الكلاب ولا الحمير ، وإنما حملة على ذلك شرب الخمر الذي أذهب عقله ففعل هذه الفعلة البشعة .

وفيها أيضاً إزهاق للأموال ، فهي تؤدي إلى الميسر والقمار ، وإلى إتلاف الآلاف ؛ بل والملايين في غضب الله تعالى وسخطه ولعنته .

رابعاً : ومن أضرارها أنها ضيع لشباب الأمة ، وإهدار لقوة الأمة ومستقبلها ، فما ضاع أكثر شبابنا إلا بسبب هذه الخبيثة .

لقد امتلأت بهم السجون في جرائم ارتكبوها بسبب شرب الخمر ، دعاهم ربهم تبارك وتعالى إلى المساجد ، وإلى حلق الذكر ومجالس العلم ، وإلى أن يرفعوا من أنفسهم ولكنهم أبوا إلا الضياع والانحطاط ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ {سورة الصف، الآية: ٥} .

أدخلوا السجون بالعشرات ، بل بالمئات ، والإحصائيات التي سمعنا بها رهيبة رهيبة ، تنذر بأشد الخطر ، وأسوأ العواقب .

خامساً : وللخمر أضرار صحية لا حصر لها ، وكذلك المخدرات ، وقد شهد على ذلك أهلها ، ومنتجوها ، ومروجوها ، ومصنعوها .

لقد دخل عن طريق إرسال المخدرات إلى مجتمعاتنا كثير من الأمراض ، منها مرض الإيدز ، وأمراض الالتهاب الرئوي ، وسوء الهضم ، والتشنج ، والصرع ، والسهاد ، والقلق ، والسهر ، والارتباك ، والأمراض النفسية ، والعصبية ، والغم ، والهم ، والحزن ، واللعنة في الدنيا والآخرة ، إلى غير ذلك مما ذكره أهل الطب ، مما يزيد على مائة مرض من أخطر الأمراض ؛ ومن أعظمها مرضا الإيدز ، والسرطان اللذان يصاب بهما كثير من الناس في هذا العصر ، حتى قال بعض الأطباء الأمريكيان : إن كل أربعة من عشرة من الأمريكيين مهددون بالإيدز ، بسبب المخدرات .

ويقول صاحب كتاب « دع القلق وابدأ الحياة » : إن الأمريكيان قد حفروا لأنفسهم قبوراً ، يردونها ؛ لأنهم ما عرفوا الله نصف ساعة في اليوم ، ثم صرح بأن السبب الرئيسي في ذلك هو تعاطي المخدرات ، التي أذهبت عقولهم .

ويقول إلكس كارلي في كتاب « الإنسان ذلك المجهول » : إن من أكبر الأسباب التي أدت إلى انهيار الإنسان في أوروبا ، هي تلك المخدرات التي انتشرت في مجتمعاتها .

سادساً : ومن أضرار المسكرات والمخدرات أيضاً ، أنها ضربة للأمة في قوتها واقتصادها ، في قوتها العسكرية وقوتها الصناعية ، ولذلك ذكر أهل التاريخ ، أنه في القرن السادس عشر الميلادي ، تواجه الصينيون واليابانيون ، فانهزم الصينيون وسحقوا ، فلما بحثوا في أسباب الهزيمة ، وجدوا أن من أعظم الأسباب ، هو انتشار الأفيون انتشاراً رهيباً بين صفوف الجيش الصيني ، مما اضطره إلى أن يترك المعركة وينسحب .

وهذا الأمر أيضاً كان معروفاً عند العرب ، فقد كانوا في الجاهلية يسمون الأفيون «عطر منشم» إذا شمه الجيش وأروح رائحته في المعركة انهزم وولى الأدبار .

وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى في ميميته وهو يمدح هرم بن سنان :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما * * * تَفَانُوا ودَقُّوا بينهم عطر منشم

● أيها الناس :

إن معنى تعاطي المخدرات في مجتمعاتنا ، والترويج لها ، أن نعيش في جو من الإرهاب ، بسبب تلك العصابات المجرمة ؛ أن لا نأمن بيوتنا ولا في أعمالنا؛ أن لا نأمن على زوجاتنا ولا أخواتنا ، معناه أن نقدم شبابنا لقمة سائغة إلى تلك الفئات الضالة ، فيصبحون شللاً من المجرمين والمنحرفين يهددون أمن هذه الأمة واستقرارها .

إن الصهيونية العالمية ، تخطط لإفساد شباب المسلمين ، ولذلك فإن إسرائيل عدوة الإنسانية من أكثر الكيانات التي تعمل على إغراق البلاد الإسلامية بالمخدرات ، وقد نشر هذا في بعض الإحصائيات .

ولكن ما هي الأسباب التي أدت بشبابنا ومجتمعاتنا إلى هذا التهتك والانحلال؟ اذكر من ذلك بعضاً من أهم هذه الأسباب .

السبب الأول : ضعف مراقبة الحي القيوم ، ومن لا يراقب الله يضيعه الله ، ولا يحفظه ، ومن لا يحفظه سبحانه وتعالى فقد هلك . قال تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف ، الآية : ١٧] .

لما ضعفت مراقبة الله تعالى في قلوب كثير من الناس ، بما فيهم الشباب سهل عليهم تعاطي المخدرات فاستحقوا غضب الله ومقته ؛ ولذلك فإن أعظم ما يوصى

به في هذا المقام وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك»^(١) فمن حفظ الله تبارك وتعالى ، فأحل ما أحل الله ، وحرم ما حرم الله ، وأدى الفرائض ، وانتهى عن النواهي ، حفظه الله ، ولم يضيعه .

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم»^(٢) .

فلما ترك هؤلاء صلاة الفجر في جماعة ، ابتلاهم الله بالكبائر ، وأخذهم من حيث لا يشعرون ، حتى وقعوا في مستنقع الرذيلة ، والجريمة ، والقبح ، والعياذ بالله .

والسبب الثاني : سوء التربية ، فإن مسؤولية الأب والأم كبيرة ، فالشباب الذي ينشأ على الأغنية والموسيقى ، لا يستغرب ولا يستبعد أن يتناول كأس الخمر ، أو يتناول الأفيون ، أو يتعاطى الحشيش ، أو يروج للمخدرات ، وما الذي يمنعه من ذلك ، وقد تربى على الأغنية الماجنة ، والأفلام الساقطة وعلى الجريمة والفحش .

ما تربى على سورة ﴿طه﴾ و﴿الواقعة﴾ و﴿ق﴾ ما سمع حديثاً من صحيح البخاري أو مسلم ، ما حضر درساً من دروس العلم .

فالأب والأم مسئولان أمام الله تعالى يوم القيامة عن ضياع هؤلاء الشباب .

السبب الثالث : الفراغ ، فلما فرغت قلوبهم من طاعة الله ، ومن ذكر الله ، ومن محبة الله ، امتلأت من محبة الشيطان ، فقاده كما تقاد الدابة حتى أورده مورد الهلاك .

(١) أخرجه الترمذي (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦) وقال : حسن صحيح ، وأحمد (٢٩٣/١) ، وصححه الألباني كما في صحيح رقم (٧٩٥٧) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٤/١) رقم (٦٥٧) .

والسبب الرابع: قرناء السوء ، والشلل البائرة الفاسدة ، التي مكرت بشبابنا ،
وصورت لهم الدين ، وحلقات العلم ، على أنها تخلف ورجعية ، وتزمت
وتأخر !! .

ولكن ها هو إنتاجهم على الصعيد الآخر ، وها هو التقدم الذي يزعمون ،
حتى أصبحنا نعيش على هامش الحياة ، وخلف سطور التاريخ !! .

مر أحدهم بأحد طلاب العلم وهو يقرأ في صحيح البخاري ، فقال له
ضاحكاً مستهتراً : الناس صعّدوا على سطح القمر ، وأنت تقرأ في هذا الكتاب !!
فرد عليه طالب العلم قائلاً : أنت ما قرأت في الكتاب وما صعّدت على سطح
القمر ، فأينا أفضل !! .

إنهم ما قدموا شيئاً ، ولم يحرزوا مجداً ، إنهم لا يجيدون إلا تقليد أوروبا
في ميوعتها ، وخنوتها ، وتدنيها ، وسخفها ، وسفهها ، لكنهم ما صنعوا لنا
طائرة ، ولا ثلاجة ، ولا قدموا لنا خدمات كما تفعل أوروبا ، فقد أضعوا الدين
والدنيا جميعاً .

كففير اليهود لا دين ولا دنيا

﴿ مُذَبَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٤٣] .

﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة الحج ، الآية : ١١] .

فتجد أحدهم يفتخر في المجالس أنه سافر إلى أمريكا ، وإلى لندن ، وإلى
باريس ، وأنه عاش هناك ، ودرس هناك ، وهذا والله ليس بشرف ، وإنما يحل لنا
السفر إلى هذه البلاد للضرورة كما يحل لنا لحم الميتة !! .

قال أهل العلم : لا يسافر إلى بلاد الكفر إلا لعلاج لا يوجد في بلاد
المسلمين أو دراسة دينوية ، لا تتحصل إلا في هذه البلاد ، أو للدعوة إلى الله عز
وجل .

فهل يذهب هذا العدد الكبير إلى هذه الدول للدعوة !!؟ .

هل يذكرون لا إله إلا الله في شوارع لندن وباريس؟! .

هل رفعوا لواء محمد ﷺ هناك؟! .

هل نشروا القيم والأخلاق؟ .

لقد ذهبوا هناك ، فأصبحوا أذل وأخس وأحقر من أبناء تلك الدول .

وما ذهبوا لعلاج ، والحمد لله فإن في بلادنا ما يكفي في هذا المجال .

وما ذهبوا لطلب العلم ؛ لأنهم ما قدموا لنا شيئاً ، وما أنتجوا لنا شيئاً .

منهم أخذنا العود والسيجارة * * * وما عرفنا ننتج السيارة

فمن أعظم الأسباب التي أدت إلى فساد كثير من الشباب ، السفر إلى هذه البلاد الغربية ، وخاصة إذا سافر المراهقون ، الذين لم يدركوا نعمة الإسلام ، فيذهب أحدهم ، فينسلخ من دينه ومن عقله ، ومن حياته ، ويعود في مسلاخ البهيمة والحيوان .

السبب الخامس : تعاطي بعض العقاقير عن طرق الخطأ ، أو بزعم أن فيها شفاء من بعض الأمراض ، أو أنها نافعة في تقوية شهوة الجنس ، وقد كذبوا ، لأنه ثبت عند أهل الطب من المسلمين أنها سبب لضعف شهوة الجنس ، وضعف النسل وتهديده .

فهذه بعض الأسباب التي أحدثت هذا الاضطراب وهذا الخلل في شباب الأمة ، فنسأل الذي بيده مفاتيح القلوب ، أن يرد شباب المسلمين إليه رداً جميلاً ، وأن ينقذنا من هذه الأزمات ، وأن يتوب على شبابنا إنه سميع قريب .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين؛ وقدوة الناس أجمعين ، صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● عباد الله : تكلمنا عن الأضرار وتكلمنا عن الأسباب ، وما أنزل الله داء إلا
وجعل له دواء ، فما العلاج إذن ، وما هو الدواء الشافي من هذه الأزمات التي
هزت مجتمعاتنا هزاً عنيفاً !؟

إن علاج ذلك يتلخص في عدة أمور :

أولها : وأعظمها وأشرفها العودة إلى الحي القيوم ، ومراقبته سبحانه وتعالى
وتقواه ، فإنها النجاح في الدنيا والآخرة .

قال سعيد بن المسيب وقد ذكر له رجل شرب الخمر ، ما سبب ذلك وقد كان
معنا؟ فقال : ترك طاعة الله ، فسقط من عين الله ، فرفع الله ستره عنه ، وإذا
أراد الله أن يرفع كنفه عن العبد ، خنلاه ونفسه ، ولم يستدركه بطاعة ، ولم
يلهمه رشده ، فتردى على وجهه في النار .

فأعظم العلاج ، أن نعود بشبابنا وأمتنا إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن نعتبر
بالأمم الأخرى التي سقطت على وجهها في الهاوية ، وحلت بها الكوارث ،
وفسد شبابها ومجتمعاتها ، ودب الاضطراب في كيانها ، وأصبح الانتحار عندهم
عادة مألوفة !! ، ثم إنهم يستدركون الآن أخطاءهم ، يقول كيرسيي ميريسون :
الآن عرفت الله ، لما رأيت أوروبا تزحف إلى النار .

والأمر الثاني : تربية شبابنا وأطفالنا على منهج : لا إله إلا الله ، وإدخال
الإسلام في حياتنا حقيقة لا اسماً ، أما أن نزعم بأننا مسلمون فقط لأننا نذهب
ونروح إلى المسجد ، فهذا ليس بصحيح .

معنى الإسلام: أن يكون المهيمن على بيتك وعملك وحياتك كلها هو الله سبحانه وتعالى ، وأن لا نتحاكم إلى أحد غير الله تعالى ، في كل شؤون الحياة ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [سورة الانعام ، الآيات: ١٦٢ ، ١٦٣].

والأمر الثالث: أن نتعلم النافع : الذي تحتاج له القلوب والأبدان، فملاً به أذهان الناس ، فراغ الناس ، حياة الناس، نقود الناس إليه ، نعمل على نشره وإيصاله إلى كل فرد من أفراد المجتمع ، ونحارب تلك العلوم الخبيثة السخيفة التي لا تنفع ولا تقرب إلى الله تعالى ، فهي ليست علوماً على الحقيقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : كل علم وفد إلى المسلمين فإن كان خيراً ، فإن عندنا من الخير ما يكفيننا ، وإن كان شراً ، فلسنا في حاجة إلى الشر.

فمن العلاج أن تأتي بشباب الأمة، ولنجلسهم في ندوات العلم ، وندعوهم إلى لقاءات العلماء والدعاة ، نجيب إليهم الكتاب والسنة ، ونرغبهم في دروس الفقه والتفسير والأصول ، لترتفع أصولهم إلى الله الحي القيوم ، ويملاها بالنور والإيمان .

والأمر الرابع : محاولة القضاء على الفراغ، فليس في حياة المسلم ما يسمى بوقت الفراغ ، والله - عز وجل - يقول : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية : ٦٠]. فمن كانت وجهته علمية فيذهب إلى المؤسسات العلمية ، من جامعات ومعاهد ، ومدارس ، وقد انتشرت والحمد لله ، مما يسهل على طالب العلم الالتحاق بها ، فعليه أن يبذل جهده في المذاكرة والتحصيل .

وإن كان له تميز وتخصص في مجال آخر فليذهب به إلى ما يجيده ، من تجارة نافعة ، أو صناعة ، أو عسكرية شريفة، يحمي دينه ووطنه ومقدساته .

فالقضاء على الفراغ في حياة الشباب المسلم ينبغي أن يكون من أول ما يوجه المصلحون عنايتهم إليه.

خامساً : الحفاظ على أبنائنا من قرناء السوء ، فإن بعض الآباء من الذين قل تدينهم وفقههم في دين الله ، يذهب ابنه الساعات والأيام ، ولا يسأله أين ذهب؟ ومع من كان؟ وأين نام؟ ولا يدري هذا الأب أن ابنه كان في جولة مع شياطين الإنس ، يسلخونه من دينه وعقله وإسلامه ، ليصبح فرداً من أفراد تلك العصابات الضالة ثم لا يتبته الأب ، إلا وابنه خلف الأسوار ، أو حين يطبق عليه حكم الله ، فيكون عاراً وفضيحة لأسرته وأمه في الدنيا والآخرة .

سادساً : ومن العلاج أيضاً ، أن لا نسكت على ترويح هذه السموم ، وأن نحارب كل مروج ومهرج ومفسد ، فنأخذ على يده ، ونخبر عنه ، إذا كان مجاهراً ، فإن التستر على المجاهر تعاون معه ومساعدة له ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ { المائدة : ٢٠ } .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾
{سورة آل عمران، الآية: ١١٠} .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما دخل النقص علي بني إسرائيل ، كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقيه من الغد ، فلا يمنعه ذلك ، أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قرأ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ { المائدة : ٧٨ ، ٧٩ } .

ثم قال ﷺ : «كلا والله .. لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه^(١) على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً»^(٢) .

(١) أصل الأطر : العطف والتشيبي ، أي : لتردنه إلي الحق . ولتعطفنه عليه .

(٢) أخرجه أبو داود (٤/١٢١ ، ١٢٢) رقم (٤٣٣٦) وأخرجه الترمذي (٥/٢٣٥) رقم (٣٠٤٧) وقال : حسن غريب .

● أيها المسلمون :

إن السعادة ليست في أن نجمع الأموال ، ولا أن نبني القصور ، ولا أن نتفاخر بالفلل ، فإن قصور أوروبا وأمريكا أطول من قصورنا ، وفللمهم أعظم من فللنا ، وسياراتهم أفخر من سياراتنا ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَبَّرُونَ . وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآيات : ٣٣-٣٥] .

فسعادتنا - أيها المسلمون - في حمل رسالة الله ، وسعادتنا في عبوديتنا لله ، وسعادتنا في تطبيقنا لشرع الله عز وجل .

ومما زادني شرفاً وفخراً * * * وكدت بإخمصي أطأ الشرياً
دخولي تحت قولك يا عبادي * * * وأن صيرت أحمد لي نبياً

فيا شباب الإسلام ..

عودة إلى الله ، عودة إلى المسجد ، عودة إلى المصحف ، عودة إلى حلقات العلم ، عودة إلى ربكم .

شباب الدين للإسلام عودوا * * * فأنتم مجده وبكم يسود
وأنتم سر نهضته قديماً * * * وأنتم فجره الباهي الجديد

أسأل الله لنا ولكم عودة صادقة إليه .

● عباد الله :

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الاحزاب : ٥٦] .

■ بطل المواجهة ■

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدهُ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

أيها الأخيار البررة:

نحن اليوم مع «بطل المواجهة» نتكلم اليوم عن بطل من الأبطال ، بطل في زهده وفي غناه ، بطل في شجاعته وفي إقدامه ، بطل في سلمه وفي حربه ، عاش بطلاً ، ومات بطلاً ، ويبعث - إن شاء الله - بطلاً .

نتحدث اليوم عن هذا البطل ؛ لأننا في عصر نحتاج فيه إلى الأبطال فلا نجدهم ، نبحث عن أبطال المواجهة في الحرب والسلام ، فلا نجد لهم أثراً .

إن هذا البطل ، بطل في مواجهة الكفر والوثنية ، بطل أمام اليهود والنصارى ، بطل أمام الظلم والظلام .

إنه علي بن أبي طالب !!

هل تريدون مني اليوم أن أعرف علي بن أبي طالب؟ بأي لسان أتكلم من على المنبر عن أبي الحسن؟ إنني أعلن أنني عاجز عن الوفاء بحقه، أو إنزاله منزلته، ولكن يكفيننا وفاء له أن قلوبنا تحبه، وتفرح لذكره، ودراسة سيرته.

أسلم علي بن أبي طالب وعمره عشر سنوات، فهو أول غلام في الأرض، يعلن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أسلم بين يدي الرسول ﷺ، فهو ابن عمه، وصهره وحييه. فلما أسلم علي رضي الله عنه، ضمه الرسول ﷺ إلى حنانه، إلى قلبه، إلى بيته، فأعطاه الرسول ﷺ، كل ما يملك أعطاه الحب أولاً، أعطاه العلم والهداية، وزوجه بابنته الزهراء، ولاءه المبارزة أمام الأبطال، مجده بالكلمات، ذب عنه وعن عرضه، وقف معه حتى مات ﷺ، وبقي علي.

ولما أراد النبي ﷺ أن يهاجر مختفياً، وكانت عنده أموال العرب، لأنه الأمين، استأمنوه على أموالهم، ثم كذبوه، ولكنه ﷺ ترك ودائعهم عند علي، ليردها إلى أصحابها، وخرج النبي ﷺ، متسللاً، وترك علياً في فراشه، فأتى إليه الكفار شاهرين سيوفهم، متوثبين للقتل وإراقة الدماء، إلا أنه كان ثابت الجأش، لم يخف ولم يضطرب؛ لأنه بطل المواجهة، ثم لحق بالرسول ﷺ في المدينة.

وفي سيرة علي رضي الله عنه قصص وسلوى للفقراء والمنكوبين، وفيها عزاء للمصابين المجروحين، وفيها تخفيف عن المضطهدين والمظلومين.

فسيرة علي، تمسح دموع البائسين، وتخفف الألم عن المحرومين، فهي قصة طويلة، يستفيد من أحداثها كل مسلم على وجه الأرض.

لما وصل إلى المدينة، أعطاه ﷺ جائزة كبرى، هل هي قصر؟ أو فيلا؟ أو مال؟ لا، وإنما أعلن أمام الناس، وأمام الأجيال، أن علي بن أبي طالب، يحب الله ورسوله، وأن الله ورسوله، يحبان علي بن أبي طالب.

فما سبب هذه المنحة الكبرى؟ والجائزة العظمى؟ .

حاصر صلى الله عليه وسلم خيبر ، حاصر اليهود في خيبر ، قبل أن يجلبوا منها بالقوة والحديد والنار .

اليهود هم أعداء الله ؛ لأنهم سبوا الله ، وقتلوا الأنبياء ، وحرفوا كلام الله ، وبدلوا شرائع الله ، وقتلوا الموحدين ، واليوم يجلسون على مائدة المفاوضات يناقشون مستقبل الأمة الإسلامية !!

حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ضيق عليهم الخناق ، وحاول أن يفتح مدينة خيبر ، فاستعصت عليه ، كانت متمنعة ، أرسل أبا بكر الصديق فما استطاع ، أرسل عمر فما استطاع ، فاهتم الناس همماً شديداً ، وباتوا ليلة طويلة ، فقام صلى الله عليه وسلم ، وسط الليل يقول : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه ، فبات الناس يدوكون ليلتهم ^(١) ، أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس ، غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله . قال : فأرسلوا إليه ، فأتوني به ، فلما جاء ، بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال عليٌّ : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم ^(٢) .

انطلق عليٌّ رضي الله عنه يحمل الراية ، ووقف على أسوار إخوان القردة والخنازير يناديهم إلى الحق ، ويدعوهم إلى العدل ، أيها الناس . . . اسمعوا . . . عوا . . . استفيقوا . . . استيقظوا . . . تنبهوا ، ولكن لأن القرد لا يفهم ، ولو رأى إشارتك

(١) يدوكون : يخوضون ويتساءلون .

(٢) أخرجه البخاري (٤ / ٢٠٧) .

وعرف كلامك ، ولأن الخنزير مطموس على بصيرته طمساً ، لم يسمعوا ، ولم يروا ، ولم يهتموا .

فلما رأى علي رضي الله عنه أن المفاوضات غير مجدية ، وأن المناقشات معهم لا توصل إلى حلول ، كان عنده حل آخر دعا بطلهم للمبارزة علناً أمام الجماهير ، فتنزل مرحب اليهودي الحسيس ، وكان شجاعاً فقال :

قد علمت خبيراً أني مَرَحَبٌ

شاكِي السلاح بطل مجرَّبٌ

إذا الحروبُ أقبلت تلهَّبُ

فنزول إليه علي بن أبي طالب مردداً :

أنا الذي سمّني أمي حيدرَه

كسليث غابات كرية المنظرَه

أكيلهم بالسيف كيل السندرَه

فتنازل الصديق علي بن أبي طالب مع الزنديق مرحب اليهود ، فقطعه علي بسيفه ، وقيل : إنه قسمه بالسيف نصفين ، إلى الهاوية ، إلى النار ، وافتتح علي خيبر ، كما أخبر بذلك الرسول صلّى الله عليه وآله : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، أو يحب الله ورسوله ؛ يفتح الله عليه» .

أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نسب الرسول صلّى الله عليه وآله فذهب ليخطب فاطمة الزهراء البتول ، سيدة نساء العالمين ، وقف أمام الرسول صلّى الله عليه وآله يريد أن يتكلم معه فما استطاع .

حياءٌ من إلهي أن يراني * * * وقد ودّعتْ صحبك واصطفاك

فتبسّم صلّى الله عليه وآله وعرف مقصده ، فقال : يا علي ، أتريد فاطمة زوجة لك ؟

قال : نعم ، قال : عندك مهر ؟ ويعلم عليه الصلاة والسلام ، أن علياً لا يملك درهماً ولا ديناراً ، ولا ذهباً ولا فضة ، ولا قصراً ولا حديقة ، ولكنه يملك إيماناً كالجبال ، يملك تاجاً على رأسه «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله» ، يملك أنه بطل للمواجهة .

قال : يا رسول الله ، ما عندي شيء ، قال : «أين درعك الحطمية»^(١) قال : درع لا تساوي درهمن ، فأتى به علي ، وسلمه للرسول ﷺ ، فعقد لهما علي ، وتزوج علي فاطمة الزهراء ، وأنجبت له الحسن والحسين ، سيدا شباب أهل الجنة .

هي بنت من ؟ هي زوج من ؟ هي أم من ؟ .

من ذا يساوى في الأنام علاها

أما أبوها فهو أشرف مرسل * * * جبريل بالتوحيد قد ربأها
وعلي زوج لا تسل عنه سوى * * * سيف غدا بيمينه تياها
ودخل بها بيته ، الذي أسسه علي تقوى من الله ورضوان ، وأصبح صهر رسول الله ﷺ .

خرج ﷺ إلى تبوك وخلف علياً على المدينة ، خلفه لأنه شجاع وبطل للمواجهة ، فلا يحمى العرض إلا مثل علي بن أبي طالب ، ولا يدفع الضيم إلا مثل علي بن أبي طالب ، جعله في المدينة يحمي ما وراء الرسول ﷺ ، فجاء المنافقون إلى علي بن أبي طالب ، وقالوا : يا علي ، إن الرسول ﷺ استثقلك ، إنك ثقیل عليه ، تركك في المدينة وخرج إلى تبوك ، سبحان الله ! محمد يستثقل علياً ، فلحق علي رسول الله ﷺ ، وهو في طريقه إلى تبوك ، فأخبره بما يقول الناس ، فتضحك النبي ﷺ ، ثم قال : «يا علي ،

(١) أخرجه أبو داود (٢ / ٢٤٠) رقم (٢١٢٥ ، ٢١٢٦) والنسائي (٦ / ١٢٩ ، ١٣٠) رقم (٣٣٧٥ ، ٣٣٧٦) .
وأحمد (١ / ٨٠) .

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي» (١) .
وهذه بشارة أخرى لعلي بن أبي طالب ، ومنقبة عظيمة تضاف إلى مناقبه أنه
من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى .

كان علي رضي الله عنه بطلاً للمواجهة ، يؤدب به الرسول ﷺ ، أعداء الله ، كان
الرسول ﷺ ينتدبه كلما انتدب رجلاً لمواجهة الموت .

في بدر ، وقبل احتدام المعركة ، دعا الرسول ﷺ أبطال المسلمين ، لبيارزوا
أبطال الكفر ، فقال : أين علي بن أبي طالب ، قال : ها أنا يا رسول الله ،
فخرج ، وبارز قرنه الوليد بن عتبة ، فقتله علي ، ثم اشتبك مع الكفار في
صراع دام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة .

كان يقرأ القرآن ، فقرأ قوله تعالى : ﴿ هَذَا نَحْصَانٌ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ سورة
الحج ، الآية : ١٩ . فبكى وقال : أنا أحد الخصمين يوم القيامة ، وذلك لأنه كان خصماً
للكفر والوثنية والإلحاد ، أما الوليد وأمثاله ، فيبعثون يوم القيامة خصوماً للإسلام
والتوحيد والحق والعدل ، ثم يفصل الله - عز وجل - بين الفئتين يوم القيامة ،
﴿ وَلَا يَظَلُّ رَيْبُكُمْ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف ، الآية : ٤٩ .

وتتكرر المسألة مع علي بن أبي طالب في الأحزاب ، فيحاصر الرسول ﷺ
حصاراً دامياً من مشركي العرب ، واليهود ، والقوميين الخونة ، والنصارى ،
والمنافيقين ، ويأتي بطل من أبطال الكفر ، اسمه عمرو بن ود ، فيدعو المسلمين
للمبارزة ، فيقول : من يبارز أيها المسلمون؟! فيسكتون ، من يتقدم لبيارزني أمام
الجماهير؟ فلا يبرز أحد ، ولكن علياً لا يرضى بذلك ، فيقول : أنا يا رسول

(١) أخرجه مسلم (٤ / ١٨٧١) رقم (٢٤٠٤) وليس فيه قصة المنافيقين ، وهذا السياق ذكره الهيثمي في مجمع
الزوائد (٩ / ١١٤) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، في أحدهما ميمون أبو عبد الله البصري ، وثقه ابن
حبان ، وضعفه جماعة ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح ، وقوله : « أما ترضى ... إلخ » أخرجه البخاري
(٤ / ٢٠٨) .

الله، يحب المواجهة، دائماً روحه على كفه، يقدمها رخيصة لنصرة الدين، وإعلاء راية التوحيد.

أرواحنا يارب فوق أكفنا * * * نرجو ثوابك مغنماً وجواراً

فقال صلى الله عليه وسلم: إنه عمرو بن ود!! قال: ولو كان عمرو بن ود، فنزل له علي رضي الله عنه وتبارز البطلان، بطل الإسلام، وبطل الكفر، وبرقت السيوف، وارتفع الغبار، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله لينصر علياً، وانجلى الغبار، وإذا بعلي واقف على صدر عمرو، وقد قطع رأسه، وسيفه يقطر دماً، فكبر الرسول صلى الله عليه وسلم، الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. وكبر معه المسلمون، إنه بطل المواجهة.

وفي البخاري، في كتاب الرقاق، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» (١).

كان فقيراً لا يملك قليلاً ولا كثيراً، تولى الخلافة خمس سنوات، كانت كلها مواجهة؛ واجه الخوارج وأدبهم، وواجه المتمردين وطاردهم، وواجه البغاة وشتتهم، فحياته كلها مواجهة، قلبه مجروح، وجسمه مجروح، وعرضه مجروح من أهل النفاق والريبة.

لقي علي رضي الله عنه طلحة في الجمل، في ذاك الصراع الذي نكف عنه، ونكل أمرهم فيه إلى الله، ونسأله تبارك وتعالى أن يجمعنا بهم في دار كرامته، قتل طلحة في هذه الفتنة، وراه على مجندلاً في دماثة، فنزل ومسح التراب من على وجهه، وبكى طويلاً، وقال: أسأل الله أن يجعلني وإياك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر، الآية: ٤٧].

(١) أخرجه البخاري (٧ / ١٧١).

تولى علي الخلافة خمس سنوات ، ولكنه ظل فقيراً ، لم يشبع ولو يوماً واحداً ، رجع إلى أهله ذات يوم ، فقال : عندكم طعام ؟ قالوا : لا !! عندكم شيء ؟ قالوا : لا !! فخرج بسيفه الذي هو سيف الرسول ﷺ واسمه ذو الفقار ، فوقف أمام أهل العراق يقول لهم : قاتلكم الله يا أهل العراق ، أموت أنا وأسرتي جوعاً ، وهذا سيف الرسول ﷺ معي ، ولطالما جليت به الكربات عن وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : من يشتريه مني بطعام ليلة !! .

لا يجد قوت يومه وهو الذي ذهب إلى بيت المال ، وكان مملوءاً بالطعام والمال والسلاح ، فوزع ما فيه في يوم واحد ، ورش عليه الماء ، وصلى ركعتين ، وقال : اللهم اشهد أنني ما أبقيت لنفسي منه درهماً ولا ديناراً ، ولا حبة ولا قمرة ولا زبيبة .

مرض علي ﷺ قبل أن يموت فعاده أبو فضالة الأنصاري ، وقال له : ما يقيمك بهذا المنزل ، ولو هلكت به ، لم يلك إلا أعراب جهينة ، فلو دخلت المدينة ، كنت بين أصحابك ، فلو أصابك ما تخاف ، أو نخاف عليك ، وليك أصحابك ، وكان أبو فضالة من أهل بدر ، فقال علي : إني لست ميتاً من مرضي هذا ، إنه عهد إلي النبي ﷺ ، أنني لا أموت حتى تُخَضَّبَ هذه من هذه ^(١) .
يعني تخضب لحيته من صدغه ﷺ .

عاش ﷺ بطلاً ، وأسلم بطلاً ، وجاهد بطلاً ، ومات بطلاً ، ويبعث إن شاء الله بطلاً .

علو في الحياة وفي الممات * * * بحق تلك إحدى المكرمات

كان يقول ﷺ : متى يبعث أشقاها !!؟ يشير إلى قول النبي ﷺ : «إنك ستضرب ضربة هاهنا وضربة هنا ، وأشار إلى صدغه ، فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك ، ويكون صاحبها أشقاها ، كما كان عاقر الناقة ، أشقى ثمود» ^(٢) .

(١) قال الهيثمي في المجمع (٩ / ١٤٠) رواه البزار وأحمد بنحوه ، ورجاله موثقون .

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٩ / ١٤٠) : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

خرج علي رضي الله عنه قبل صلاة الفجر ليوظ المسلمين للصلاة، ثم دخل المسجد، فوجد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي المارد الخبيث، وجده منبطحاً على بطنه، وقد جعل سيفه مما يلي الأرض مسلولاً، فركله علي برجله وقال: لا تنم على بطنك، فإنها نومة أهل النار، وافتتح علي ركعتين، فوثب عليه الخارجي عدو الرحمن، فضربه بالسيف علي صدغه فانفلق، فقال علي: الله أكبر.. لله الأمر من قبل ومن بعد، فسقط علي وجهه، وسالت لحيته دماءً غزيراً، وحمل إلى البيت، وبكى المسلمون جميعاً، بكى الرجال والنساء، والشيوخ والأطفال، وتحولت بيوت المسلمين إلى مناحات، ليكون بطل المواجهة.

قامت عجوز تبكي، وتعب عن جراحها وأسأها، فقالت بيتاً من الشعر، فيه لوعة وأسى وحرقة على هذا البطل العظيم، قالت:

يا ليتها إذ فدت عمراً بخارجة

فدت علياً بمن شاءت من البشر

تقول: يا ليت المنية، يوم تركت عمرو بن العاص، وأصابك خارجة رئيس الشرطة، وقتل خارجة وسلم عمرو وكان هو المقصود بالقتل، يا ليتها تركت علياً وأصابت من شاءت من البشر.

أبا حسن لهفي لذكراك لهفةً * * * يياشر مكواها الفؤاد فينضج
متى تستعيد الأرض ثوبَ جمالها * * * فتصبح في أثوابها تبهرج
عفاءً علي دنيا رحلت لغيرها * * * فليس بها للصالحين مخرج
كدأب علي في المواطن كلها * * * أبي حسن والغصن من حيث يخرج

قتل علي بن أبي طالب، وقد كان ينتظر الموت، وينتظر الشقي الذي سيقضي عليه، وكان دائماً يتمثل بهذين البيتين:

أشد حيازيمك للموت * * * فإن الموت لاقبكا
ولا تجزع من الموت * * * فإن الموت آتيكا

• أيها المسلمون :

لماذا نتحدث اليوم عن علي بن أبي طالب ؟ لماذا نخص اليوم علي بن أبي طالب ؟ .

إننا نتحدث عن علي بن أبي طالب في هذا اليوم، لأنه بطل المواجهة، ونحن نفتقر إلى المواجهة، لا نتحمل المواجهة، أمة سلمت قيادها لغيرها، أمة سحقت كرامتها ، لأنها لا تملك بطلاً للمواجهة .

أمة أصبح القرار بيد غيرها لأنها لا تقوى على المواجهة .

إن علي بن أبي طالب قدوة لكم أيها الشباب ، وأستاذ لكم أيها الأطفال ، وهو شيخ للشيوخ وبطل للأبطال .

إن علي بن أبي طالب يكفيه أنه يحب الله ورسوله ، وأن الله ورسوله يحبانه .

سلام عليك يا علي بن أبي طالب ، يوم أسلمت ، ويوم هاجرت ، ويوم بايعت ، ويوم قتلت ، ويوم تبعث حياً .

• عباد الله :

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، وقدوة الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

● أما بعد .. أيها المسلمون:

يعيش معنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دائماً وأبداً ، في مشاعرنا ، وآمالنا ، وطموحاتنا .
يعيش معنا ، قدوة ، وأسوة ، وإماماً ، ومعلماً ، وأباً ، وقائداً ، ومرشداً .
يعيش معنا في ضمائرنا عظيمًا ، وفي قلوبنا رحيمًا ، وفي أبصارنا إمامًا ،
وفي آذاننا مبشرًا ونذيرًا .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٣٣] .

نسينا في ودادك كل غالي * * * فأنت اليوم أغلى ما لدينا
نلام على محبتكم ويكفي * * * لنا شرف نلام وما علينا
ولما نلقكم لكن شوقًا * * * يذكرنا فكيف إذا التقينا
تسلى الناس بالدنيا وإننا * * * لعمر الله بعدك ما سلينا
تحدث القرآن عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا هو الخلق العظيم ، وإذا هو الرؤوف
الرحيم .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم ، الآية : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٢٨] .

وسئلت السيدة عائشة عن أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت : « كان خلقه القرآن » (١) .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٥١٣) رقم (٧٤٦) .

وعلق الله الهداية على اتباعه ﷺ فقال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ {النور: ٥٤}.

ونفى الإيمان عن البشرية إذا لم تتحاكم إليه ، وتسلم له قيادها ، فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {النساء: ٦٥} . وجعل الله محبته موقوفة على اتباعه ﷺ ، فقال: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ {سورة آل عمران ، الآية: ٣١} .

وحذر الله من مخالفته فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {سورة النور ، الآية: ٦٣} .

فيا أمة الإسلام ، ويا إخوة العقيدة ، ويا أبناء الرسالة الخالدة ، هذا نبيكم ﷺ ، وهذا فضله ، ووصفه ، وشرفه ، فلماذا تبثثون عن غيره ؟ ولماذا تلتمسون سواه ؟ .

إن هناك آداباً تجاه رسول الله ﷺ ، ينبغي أن يتأدب كل مسلم ، وكل مؤمن ، وكل موحد بها معه ﷺ .

ورأس هذه الآداب : كمال التسليم له ، والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يعارضه ، أو يُحَمِّله شبهة وشكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، فينبغي أن يوحد الرسول ﷺ بالتحكيم والتسليم ، والانقياد والإذعان ، كما يوحد الله - عز وجل - بالعبادة ، والخضوع ، والذل ، والإنابة ، والتوكل .

ومن الأدب مع الرسول ﷺ : أن لا يتقدم بين يديه بأمر ، ولا نهى ، ولا إذن ، ولا تصرف ، حتى يأمر هو ، وينهى هو ، ويأذن ويتصرف ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ {الحجرات: ١} .

وهذه الآية باقية إلى يوم القيامة ، لم تنسخ بوفاته ﷺ ، كما يزعم المارقون ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم .

قال مجاهد رحمه الله في معنى الآية: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ .
وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر ، ولا تنهوا حتى ينهى .

ومن الأدب معه ﷺ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره . قال تعالى: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [سورة النور ، الآية: ٦٣] .
وفيه قولان للمفسرين :

أحدهما: لا تدعونه باسمه ، كما يدعو بعضكم بعضًا ، بل قولوا : يا رسول الله ، يا نبي الله .

الثاني: أن المعنى ، لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا ، إن شاء أجب ، وإن شاء ترك ، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته ، ولم يسعكم التخلف عنه البتة .

ومن الأدب معه ﷺ : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع ، من خطبة ، أو جهاد ، أو رباط ، لا يجوز لأحد منهم أن يذهب في حاجته مذهبًا ، حتى يستأذنه ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [سورة النور ، الآية: ٦٢] .

ومن الأدب معه ﷺ عدم استشكال قوله ، بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يعرض نصه بقياس ، بل تهدر الأقيسة ، وتلقى لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته ، لخيال يسميه أصحابه معقولاً . نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة .

ومن الأدب معه ﷺ : أن لا يتهم العبد دليلاً من أدلة الدين ، أو حديثاً من أحاديث سيد المرسلين ، بحيث يظنه فاسد الدلالة ، أو ناقص الدلالة ، أو أن غيره كان أولى منه ، ولكن ليتهم فهمه هو ، وعقله هو ، وليعلم أن الآفة منه ، والبلية فيه ، كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً * * * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه . * * * على قدر القرائح والفهوم
وهذا هو الواقع ، وتلك هي الحقيقة ، فإنه ما اتهم أحد دليلاً من أدلة
الدين ، إلا وكان المتهم هو الفاسد الذهن ، المأفون في عقله وذهنه ، فالآفة في
الذهن العليل ، لا في نفس الدليل .

قال الشافعي رحمه الله : أجمع المسلمون ، على أن من استبان له سنة
رسول الله ﷺ ، لم يحل له أن يدعها لقول أحد (١) .

فاتقوا الله عباد الله ، وتأدبوا مع نبيكم ﷺ ، وحكموه في أموركم ،
وانصروا دينه وستته ، ولا تعرضوا عنه ، كما عرضت الأمم الأخرى عن
أنبيائها ، فإن في الإعراض عنه ﷺ الهلاك والدمار في الدنيا ، والخزي والندامة
يوم القيامة .

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
(سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦) .

وقد قال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (٢) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا
في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .



(١) انظر : تهذيب مدارج السالكين ، منزلي « التواضع ، والأدب » .

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ خطبة عيد الأضحى ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ {سورة الانعام، الآية : ١} .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {سورة فاطر، الآية : ١} .

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً ، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .

وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً .

الحمد لله خيراً مما نقول ، وفوق ما نقول ، ومثل ما نقول .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالإسلام ، ولك الحمد بالقرآن ، عز جاهك ، وجل ثناؤك ، وتقدست أسماؤك ، لا إله إلا أنت .

في السماء ملكك ، وفي الأرض سلطانك ، وفي البحر عظمتك ، وفي الجنة رحمتك ، وفي النار سطوتك ، وفي كل شيء حكمتك وآيتك ، لا إله إلا أنت .

اللهم لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

الله أكبر .. كبيراً . والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

الله أكبر كلما مع نجم ولاح ، الله أكبر كلما توضع مسك وفاح ، الله أكبر كلما غرد حمام وناح .

الله أكبر كلما رجع مذنب وتاب ، الله أكبر كلما رجع عبد وأتاب ، الله أكبر كلما وسد الأموات التراب .

الله أكبر ما وقف الحجيج بصعيد عرفات ، وباتوا بمزدلفة في أحسن مبات ، ورموا الجمار بمنى تلك الجمرات .

الله أكبر كلما ارتفع علم الإسلام ، الله أكبر كلما طيف بالبيت الحرام ، الله أكبر كلما دكدكت دولة الأصنام .

لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة القصص ، الآية: ٢٨٨].

لا إله إلا الله :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : ٢٦ ، ٢٧].

لا إله إلا الله يفعل ما يريد، لا إله إلا الله ذو العرش المجيد ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض وهو على كل شيء شهيد.

سبحان الله . . سبحان الله

سبحان من قهر بقوته القياصرة، وكسر بعظمته الأكاسرة ، الذين طغوا وبغوا، فأرداهم ظلمهم في الحافة.

اللهم صلِّ على نبيك الذي بعثته بالدعوة المحمدية ، وهديت به الإنسانية، وأنرت به أفكار البشرية ، وزلزلت به كيان الوثنية.

اللهم صلِّ وسلم على صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود ، والصراط الممدود. اللهم صلِّ وسلم على حامل لواء العز في بني لؤي ، وصاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي ، صاحب الغرة والتحجيل ، المذكور في التوراة والإنجيل . اللهم صلِّ على من رفعت له ذكره، وشرحت له صدره ، ووضعت عنه وزره.

اللهم صلِّ وسلم على من جعلته خاتم الأنبياء ، وخير الأولياء، وأبر الأصفياء ، ومن تركنا على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا أهل الأهواء ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

● أيها الناس :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . نعم ، نعيش هذه المناسبة الكبرى يوم نتذكر فضل لا إله إلا الله وعظمة لا إله إلا الله وقدسيتها لا إله إلا الله .

أي أمة كنا قبل الإسلام ، وأي جيل كنا قبل الإيمان ، وأي كيان نحن بغير القرآن .

كنا قبل لا إله إلا الله : أمة وثنية ؛ أمة لا تعرف الله ، أمة تسجد للحجر ، أمة تغدر ، أمة يقتل بعضها بعضاً ، أمة عاقبة ، أمة لا تعرف من المبادئ شيئاً .

فلما أراد الله أن يرفع رأسها ، وأن يعلي مجدها ؛ أرسل إليها رسول الهدى ﷺ .

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة ، الآية : ٢].

إن البرية يوم مبعث أحمد * * * نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من * * * خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة * * * جبت الكنوز فكسرت أغلالها
لما رآها الله تمشي نحوه * * * لا تنتظر إلا رضاه سعى لها

فأتى ﷺ فصعد على الصفا ، ونادى العشائر والبطون ، ثم قال لهم لما اجتمعوا : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فقامت دعوته على لا إله إلا الله ، كما كانت دعوة الأنبياء من قبله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الانبياء، الآية: ٢٥].

ومعنى لا إله إلا الله ؛ لا معبود بحق إلا الله .

ومعنى لا إله إلا الله ؛ لا مطلوب ولا مرغوب ولا مدعو إلا الله .

ومعنى لا إله إلا الله ؛ أن تعيش عبداً لله ، فتكون حياً بقوة لا إله إلا الله ،

وتموت على لا إله إلا الله ، وتدخل الجنة على لا إله إلا الله .

ومعنى لا إله إلا الله ؛ أن ترضى بالله رباً وإلهاً ، فتتحاكم إلى شريعته ،

ولا ترضى شريعة غيرها . فمن رضي غيرها شريعة ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، ولا كلاماً . ولا ينظر إليه ، ولا يزكيه ، وله عذاب أليم .

ومعنى لا إله إلا الله ؛ أن ترضى برسول الله ﷺ ، قدوة ، وإماماً ، ومربياً ، ومعلماً ، فتجعله أسوة لك : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الاحزاب، الآية : ٢١] .

ومعنى لا إله إلا الله ؛ أن ترضى بالإسلام ديناً ، فإنك إن لم ترض به ديناً غضب الله عليك ، وكشف عنك سترة . ولم يحفظك فيمن حفظ ، ولا تولاك فيمن تولى .

جاء بها ﷺ ، فأعلنها صريحة ؛ أنه لا إله إلا الله ، فاستجاب له من أراد الله رفع درجته ، وصم عنها من أراد الله عذابه في الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الصفات، الآية : ٣٥] استجاب له أصحابه الأبرار ، وأحبابه الأطهار ، فقتلوا بين يديه .

يأتي عبد الله بن عمرو الأنصاري يوم أحد فيعلم أنه لا إله إلا الله ، ويفيض حباً لـ : لا إله إلا الله ، ويرفع طرفه قبل المعركة ويقول : اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضى .

فيقتل ، ويقطع ، يقول جابر بن عبد الله عن أبيه : لما كان يوم أحد جيء بأبي مسجياً ، وقد مثل (١) به ، فأردت أن أرفع الثوب ، فنهاني قومي ، فرفعه رسول الله ﷺ ، أو أمر به فرفع ، فسمع صوت باكية أو صائحة ، فقال : « من هذه؟ » فقالوا بنت عمرو ، أو أخت عمرو . فقال : « ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » (٢) .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٤/٢٩٤) يقال : مثلت بالقتيل ، أمثل به مثلاً ، إذا جعدت أنفه ، أو أذنه ، أو مذاكيره ، أو شيئاً من أطرافه . والاسم : المثلة . فأما : مثل بالشديد ، فهو للمبالغة .

(٢) أخرجه البخاري (٢/٨٢) ، ومسلم (٤/١٩١٧، ١٩١٨) رقم (٢٤٧١) .

وفي رواية قال جابر : فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعلوا يتهونني ، ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، قال : وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه .
فقال رسول الله ﷺ : «تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه» (١).

فجعل الله روحه ، وأرواح إخوانه ، في حواصل طير خضر تَرِدُ الجنة ، فتأكل من أشجارها ، وتشرب من أنهارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

أي أمة كنا ، وأي أمة أصبحنا !! وأي أمة سوف نكون !!

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

● عباد الله :

يا من لبس الجديد ، يا من اغتسل بالماء البارد ، يا من أتيتم إلى هذا المصلى ، هل ذكرتم من صلى معكم في العام الماضي من الآباء والأجداد ، من الأحباب والأولاد؟ ؛ أين ذهبوا؟ كيف اختطفهم هاذم اللذات؟ آخذ البنين والبنات ، مفرق الجماعات . أسكتهم فما نطقوا ، وأرداهم فما تكلموا ، والله لقد وسدوا التراب، وفارقوا الأحباب، وابتعدوا عن الأصحاب ، فهم من الحفر المظلمة مرتهنون بأعمالهم ، كأنهم ما ضحكوا مع من ضحك ، ولا أكلوا مع من أكل ، ولا شربوا مع من شرب .

اختلف على وجوههم الدود ، وضائق عليهم ظلمة اللحود ، وفارقوا كل مرغوب ومطلوب ، وما بقيت معهم إلا الأعمال .

فهل ذكر ذاكر ذاك القدوم؟ وهل أعد لذاك المصير؟ وهل أعد العدة لذلك الموقف الخطير؟

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

(١) أخرجه البخاري (٧١/٢) ، ومسلم (١٩١٨/٤) رقم (٢٥٥٤).

● أيها الناس :

أذكركم ونفسي بتلك الشعيرة العظيمة ، بتلك الفريضة الجليلة ، بالصلوات الخمس ؛ لا حظ في الإسلام لمن تركها ، من تركها فعليه لعنة الله ، من تركها خرج من ذمة الله ، من تركها أحل دمه وماله وعرضه .

تارك الصلاة عدو لله ، عدو لرسول الله ، عدو لأولياء الله .

تارك الصلاة محارب لمنهج الله ، تارك الصلاة مغضوب عليه في السماء ، مغضوب عليه في الأرض .

تارك الصلاة تلعنه الكائنات ، والعجماوات . تتضرر النملة في جحرها من تارك الصلاة ، وتلعنه الحيتان في الماء لأنه ترك الصلاة .

تارك الصلاة لا يؤاكل ، ولا يشارب ، ولا يجالس ، ولا يرافق ، ولا يصدق ، ولا يؤتمن .

تارك الصلاة خرج من الملة ، وتبرأ من عهد الله ، ونقض ميثاق الله .

تارك الصلاة يأتي ولا حجة له يوم العرض الأكبر .

الله الله في الصلاة ، فإنها آخر وصايا محمد ﷺ ، قبل فراق الدنيا ،

وهو في سكرات الموت .

● عباد الله :

لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، أوصيكم ونفسي بصلاة الجماعة ، والمحافظة عليها في المساجد ، فمن صلاها بلا عذر في بيته فلا قبلها الله ، فإن من شروط صحتها صلاتها في جماعة ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم

أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» (١) .
الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

• عباد الله :

أوصيكم ونفسي بعد تقوى الله - عز وجل - بصلة الرحم ؛ فإن الله - تبارك وتعالى - لعن قاطعي الأرحام ، فقال - عز من قائل - ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد ، الآية : ٢٥] .

وقال جل ذكره : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ [سورة محمد ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣] .

فقاطع الرحم ملعون ، لعنه الله في كتابه ، وصح عنه ﷺ أنه قال :

« لما خلق الله الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك . قالت : بلى يا رب . قال : فذلك لك » (٢) .

فعهد الله أن يصل من وصل رحمه ، وعهد الله أن يقطع من قطع رحمه . وهذا العيد - يا عباد الله - من أكبر الفرص للعودة إلى الحي القيوم ، فمن لم يعد إلى الله فما استفاد من العيد ، ومن لم يتفقد أرحامه بالصلة والزيارة والبر فما عاش العيد .

العيد أن تصل من قطعك ، العيد أن تعطي من حرمك ، العيد أن تغفو عن ظلمك ، العيد أن تسأل السخيمة من قلبك ، العيد أن تخرج البغضاء من روحك ، العيد أن تعود إلى جيرانك بالصفاء والحب والبسمة ، العيد أن تدخل

(١) أخرجه البخاري (١٥٨/١) ، ومسلم (٤٥١/١ ، ٤٥٢) رقم (٦٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (٨/١٩٩) ، ومسلم (٤/١٩٨١) رقم (٢٤٧١) .

الطمأنينة في قلوب المسلمين ، العيد ألا يخافك مسلم قال ﷺ : «والله لا يؤمن . والله لا يؤمن . والله لا يؤمن» . قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : «الذي لا يأمن جاره بوائقه» (١) .

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

● عباد الله :

أذكركم ونفسي آلاء الله ، ونعم الله ، وعطاء الله ، فاشكروه - سبحانه وتعالى - يزدكم ، فإنه من لم يشكر الله - عز وجل - أصابه موعوده - سبحانه وتعالى - من الهلاك والدمار :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١١٢] .

انظروا أي نعمة نعيشها ؛ نعمة الأمن في الأوطان ، والصحة في الأبدان ، وتحكيم الشريعة والقرآن .

انظروا جيراننا من الدول والشعوب ، يوم تركوا تحكيم شرع الله ، وكتاب الله ، غضب الله عليهم ، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

منهم من ابتلاه الله بالحروب فدكدكت منازلهم بالمدافع والقنابل والصواريخ ، وقتل أطفاله ، وشرد عياله ، فلم يعلم يمينه من شماله ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة هود ، الآية : ١٠٢] .

ومنهم من ابتلاه الله بالأمراض والأسقام التي لم تكن من قبل ؛ لأنه ارتكب الفاحشة ، وابتعد عن منهج الله ، وترك شريعة الله ، فعاش الخوف والغضب والمقت في الدنيا والآخرة .

(١) أخرجه البخاري (٧٨/٧) واللفظ له ، ومسلم (٦٨/١) رقم (٤٦) ، ولفظه : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» . والبواقي : جمع بائقة ، وهي الغائلة والداهية والشرور .

فاذكروا هذه النعم ، وتصدقوا عنها بالشكر والبذل والعطاء ، وأداء ما افترض الله ، فإن كثيراً من الشعوب التي ترونها تعيش الفقر والجوع ، كانوا في أرغد العيش وأهنئه ، لكنهم كفروا بنعمة الله ، وبدلوا دين الله ، وجحدوا شرع الله . وهذه البلاد لما أنعم الله عليها بتحكيم الشريعة ، رغد عيشها، وكثر خيرها ، وهنأ شعبها ، فليس لنا - والله - إلا أن نتمسك بهذا الدين ، وأن نعص بالنواجذ على هدي سيد المرسلين ، فهذا هو السبيل الوحيد لاستبقاء النعم وعدم زوالها .

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

● أيها المسلمون :

تعيش الأمة الإسلامية اليوم صحوة إسلامية مباركة ، تعيش الأمة عوداً حميداً إلى الله . نسأل الله أن يبارك هذه الصحوة ، وأن يحفظها ، وأن يثمرها ، وأن يوجهها ، وأن يهديها سواء السبيل .

لكننا نخاف على هذه الصحوة من صنفين :

- متشدد في دين الله ، نفسه نفس خارجي ، علم ظاهر القرآن ، وأخذته العبادة عن حقائق الإيمان ، فكفر من شاء ، وشهد لمن شاء بالإيمان ، وأدخل في الدين من شاء ، وأخرج من الدين من شاء . فهذا أول ما نخافه على هذه الصحوة المباركة . فليست العبادة كل شيء .

صح عنه عليه السلام ، أنه قال عن الخوارج : «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» (١) .

وذلك لأنهم أخذوا ببعض النصوص وتركوا بعضها، فلم يتمكنوا من

(١) أخرجه البخاري (٥٢/٨)، ومسلم (٧٤٤/٢) رقم (١٠٦٤).

الاستنباط الصحيح ، ولا عرفوا دلائل الألفاظ ، ومقاصد الأدلة ، فضلوا وأضلوا حتى كفروا كثيراً من الصحابة واستحلوا دماءهم .

- ورجل مستهتر مستهزئ منافق جعل عباد الله فاكهته ، فاستهزأ بهم في المجالس ، وحقرهم في المنتديات ، وجعل الدعاة غرضاً له ؛ يقع في أعراضهم ، ويسخر من حركاتهم وسكناتهم وهيئاتهم .

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ سورة التوبة ، الآيات : ٦٥ ، ٦٦ ولذلك كان هذا منافقاً معلوم النفاق ؛ لأنه جعل أولياء الله عرضة للاستهزاء والاستهتار ، فسموا الصالحين والدعاة متطرفين ، ومترمتمين ، وعصابة مشبوهة ، وما أطلق ذلك إلا الصهيونية العالمية ، والصليبية العالمية ، وأتباعهم من العلمانيين والمستغربين .

● عباد الله :

إن هذه الصحوة ينبغي علينا تجاهها أمران :

أولهما : أن نبارك وندعو لمن قام عليها من ولاة الأمور العاملين بكتاب الله وستة رسوله ﷺ ، ومن العلماء المخلصين الناصحين للأمة ، ومن الدعاة الأبرار الذين وجهوا الجليل إلى الطريق الصحيح .

والأمر الثاني : أن نتواصى بيننا في مساعدة أبنائنا وشبابنا في هذه المسيرة ، فقد وجد في البيوت من الآباء من حارب أبناءه يوم استقاموا ، ويوم اتجهوا إلى الله ، وهذه حرب صريحة على الله ، ومحادة مكشوفة لدينه .

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

● عباد الله :

أوصيكم بكتاب الله ، أحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، واعملوا بحكمه ، وآمنوا بمتشابهه .

كتاب الله ، حبلى الله المتين ، وصراطه المستقيم ، كتاب الله ، النور الذي لا ظلمة فيه . كتاب الله الهداية الذي لا ضلال بعده .

﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٨٨].

كتاب الله :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [نصت : ٤٢].

كتاب الله من استمسك به بلغه الله منازل السعداء ، ومن صدف عنه كبه الله على وجهه في دركات الأشقياء ، اقرءوه آناء الليل والنهار ، ضوعوا به بيوتكم ، تدارسوه مع أبنائكم ، اجعلوه قربة تتقربون بها إلى ربكم .

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

● عباد الله :

أوصيكم بالتوبة النصوح ، وبالاستغفار من الذنوب والخطايا يقول - سبحانه وتعالى - :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٥٣]

ويقول جل ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

[سورة آل عمران ، الآيتان : ١٣٥ ، ١٣٦].

● عباد الله :

إن من المعاصي التي انتشرت بصورة كبيرة في أوساط الشباب وغيرهم ،

جريمة تعاطي المخدرات ، وما انتشرت هذه الجريمة إلا بسبب البعد عن الله وعن كتابه وسنة رسوله ﷺ ، فامتألت السجون بالشباب ، لأنهم تركوا طريق المسجد ، وتركوا تلاوة القرآن ، وتركوا حلقات العلم ، فابتلوا بهذه الخبيثة :

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ {سورة الصف ، الآية : ٥} .

ومن المعاصي كذلك تلك المجالات الخليعة ، التي أظهرت المرأة معبوداً وصنماً فافتتن بها شباب الإسلام ، وزنت أبصارهم قبل فروجهم ، فجعلوا الصورة الخليعة - إلا من رحم الله - معبودهم ، فأخذهم الهوى ، وأصابهم الوله ، وضلوا بالعشق ؛ لأن قلوبهم لم تمتلئ بذكر الله ، ولم تعمر ب : لا إله إلا الله .
ومن المعاصي كذلك - عباد الله - ذلك الغناء والموسيقى الذي ملأ البيوت - إلا بيوت من رحم الله - من أصوات المغنين والمغنيات ، والماجنين والماجنات ، الأحياء منهم والأموات ، وهذه معصية ظاهرة حورب الله بها - تبارك وتعالى -
فأله الله في التوبة النصوح ، وفي العودة إلى الواحد الأحد - سبحانه وتعالى .

الله أكبر كبيراً . . والحمد لله كثيراً . . وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

العيد يا عباد الله معناه كما سلف ؛ العودة إلى الله ، ثم العودة إلى كتابه ، ثم العودة إلى سنة رسوله ﷺ .

العيد يا عباد الله ليس بصف الموائد الشهية ، ولا بركوب المراكب الوطنية ، ولا بسكنى الفلل البهية .

العيد لمن خاف يوم الوعيد . العيد لمن استعد للعرض على الرب سبحانه وتعالى ، العيد لمن اتقى الله في السر والعلن .

العيد لمن استعرض صحيفته فاستغفر من السيئات ، وسأل الله التوفيق للأعمال الصالحات .

العيد لمن وصل ما بينه وبين الله، وما بينه وبين العباد ، العيد لمن عمَّر بيته بالقرآن ، وأخرج آلات اللهو ومغريات الشيطان .

العيد لمن أقام في بيته منهج القرآن ، العيد لمن ضوع منزله بالأذكار الحسان .

إذا ما كنت لي عيداً * * * فما أصنع بالعيد !!

جرى حبُّك في قلبي * * * كجري الماء في العود

الله أكبر كبيراً .. والحمد لله كثيراً .. وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

● عباد الله :

أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

* * *

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله . . الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وحجة الله على الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

عباد الله :

كان من هدي المصطفى ﷺ ، في العيدين أنه كان يؤخر صلاة عيد الفطر ، ويعجل الأضحى (١) ، وكان يخرج في الأضحى قبل أن يأكل شيئاً (٢) ، بخلاف عيد الفطر فإنه كان يأكل تمرات كما أخبر أنس عنه ﷺ (٣) . وفي رواية : يأكلهن وترّاً (٤) .

وكان ﷺ يخرج لابساً أحسن ملابسه ، متطيباً بالمسك ، يمشي بسكينة ووقار يكبر ربه - تبارك وتعالى -

وكان ﷺ يخرج للعيد من طريق ويعود من طريق آخر . قال جابر بن عبد الله : كان النبي ﷺ ، إذا كان يوم عيد خالف الطريق (٥) . وذكر العلماء لذلك حكماً جليلاً .

منها : إظهار قوة الإسلام والمسلمين في كل مكان .

ومنها : أنك تمر على أكبر عدد من المسلمين فتسلم عليهم .

ومنها : إغاظة أعداء الإسلام .

(١) انظر : إرواء الغليل (٣/ ١٠٠ ، ١٠١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤٢٦/٢) رقم (٥٤٢) . وابن ماجه (٥٥٨/١) رقم (١٧٥٦) ، والحاكم في المستدرک

(٢٩٤/١) ، وصححه ، ووافقه الذهبي . وحسنه الأرناؤوط . انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان

(٥٢/٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٣/٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٣/٢) .

(٥) أخرجه البخاري (١١/٢) .

ومنها : قضاء حوائج من له حاجة من المسلمين .
ومنها : أن يشهد لك الحفظة والملائكة الذين يقفون على الطرق .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر

لا إله إلا الله .. والله أكبر .

الله أكبر .. ولله الحمد .

وكان ﷺ إذا وصل إلى المصلى يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصلي ركعتين ،
يكبر في الأولى قبل القراءة سبع تكبيرات بتكبيرة الافتتاح ، ثم يقرأ الفاتحة
﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ . وفي الركعة الثانية يكبر خمس تكبيرات ثم يقرأ
الفاتحة و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ ﴾^(١) . وربما قرأ في الأولى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ ﴾ . وفي الثانية : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾^(٢) .

وكان ﷺ ، إذا انتهى من الصلاة ، وقف على راحلته مستقبل الناس ،
وهم صفوف جلوس ، فخطبهم بخطبة جليلة ، يبين فيها أسس العقائد
والأحكام ، ويأمر المسلمين بالصدقة ، ثم يتوجه إلى النساء فيخطبهن ، ويذكرهن .
● عباد الله :

يسن إذا رجع الإنسان من المصلى يوم الأضحى أن يبدأ قبل كل شيء بذبح
أضحيته إن كان مستطيعاً فيسمى ويكبر ، ويدبح الأضحية .

والأضحية في الإسلام شأنها جليل وحكمها نبيلة وعظيمة ، منها : أنها فداء
لإسماعيل ، عليه السلام .

ومنها : أنها قربة إلى الله الواحد بالذبح في هذا اليوم العظيم ، فإذا ذبحتها
فإن السنة أن تأكل ثلثها ، وأن تتصدق بثلثها ، وأن تهدي ثلثها ، وإن فعلت غير
ذلك فالأمر فيه سعة ؛ ولكنه خلاف الأولى .

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٠٧) رقم (٨٩١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٨) رقم (٨٧٨) .

والأضحية - يا عباد الله - لا بد أن تستسمن ، وأن تختار ، وأن تصطفي ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، فلا تجزئ العوراء البين عورها ، ولا المريضة البين مرضها ، ولا العرجاء البين عرجها ، ولا الهزيلة ، ولا العضباء التي كسر النصف من قرنها أو أكثر ، ولا ما قطع نصف أذنها أو أكثر .

ويكره الشرقاء التي انشقت أذنها طولاً ، أو الخرقاء التي خرقت أذنها ، وغير هذا جائز إن شاء الله .

والسنة ألا يضحى من الضأن إلا بالجذع^(١) فأكبر . وأما المعز فالثنية^(٢) فأكبر ، سنة نبيكم ، عليه الصلاة والسلام .

فاذكروا الله على ما هداكم ، وكبروه - سبحانه وتعالى - واحمدوه على النعم الجليلة ، والمواهب النبيلة ، فإنه - والله - ما حفظت النعم إلا بالشكر ، وما ضيعت إلا بالكفر .

فنعوذ بالله أن نكون من قوم بدلوا نعمة الله كفراً ، وأحلوا قومهم دار البوار .

ونعوذ بالله أن نكون من قوم أنعم الله عليهم بنعم ، فجعلوها أسباباً إلى المعاصي ، وطريقاً للشهوات والمخالفات .

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

الله أكبر كبيراً .. والحمد لله كثيراً .. وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١/٢٥٠) : أصل الجذع : من أسنان الدواب ، وهو ما كان منها شاباً فتياً ، فهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة ، ومن البقر والمعز ما دخل في السنة الثانية ، وقيل : البقر في الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة ، وقيل : أقل منها .

(٢) الثنية من المعز : ما دخل في السنة الثالثة . النهاية (١/٢٢٦) .

● عباد الله :

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ { الاحزاب : ٥٦ } .
وقد قال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (١) .

اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذا اليوم المبارك يا رب العالمين ، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار من المهاجرين والأنصار ، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

* * *

■ فهرس المراجع ■

الإحسان : في تقريب صحيح ابن حبان . ترتيب الأمير علاء الدين
الفارسي . بتحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط مؤسسة الرسالة - بيروت .

إرواء الغليل : في تخريج أحاديث منار السبيل : الألباني محمد ناصر الدين .
البداية والنهاية : ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير
الدمشقي . دار الريان للتراث - القاهرة .

تفسير القرآن العظيم : ابن كثير . ط : دار الحديث - القاهرة .

تقريب التهذيب : العسقلاني أحمد بن علي بن حجر . بتحقيق : محمد
عوامة . ط : دار الرشيد - حلب .

الجامع الصحيح : البخاري محمد بن إسماعيل . ط : المكتبة الإسلامية
إستانبول - تركيا .

الجامع لأحكام القرآن : القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري .
ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

حلية الأولياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . ط : دار الكتاب
العربي - بيروت .

حياة الصحابة : الكاندهلوي محمد بن يوسف . ط : دار الريان للتراث
القاهرة .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر . ط : دار
الكتب العلمية .

زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن القيم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
أبي بكر الزرعي الدمشقي ، بتحقيق : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط . ط :
مؤسسة الرسالة - بيروت .

سلسلة الأحاديث الصحيحة : الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب الإسلامي .

سلسلة الأحاديث الضعيفة : الألباني محمد ناصر الدين . ط : مكتبة المعارف - الرياض .

سنن الترمذي : الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة . بتحقيق أحمد شاكر وإبراهيم عطوة . تصوير : دار الكتب العلمية - بيروت .

سنن الدارمي : الدارمي أبو عبد الله بن عبد الرحمن . بتحقيق : فؤاد أحمد زمزلي وخالد السبع العلمي . ط : دار الريان للتراث - القاهرة .

سنن أبي داود : السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة الإسلامية إستنبول - تركيا .

سنن ابن ماجه : القزويني محمد بن يزيد بن ماجه . بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

سنن النسائي : النسائي أحمد بن شعيب . بتحقيق : عبد الفتاح أبي غدة . ط : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب .

السيرة النبوية : ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهبي النحوي . بتحقيق : د . همام عبد الرحيم سعيد ومحمد بن عبد الله أبو صُعيّليك . ط : مكتبة المنار .

شرح صحيح مسلم : النووي محيي الدين يحيى بن شرف . ط : المطبعة المصرية بالأزهر .

صحيح الجامع الصغير وزيادته : الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب الإسلامي - بيروت .

صحيح مسلم : النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . بتحقيق :
محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار الحديث - القاهرة.

ضعيف الجامع الصغير وزيادته: الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب
الإسلامي .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري : العسقلاني أحمد بن علي بن حجر .
ط : دار الريان - القاهرة .

القاموس المحيط : الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب . ط :
مؤسسة الرسالة.

لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الأفريقي المصري . ط : دار صادر - بيروت.

مجمع الزوائد : الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر . ط : مؤسسة المعارف
- بيروت.

المستدرک : الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري -
بتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية - بيروت.

مسند الإمام أحمد : أحمد بن محمد بن حنبل . ط : مؤسسة قرطبة -
القاهرة.

مشكاة المصابيح : التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب . بتحقيق : محمد
ناصر الدين الألباني . ط : المكتب الإسلامي - بيروت.

موطأ الإمام مالك : الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس . بتحقيق : محمد
فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

النهاية في غريب الحديث : الجزري مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن
محمد . بتحقيق : محمود الطناحي وظاهر أحمد الزاوي . ط : أنصار السنة
المحمدية - باكستان.